

نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر

نشر وتحقيق
دكتور سيد مصطفى سالم

الطبعة الثانية
١٩٨٩



صغاء - ٣

مركز الدراسات اليمنية



الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	962.03
رقم التسجيل	٢٠٢٦ ٢٠١٠١

نصوص يمنية
عن
الحملة الفرنسية على مصر

نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر

نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية

«درر نحرور الحور العين بسيرة»

الإمام المنصور على ورجال دوائه الميامين،

١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ

١٧٧٥ - ١٨٠٩ م

تأليف

لطف الله بن أحمد جحاف

١١٨٩ - ١٢٤٣ هـ

١٧٧٥ - ١٨٢٨ م

نشر وتحقيق

دكتور

سيد مصطفى سالم

كلية الآداب بجامعة عين شمس

25026

962.03

٥٢٥

ن

نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر



نشر وتحقيق

دكتور سيد مصطفى سالم
National Library of the Alexandria Library (G.O.A.)
Bibliothèque d'Alexandrie

الطبعة الثانية

١٩٨٩

صنعاء - ٣

مركز الدراسات والبحوث

1870-1871

1872-1873

1874-1875

1876-1877

1878-1879

الإهداء

إلى الشعب اليمني

الذي غمرني دائماً بالحب والتقدير ..

إلى أستاذي الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

حبا وتقديراً ..

دكتور سيد مصطفى سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

عندما يُقدم المرء على إعادة طبع كتاب من كتبه لابد أن يسارع بتقديم الشكر إلى كل من شجعه على اتخاذ هذه الخطوة ، هؤلاء الذين إطلعوا على الكتاب فوجدوا أنه إضافة إلى المكتبة العربية وخاصة اليمنية وأنه لابد من توفير نسخة بين القراء ، وهؤلاء الذين لم يطالعوه لكنهم شعروا بأهمية موضوعه وأنه من الضروري إعادة طبعه ليتوفر إقتناؤه .

وموضوع هذا الكتاب صورة تاريخية من صور التأثير والتأثر التي تبرز على السطح بين الفينة والأخرى عندما يتعرض طرف من أطراف حوض البحر الأحمر لخطر خارجي أو داخلي فتتزلزله باقى الأطراف ، وهذا مما يؤكد رسوخ العلاقات المصرية - اليمنية وكأنها قدر مكتوب ، أو أنها استجابة لعبقرية المكان لكل من البلدين ، إذ تقع مصر عند شمال البحر الأحمر واليمن عند جنوبه . وبالأحرى يمثل حوض البحر بوقته لتفاعل الأحداث بين أجزائه - إما سلباً أو إيجاباً - منذ أقدم العصور حتى الآن .

تعرضت مصر عند أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (١٧٩٨م - ١٨٠١م) لغزو الحملة الفرنسية ، أى حملة أجنبية أوربية على الشرق العربى بعد الحملات الصليبية المعروفة . عندئذ تعالت أمواج البحر الأحمر لتدوى على شاطئيه ، وتردد صدها ، فهب المتطوعون وعبروا البحر ليدخلوا مصر من شواطئها الشرقية . وكان الحماس يعلو هؤلاء المتطوعين ، لكن تنقصهم الأسلحة الحديثة التى حملها الفرنسيون إلى مصر ، فباعت جهودهم بالفشل ، واختلطت دماءهم بمياه النيل وبتراب واديه .

وقد استخرجت نصوصاً من مخطوطة يمنية أعاصر صاحبها هذه الأحداث وانفعل
بها ، فكتبت عنها بدراسة ، وعلقت عليها بهوامش . وقد أوضحت قصة عثوري على
هذه النصوص ، وشرحت المنهج الذي سرت عليه عند نشرها والتعليق عليها في
مقدمة الطبعة الأولى وفي الدراسة التمهيدية ، لذلك لن أكرر هنا ما ذكرت ، بل
أكرر فقط الشكر للجميع .

وبالله التوفيق ...

دكتور

سيد مصطفى سالم

جامعة صنعاء

صنعاء في يناير ١٩٨٩م

مقدمة الطبعة الأولى

ما زالت الدراسات اليمنية تحتاج إلى الكثير من العناية والجهد والبحث ، لا في مجال التاريخ فحسب ، بل في كافة فروع العلوم الإنسانية ، إذ ما زال اليمن يعتبر حقلاً بكرأ ينتظر الجهد المصنعي ، لكشف كنوزه الدفينة وللتعرف على جوانب شخصيته الاجتماعية والطبيعية . ونؤكد من ذلك كلما أوغلنا في البحث في جانب من جوانب الشخصية اليمنية ، ففي مجال التخصص - أي التاريخ - يشعر المرء دائماً بأن هناك بحر لا ينضب من التراث الذي يحتاج الكشف عنه والتعريف به ، أو الذي ينتظر العثور عليه والرجوع إليه لكتابة الأبحاث المستفيضة عن جميع عصور اليمن التاريخية ، بل وهذا التوغل يدفع المرء إلى الشعور بضآلة ما بذل وما كتب لخدمة هذا التاريخ ، وأن هناك الكثير الذي ينتظره ، والذي يحتاج إلى جهد جماعات من الكتاب والباحثين .

وبعيداً عن الدخول في تفاصيل كثيرة أو نماذج عديدة للتدليل على ما ذهبنا إليه ، فإن قصة التعرف على المؤرخ اليمني لطف الله جحاف ، والعثور على مخطوطته الأصلية ونسخها الأخرى والاطلاع عليها . ثم استخراج النصوص منها وتحقيقها ، هذه القصة التي تناولتها في بداية الدراسة التمهيدية إنما تدل على جدارة هذا التراث بالبحث والتعقيب عنه من ناحية ، وعلى ثرائه وعمقه من ناحية أخرى ، إذ لا نغالي إذا قلنا أن مجرد اسم هذا المؤرخ لم يكن معروفاً لدى الكثير من اليمنيين ، ولم تكن جوانب شخصيته أو مؤلفاته مألوفة متداولة ، بل كاد هو وكتاباتة يطويها النسيان ، وتوهم مع جوانب التراث اليمني الأخرى النائمة . ولكن عندما خطوت نحوه ،

وحصلت على نسخ من كتابه الهام « درر نحرور الحور العين » وجدت نفسى أمام مؤرخ كبير ، وعالم موسوعى ، جدير بالوقوف أمامه وأمام خلفائه ووقفة طويلة تبلغ أضعاف الوقفة القصيرة التى وقفتها معه ، فقد عالج فى كتابه هذا الكثير من المسائل التاريخية التى عاصرها فى داخل اليمن وخارجه ، فضلا عن محاولاته الجادة الأخرى فى شتى مجالات المعرفة ، مما يجعله يقف إلى جانب المؤرخين الكبار الذين عاصروه ، بل ولا نغالى إذا اعتبرناه « جبرق » اليمن ، وخاصة بالنسبة للأحداث اليمنية الداخلية .

ولهذا كله ، فقد بذلت جهداً كبيراً للتعرف على شخصية المؤرخ ، وللحصول على مؤلفه الكبير ، وللبحث بين طياته على النصوص الخاصة بالحملة الفرنسية ، ثم نسخ هذه النصوص نقلاً عن النسخة التى يصعب قراءتها إلى حد كبير ، هذا فضلاً عن العصر الذى عاشه المؤرخ ، فأدى هذا جميعه إلى قراءة الكثير عن ترجمة حياته ، وعن الإمام الذى كتب سيرته ، بل وإلى الاتصال بكثير من الأخوة اليمنيين الفضلاء الذين بذلوا كل ما فى وسعهم لمساعدتى ، منذ أن حصلت من أحدهم على النسخة « الأم » ، إلى أن تم تحقيق هذه النصوص .

وقد شددنى إلى بذل هذا الجهد كله الرغبة فى التعرف على هذا المؤرخ اليمنى الذى اهتم بتتبع أحداث جزء بعيد عنه من الوطن العربى رغم صعوبة المواصلات فى عصره ، وأردت أن أكشف عن مدى قرب أو بعد معلوماته عن الحقيقة بالنسبة لموضوع « الحملة الفرنسية » ، وكيف انفعل هو ومن عاصره - فى اليمن وفيما حوله - بالأحداث فى مصر .

وقد زاد اهتمامى بتحقيق هذه النصوص ونشرها عندما نشبت حرب أكتوبر المجيدة (١٩٧٣ م) ، وانفعل العرب جميعاً بهذه الحرب ، فقد شهدت بنفسى - وكنت مقيماً بصنعاء حينذاك للتدريس بجامعة - تلك

العوائل المتهبة التي شملت جميع أنحاء الين ، رسمياً وشعبياً ، إذ كان الأهالي يتجمعون - في مجالسهم الخاصة وفي الشوارع - حول أجهزة الراديو لالتهام أخبار الحرب إلتهاماً - من محطات الإذاعة المختلفة - والتعليق عليها . ورأيت الحكومة الينية - رغم ضعفها المادي - تعمل على جمع التبرعات وإرسال الأدوية إلى الجبهتين المصرية والسورية ، ورأيت الأهالي يندفعون إلى التبرع بالمال ، وإلى التطوع بالنفس للانضمام إلى صفوف المحاربين ، وكان من بين هؤلاء المتطوعين العسكريون والمدنيون على السواء ، بل وكانت النساء الأميات المحجبات يسارعن إلى التبرع بدمائهن من أجل المعركة ، لقد أثار - هذا كله وغيره من مظاهر الاهتمام بالحرب المصرية - مشاعري ومشاعر غيري من المصريين هناك . وهنا أدركت أكثر فأكثر أهمية هذه النصوص ، التي تعبر عن أصالة الشعب اليني وارتباطه بالمصير العربي في الماضي كما في الحاضر .

وقد تعمدت كتابة دراسة تمهيدية طويلة ، تحدثت فيها عن كيفية التعرف على المؤرخ ، وعلى كيفية الحصول على نسخ مخطوطاته ، كما تكلمت فيها عن مؤلفاته الأخرى ، وعن منهجه التاريخي ، وذلك قبل التحدث عن طبيعة النصوص نفسها ، ومدى صحة معلومات المؤرخ عن الحملة ، ثم ما هي النقاط الجديدة التي جاءت في هذه النصوص ، وما هي أهميتها بالنسبة لموضوع ، الحملة الفرنسية ، وذلك في موضوعية ملتزمة ، ودون مبالغات عاطفية .

وأخيراً فاني أقدم الشكر إلى جميع الأخوة الينيين الذين لم يدخروا وسعاً في مساعدتي ، والذين أشرت إلى بعضهم في هوامش الدراسة التمهيدية ،

- ٨ -

كما أتقدم بالشكر إلى زملائي أعضاء مجلس إدارة مركز الدراسات الجينية
الذين قرروا في جلستهم المنعقدة في ١٠ يونيو ١٩٧٤ طبع هذا البحث ونشره
على نفقة المركز .

والله ولي التوفيق

دكتور

سيد مصطفى سالم

القاهرة في ٤ أغسطس ١٩٧٤

دراسة تمهيدية

الحملة الفرنسية وأهميتها :

لفتت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) نظر المؤرخين والكتاب على اختلاف جنسياتهم واتجاهاتهم ووجهات نظرهم ، منذ مجيئها إلى مصر حتى وقتنا الحالى . وقد احتلت الحملة هذا الاهتمام الكبير نظراً لدلالاتها فى الصراع الدولى حينذاك من ناحية ، ولتأثيرها فى تاريخ مصر والشرق العربى من ناحية أخرى . وتعددت الآراء حولها ، فرأى البعض أنها مغامرة فاشلة من جانب «حكومة الادارة» ، للخروج من أزمته فى أوروبا وخاصة مع انجلترا ، أو من جانب ضابط شاب طموح - هو بوناپرت - يريد لفت الأنظار إليه باستمرار عن طريق القيام بالأعمال الحربية وإحراز الانتصارات . ورأى البعض الآخر أن الحملة كانت عملاً ناضجاً أرادت الجمهورية الفرنسية الفتية - من خلالها - أن تفسر مبادئها خارج فرنسا ، وأنها نجحت - بناء على هذا رأى - فى حفر منحنى جديد وعميق فى التاريخ الحديث لمصر وللشرق العربى ، وأصبحت مفتاح هذا التاريخ ، أو أنها - على أقل تقدير - أثارت الموجات فى المجرى الراكد الذى كان هذا التاريخ يتردى فيه . وليس هنا مجال الوقوف عندهذا رأى أو ذاك ، بل يكفى القول بأهمية هذه الحملة فى تاريخ مصر والشرق العربى الحديث ، وأنها كانت أولى الصدمات العسكرية والحضارية الهامة التى أرسلتها أوروبا إلى الشرق منذ الحروب الصليبية ، أو منذ خضع الشرق للحكم العثمانى ، وتحول إلى مجرد ولايات عثمانية .

وقد بدأ اهتمامى بالحملة الفرنسية وآثارها فى مصر منذ عدة سنوات أثناء
تدريسى لتاريخ مصر الحديث بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس .
وإزداد هذا الاهتمام إلى الحد الذى حاولت فيه كتابة دراسة مستقلة بها ،
وذلك عند موقفين بارزين :

أولهما : عند قراءة بعض النصوص عنها من كتابات المؤرخ المصرى
عبد الرحمن الجبرقى مع طلبة السنة الأولى بالقسم خلال دروس مناهج
لبحث التاريخى .

وثانيهما : بعد ظهور كتاب الدكتور لويس عوض بجزأيه^(١) ، ومحاولتى
مع بعض الزملاء مناقشة نقاطه الرئيسية بين طلبة الدراسات العليا بالقسم ،
والرد على ما أثاره المؤلف ، الذى عمل على إبراز أثر الحملة على مصر ، وأنها
هى التى خلقت مصر الحديثة .

المشور على المخطوطة :

ولكن مشاغل التدريس العديدة ، ثم إعارتى إلى اليمن بعد قليل ، لم يساعدا
على كتابة هذه الدراسة المستقلة حينذاك . إلا أن هذا الاهتمام الدفين بالحملة
الفرنسية ، قدر له فجأة - أثناء وجودى فى اليمن - أن ينبض عن نفسه
ظلال النسيان الخفيفة التى غطته ، وذلك رغم مشاغل التدريس بجامعة صنعاء ،
ورغم اهتمامى هناك « باليمنيات » - أى بالدراسات اليمنية - التى غرقت
فيها إلى أذنى ، نتيجة كرم أصدقائى اليمنيين الذين فتحوالى قلوبهم وبيوتهم

(١) الدكتور لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث ، القاهرة ، دار الهلال ،
كتاب الهلال ، العدد ٢١٥ الصادر فى فبراير ١٩٦٩ ، والعدد ٢١٧ الصادر فى أبريل
١٩٦٩ .

ومكتباتهم الخاصة ، لأنهل منها ما أشاء من « المعرفة والتعرف » بالنسبة لهذه الدراسات . ففي إحدى المناقشات التي دارت حول التراث اليمنى أواخر العام الدراسي ١٩٧٢/٧١ ، بينى وبين أخى وصديقى عبد الله الحبشى^(١) ، بعد قضاء فترة من الزمن بين مخطوطات جامع صنعاء الكبير^(٢) ، ذكرلى أنه عشر على مخطوطة يمنية تتضمن صفحات عن الجملة الفرنسية على مصر ، وأخبرنى بعنوان المخطوطة واسم مؤلفها . وهنا نارت فكرتى القديمة عن

(١) هو عبد الله بن محمد الحبشى ، يعمل حالياً فى وظيفة أمين مكتبة بدار الكتب اليمنية بصنعاء ، وله ولم كبير بالتراث اليمنى رغم أنه لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . وهو من مواليد قرية « الغرقة » بمحضر موت ، ومن أسرة الحبشى المشهورة بالعلم . وقد كتب العديد من المقالات المتعلقة بهذا التراث فى الجرائد والمجلات اليمنية ، كما نشرت له أخيراً وزارة الثقافة السورية (فى عام ١٩٧٢) كتاباً بعنوان « مراجع تاريخ اليمن » وهو عبارة عن قائمة هامة بالمؤلفات العربية — المخطوطة والمطبوعة — الخاصة بهذا التاريخ ، كما له مؤلف آخر تحت الطبع عن مؤلفات حكام اليمن ، ستقوم بنشره إحدى جامعات ألمانيا الاتحادية .

(٢) هو المسجد الجامع بالمعاصرة اليمنية ، ويطلق عليه « الكبير » و « المقدس » ويقال لأنه أول مسجد أسس باليمن ، لاذ تأسس فى العام السادس من الهجرة فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أدخلت عليه توسيعات وتعديلات كثيرة عبر التاريخ . (لمزيد من التفاصيل يرجع إلى كتاب : محمد بن أحمد الحجرى : مساجد صنعاء ، عاصرها وموفىها ، مطبعة وزارة المعارف بصنعاء ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م ، ص ٢٣ - ٣٨) وتعتبر مكتبة جامع صنعاء الكبير أكبر مركز لتجميع المخطوطات اليمنية والإسلامية فى اليمن بوجه عام ، لاذ تضم عدداً كبيراً من المجلدات تبلغ عدة آلاف . وتضم عدد هذه المجلدات بعد ثورة سبتمبر ١٩٦٢ ، عندما ضم إليها عدة آلاف أخرى من مكتبات الإمام يحيى وأولاده ، وهى التى وضعت تحت اسم الكتب المصادرة . ومن المعروف أن عادة حفظ الكتب والمخطوطات فى أجزاء ملحقه بالمساجد إنما هى عادة إسلامية قديمة لالأن المساجد هى أماكن العبادة والدراسة معاً فحسب ، بل لاعتبارها أماكن مقدسة بعيدة عن النهب والتخريب لزم من الحروب والاضطرابات . غير أنه يلاحظ أن مكتبة الجامع الكبير هذه ينقصها بعض الإصلاحات حتى تقوم بواجبها على أكمل وجه ، فهى أقرب إلى الخزن منها إلى المكتبة وذلك لضيق المكان ، ولقلة الإمكانيات اللازمة لاستقبال الباحثين كما تنقص المكتبة إلى فهرس حديث يعلن عما بها من نفائس نادرة ، وتحاول حالياً الهيئة العامة للآثار والكتب باليمن المشرفة عليها أن ترفع من إمكانياتها بقدر المستطاع .

كتابة دراسة مستقلة خاصة بالحملة ، ولكنها في هذه المرة خضعت لفكرة جذابة أحدثت تعديلا في جوهر الفكرة السابقة . وتمثل هذا التعديل حول ضرورة الاطلاع على ما كتب خارج مصر عن أحداث هذه الحملة ودراسته ، للتعرف على وجهة النظر العربية والإسلامية بالنسبة لهذه الأحداث ، وللوقوف على ردود الفعل لإزاءها لدى غير المصريين . فطالما اطلعنا على كتابات الجبرتي ، وطالما قرأنا كتابات الفرنسيين أو الأوربيين بوجه عام ، أما اطلعنا على ما كتبه المعاصرين من العرب والمسلمين فهو شيء نادر في الحقيقة ، فليس بين أيدينا من كتابات أبناء الجزيرة العربية سوى ما كتبه المؤرخ النجدي د. ابن بشر^(١) ، وكتاباته قليلة للغاية ، سطحية تماماً ، بالنسبة لما كتبه مؤرخنا اليمني ، كما سيوضح فيما بعد .

لكل ما تقدم ، بدأت أسمى للحصول على المخطوطة اليمنية ، للاطلاع على ما جاء بها عن الحملة الفرنسية ، والتعرف على ما كتبه المؤرخ اليمني حتى أحدد قيمته العلمية ، وذلك قبل الإقدام على دراسته . غير أني لم أستطع الحصول على هذه المخطوطة أو حتى مشاهدتها إلا في العام الدراسي التالي (١٩٧٣/٧٢) ، نظراً لنظام الاطلاع والإعارة الصعب في مكتبة جامع صنعاء الكبير ، ولضيق وقتي في اليمن حينذاك ، إذ كنت مضطراً إلى السفر بعد وقت قليل إلى القاهرة لقضاء الإجازة الصيفية .

تعرفت من خلال حديثي مع الأخ عبد الله الحبشي كما ذكرت ، على المؤرخ «لطف الله بن أحمد جحاف» ، وعلى مخطوطته «درر نخبور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على وأعلام دولته الميامين» ، وأنها من محفوظات مكتبة جامع صنعاء الكبير . وهنا عملت على مقابلة الصديق والأخ الكبير

(١) عثمان بن بشر النجدي الحنبلي : عنوان المجلد : تاريخ نجد ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، د . ت . ، ط ١ ، جزءان في مجلد ، ص ٢٥٥ ، ١٤٣ .

القاضي إسماعيل الأكوغ^(١) ، ليساعدني على استعارة هذه المخطوطة لعدة أيام حتى اطلع عليها ، وأحدد النصوص المتعلقة بالحلمة لأقوم بتصويرها . غير أنه أشار إلى عدم جواز إخراج محتويات مكتبة الجامع إلى خارجها ، ووعدني باحضار نسخة أخرى من مكتبة أحد أصدقائه الذي عرف مؤخراً أن لديه نسخة خاصة . وقد تم احضار النسخة المشار إليها خلال استعدادي مرة أخرى للسفر إلى القاهرة ، ورغم ذلك فقد عملت جهدي للاطلاع عليها ، وللوصول إلى ما أبتغيه ، فحددت ما أصبو إليه من النصوص الخاصة بالحلمة الفرنسية بعد جهد كبير ، نظراً لطبيعة النسخة هذه كما سيتضح فيما بعد ، ونظراً لضيق الوقت . إلا أن الجدير بالذكر هنا هو أنني قمت بهذا الجهد في جو يسوده الاطمئنان ، إذ وجدت في أول هذه النسخة نصاً يشير إلى أنها ملك السيد

(٢) هو القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ ، ويشغل حالياً رئاسة الهيئة العامة للآثار والكتب وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية ، كما شغل سابقاً منصب وزير الاعلام . ويعد أحد القلائل من المهتمين بالدراسات اليمنية وبالآثار اليمنية ، فقد أصدر من قبل مجلداً ضخماً عن الأمثال الشعبية اليمنية ، وله كتاب عن مدارس العلم في اليمن ، وكتاب اعلام آل الأكوغ . وهو من شاركوا في الحركة الوطنية باليمن منذ وقت مبكر ، فقد قبض عليه للمرة الأولى عام ١٩٤٤ م في مدينة « ذمار » عندما كان ينقل بعض الرسائل والمنشورات بين الأحرار في تعز إلى إخوانهم في صنعاء ، وكان حينذاك لا يتجاوز العشرين من عمره . وللإمام يحيى مقولة في هذه المناسبة بعد القبض عليه ، إذ علق على تحافة جسمه وصغر سنه بقوله « خبيث على البز ، نزعمة على الحليب » ، ولما بلغ ذلك إلى القاضي عبد الله بن محمد العيزري ، وكان من أعظم رجال اليمن علماً وورعاً ، قال « لا إله إلا الله » ، لإسماعيل الأكوغ من دولة مستنكراً اهتمام الدولة به وهو ضعيف الجانب ، ولما بلغ الإمام أحمد هذه العبارة عقب عليها بقوله : « ولماذا الاستغراب فهو لا يستهان به » واستشهد ببית عمارة اليمن :

قد هد قدما عرش بلقيس هدهد وخرب حفر الفأر سداً للأرب

والوالد عبد القادر بن عبد الله بن عبد القادر^(١) الذى تربطنى به وبأسرته علاقات وطيدة للغاية تسمح لى بالرجوع إلى هذه النسخة وقتما أشاء فيما بعد لاستكمال ما قد يفوتنى عند تصوير النصوص ، أو للتحديث عنها وعن محتوياتها إذا لزم الأمر .

وهنا جاء دور التصوير ، فاتجهت إلى صديقى وأخى القاضى على أبو الرجال^(٢) - بناء على طلبه - ليصور لى ما حدثته من نصوص ، لافقوة

(١) هو السيد عبد القادر عبد الله بن على بن عبد الرحمن عبد القادر ، ويشغل حالياً وظيفة « رئيس الاستئناف » وهو أكبر منصب قضائى فى اليمن ، وقد تدرج فى عدة مناصب قضائية منذ صغره ، إذ تولى منصب رئاسة المجلس الثنائى نحو سبع سنوات فى أواخر عهد الإمام يحيى ، وفى عهد ابنه الإمام أحمد قام بالعمل فى عدة مناصب وزارية فقد عين نائباً لوزير المعارف ، ثم وزيراً للاقتصاد ، ثم وزيراً للعدل . ويعتبر الآن عميد أسرة آل عبد القادر ، وهى من الأسر الكبيرة المعروفة فى اليمن . والى يعمل فى مجال العلم والسياسة معاً ، فقد ظهر منها عدة علماء كبار منهم السيد عبد القادر ابن أحمد شيخ محمد بن على الشوكانى الذى يعتبره البعض شيخ الإسلام فى عصره ، كما لديها مكتبة خطية غنية بالنقائس ، وتولى أحد أفراد الأسرة منصب عامل (محافظ) صنعاء فى عهد الإمام يحيى ، وهو السيد حسين بن على عبد القادر ، كذلك شاركت الأسرة فى العمل الوطنى ، وقبض على رجالها بعد فشل ثورة ١٩٤٨ ، وسقط منهم شهيد بعد فشل ثورة ١٩٥٥ ، فقد أمر الإمام أحمد عقبها بإعدام السيد محمد بن حسين عبد القادر .

(٢) هو على بن أحمد بن محمد أبو الرجال ، وكيل وزارة الأشغال العامة ، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية ، بل وبعد من أبرز مؤسسى هذا المركز اهتماماً بنجاحه وتطوره . ويشتهر بين رجالات اليمن الحاليين باهتمامه الشديد بالتراث اليمنى والحرس على تجميع شتاته من عادات وتقاليد وأغاني وشعر حميى (شعبي) ، كما أنه يدأب على شراء وتصوير كل ما يتعلق بهذا التراث من مؤلفات مخطوطة ومطبوعة . وقد اهتم فى فترة سابقة بتقديم برامج إذاعية مدروسة عن التراث اليمنى وخاصة الجانب الاجتماعى منه ، كما كتب كثيراً فى جريدة الثورة (الجريدة الرسمية بصنعاء) عن الصناعات الوطنية لأنه من المهتمين والداعين إلى تشجيع هذه الصناعات . وهو من مواليد مدينة صنعاء فى عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م) ، من أسرة عريقة كبيرة لاشتهرت بالعلم والأدب والاشتغال بالإدارة والقضاء ، وظهر منها فى القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ الميلادى) أحد العلماء الكبار هو أحمد بن صالح أبو الرجال صاحب كتاب « مطلع البدور » ، ويمتاز من أوائل وأهم الكتب اليمنية فى مجال التراجم ، كما ظهر فى نفس الفترة الأديب والشاعر المشهور على بن صالح أبو الرجال ، كذلك برز غيرها من أبناء هذه الأسرة .

علاقتهما لحسب ، بل لتعلقه الشديد أيضاً بالتراث اليمنى ، ورغبته الأكيدة في خدمته . وقد حصلت على صور النصوص على أفرخ من الورق الحساس وليس على ميكرو فيلم ، فساعدنى هذا على نسخها فور وصولى إلى القاهرة . ومن خلال النسخ ، زاد فهمى وتقديرى لهذه النصوص ، وتعرفت على الثغرات التى تنقصنى لدراستها ، وعلى الجهود التى تنتظرنى لتحقيقها ونشرها نشرأ علمياً سليماً . وهنا انضح أنى لا أستطيع الاعتماد على ماصورته فقط ، بل لابد من الرجوع مرة أخرى إلى النسخة الكاملة التى كنت قد تركتها فى صنعاء لدى أصحابها ، فأجلت العمل بهذه الدراسة مؤقتاً إلى حين العودة إلى اليمن فى العام الدراسى ١٩٧٤/٧٣ ، وشغلت نفسى بما يمكن أن أجمعه فى القاهرة من مادة علمية متعلقة بها .

وفى خلال هذه المدة كان الأخ عبدالله الحبشى قد نشر كتابه ومراجع تاريخ اليمن ، وجاء به ذكر المؤرخ لطف الله جمحاف ومخطوطته ، كما نشرت له مجلة « العرب » مقالاً بعنوان « تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط يمنى »^(١) ، فزاد هذا وذاك من رغبتي فى اكمال الدراسة الخاصة بالحملة الفرنسية ومن إضاءة الطريق أمامى للسير فيها .

ترجمة حياة المؤرخ :

وهنا تقفز التساؤلات التقليدية العديدة عن شخصية مؤرخنا اليمنى لطف الله جمحاف ، وعن مخطوطته ، وعن أهمية مجموعة النصوص التى أقوم بنشرها ، وعن طبيعة النسخة التى اعتمدت عليها أولاً ، وطبيعة النسخ

(١) مجلة العرب : المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المجلد الأول ، السنة السابعة ، رجب ١٣٩٢ هـ أغسطس ١٩٧٢ م ، ص ٢٨

الأخرى التي تعرفت عليها بعد ذلك ، وغير ذلك من التساؤلات المتعلقة
واللازمة بتحقيق و النصوص اليمنية عن الحملة الفرنسية على مصر
ونشرها .

ومؤرخنا الذي نقف عنده هو د الفقيه العلامة الحافظ المؤرخ الفهامة
لطف الله بن أحمد لطف الله بن أحمد جحاف اليمني الصنعاني ، ومولده
بصنعاء في نصف شهر شعبان ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م)^(١) . وكما كان مولده في
صنعاء فقد نشأ وتلقى العلم بها ، من جماعة من علماء العصر منهم الشيخ العلامة
السيد علي بن إبراهيم عامر د والسيد العلامة علي بن إبراهيم بن عبد القادر ،
 وغير هؤلاء من أعيان العلماء^(٢) . وكان من جملة هؤلاء أيضاً شيخ الاسلام
العلامة محمد بن علي الشوكاني ، صاحب المؤلفات العديدة التي اشتهرت على
مستوى العالم الاسلامي ، والذي قدم لنا ترجمة وافية لتلميذه النابه لطف الله
جحاف ، فقد قال عنه أنه « قرأ على في النحو والصرف والمنطق والمعاني
والبيان والأصول والحديث ، وبرع في هذه المعارف كلها ، وصار من أعيان
علماء العصر وهو في سن الشباب ، ودرس في فنون ، وصنف رسائل أفرد
فيها مسائل ، ونظم الشعر الحسن وغالبه في أعلى طبقات البلاغة ، وباحث
كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على
مشايخه أو بعضهم ، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة »^(٣) . ويواصل

(١) محمد بن محمد زيارة : نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث
عشر ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

(٢) محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ،
ص ٦٠ .

(٣) نفس المرجع : ص ٦١ .

الشوكاني الحديث عن تليذه ، ويشيد بمقدرته على الحوار العلمي ، فيقول « وقد كتب إلى من ذلك بكثير بحيث لو جمع هو وما أكتبه عليه من الجوابات لكان مجلداً ، ولعل غالب ذلك محفوظ لديه وعندى منه القليل ، ^(١) . كذلك أطلب الشوكاني في وصف قدرات تليذه العلمية وامكانياته الشخصية ، وذلك دون مبالغة أو زيادة ، إذ أبرز في آخر الترجمة نواقصه وعيوبه دون مواربة فقد وصفه بقوله « وهو قوى الإدراك ، جيد الفهم ، حسن الحفظ ، مليح العبارة ، فصيح اللفظ ، بليغ النظم والنثر ، ينظم القصيدة الطويلة في أسرع وقت بلا تعب ، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تروى ^(٢) ولا تفكر وهو طويل النفس تمتع الحديث كثير المحفوظات الأدبية ، لا يتلثم ولا يتردد فيما يسرده من القصص الحسان ، ولا ينقطع كلامه بل يخرج من الشيء إلى ما يشبهه ثم كذلك حتى ينفذ المجلس وإن طال ، وله ملكة في المباحث الدقيقة مع سعة صدر ، وإذا رام من يباحثه أن يقطعه في بحث لم ينقطع بل يخرج من فن إلى فن ، وإذا لاح له الصواب انقاد له ، وفيه سلامة صدر زائدة بحيث لا يكاد يحقد على من أغضبه ، ولا يتأثر لما يتأثر غيره بدونه ، وهو الآن من محاسن العصر ، وله إقبال على الطاعة وتلاوة القرآن بصوته المطرب ، وفيه محبة للحق لا يبالي بما كان دليله ضعيفاً وإن قال به من قال ، ويتقيد بالدليل الصحيح وإن خالفه من خالف ، وهو الآن يقرأ على صحيح البخاري ، وفي شرحي « للمنتقى » (لابن تيمية) ، وقد سمع مني غير هذا من مؤلفاتي وغيرها ، ^(٣) . وبهذا الوصف الطويل العميق يضعنا

(١) محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ص ٦١ .

(٢) كذلك الأصل وصحتها : بلا تروى .

(٣) محمد بن علي الشوكاني : نفس المراجع ، ج ٢ ص ٦١ .

الشوكاني أمام شخصية علمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من دلالات ، وخاصة لأنها صادرة من شيخ المؤرخ وأستاذه . ومن جانب آخر ، قدم لنا أحد تلاميذ المؤرخ ترجمة أخرى نقلها المؤرخ محمد زبارة ، فقد قال عاكش الضمدي « لقي عدة من علماء اليمن وغيرهم ، فاستفاد منهم وأفاد ، وكان جانحاً للخمبول (١) ، زاهداً عن المناصب ، قانعاً باليسير من دنياه ، ثم هجر العلوم المتعارفة كلها كالصرف والنحو والمعاني والبيان ، وانقطع إلى كتاب الله تعالى ، واستخرج من اللطائف والمعارف البحر العباب ، وألف تفسيراً سماه « العلم الجديد » (٢) . » . ويلاحظ أن هذا التلميذ المختص قد أضاف إلى معلوماتنا شيئاً جديداً عن أستاذه يتمثل في الإشارة إلى المؤلف الجديد الخاص بالتفسير الذي نبه إليه في نهاية عبارته ، إذ أن هذا المؤلف لم يرد ذكره لدى من ترجم حياة لطف الله جحاف مثل الشوكاني وزبارة أو حتى كعالة في كتابه « معجم المؤلفين » عند ذكره لمؤرخنا هذا (٣) .

نخرج من هذا كله أن لطف الله جحاف كان صنعاني المولد والنشأة - بل والاقامة حتى الوفاة - فأفاده هذا في أن يكون قريباً من رجال العلم فهل من عليهم ما شاء ، وفي أن يكون قريباً من رجال الحكم والسياسة فاستمت مداركه وخبراته بالحياة ، وأخرج لنا مؤلفاته التاريخية الكبيرة التي سفتححدث عنها فيما بعد . ويتضح لنا هنا أيضاً أن مؤرخنا هذا كان يتمتع بكل الصفات التي تتمتع بها الشخصية العلمية ، مثل دقة البحث ، والاتصال بمعاصريه من العلماء والحوار معهم ، والبحث عن الحقيقة مهما كلفه ذلك .

(١) يقصد أنه كان بعيداً عن حب الظهور .

(٢) محمد بن محمد زبارة : دليل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ،

ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) عمر رضا كعالة : معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، ج ٨ ،

ص ١٥٣ .

من جهد ، وسعة الصدر للوصول إليها ، وتقبله للنقد دون خوف ، مع سعة
الاطلاع على علوم عصره ، وقدرة على الحفظ والفهم ، وغير ذلك مما شهد
به أستاذة الشوكاني .

وقد أفادته الحياة في صنعا أيضاً بتوطيد علاقته بحكامها مثل
الوزير الحسن بن علي حنش والإمام المتوكل ثم ولده المهدي ، فقد
كانت تسودها الود والتقدير والاحترام ، وإن أثار هذا حسد وحقد
زملائه من العلماء والفقهاء كما سنرى . وقد صور لنا الشوكاني جانباً
من هذه العلاقات بقوله : « وقد اختص بالوزير العلامة الحسن بن علي
بن حنش وصار لديه بمنزلة ولده لا يفارقه في غالب الأوقات ، وتستمر
المباحثة بينهما في عدة فنون ، وإذا طال بينهما الخلاف أشر كافي في البحث
وأرسلا إلى مما تحصل من ذلك فأكتب ما يظهر وأرجعه إليهما » (١) . وفي
مجال آخر يذكر أن : « صاحب الترجمة - أي مؤرخنا - صار الآن متصلاً
بمولانا الامام المتوكل على الله أحمد بن المنصور وله عنده حظ
وافر » (٢) .

ويعنى ماسبق أن لطف الله جحاف لم يكن صنعانيا يعيش الحياة الزاخرة
التي تموج بها دائماً حياة العواصم فحسب ، بل أيضاً عاش عند قمة الحياة
العلمية والسياسية في صنعا ، فانعكس هذا من ناحية على إنتاجه العلمي الذي
خلفه لنا كما سنرى ، كما انعكس من ناحية على علاقاته بزملائه العلماء
أو بمعاصريه من القادة والحكام . وشأنه في ذلك شأن من يصل إلى القمة
دائماً ، إذ تظل حياته تتقاذفها رياح الشد والجذب ، وتحيطها مشاعر الحب

(١) محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢

ص ٦١ و ٦٢ .

(٢) نفس المرجع .. ص ٦٩ .

والعداء ، وتعبت بها تيارات الود والصدام . وقد حدث هذا مؤرخنا بوضوح فقد هاجمه شيخه وأستاذه الشوكاني في نهاية الترجمة التي قدمها له هجوما عنيفاً لا ذعاً ، ووصفه بصفات مشينه غير لائقة . فقد اتهمه بأنه استغل علاقته بالحكام والأئمة في الوشاية بأصدقائه ومعارفه بل وأقرب الناس إليه مثل الوزير الحسن بن علي الحنشل ، كما مال إلى الترفع والتعالى على من كان يتقرب إليهم من قبل من هؤلاء الأصدقاء ، بل ووصل إلى حد مكاشفة من يقدر على مواجهته بالمكروه ، أو الدس في السر ضد من لم يقدر على مواجهته . وزادت مساوئه - كما يقول للشوكاني - في أنه سمح لنفسه بالتعدي على الوصايا والأوقاف فيأخذ أكثرها لنفسه ويحرم الضعفاء من مصارفها ويصول عليهم بالاتصال بالامام (المتوكل) (١) . ويواصل الشوكاني فذفه له فاتهمه بأنه وصل إلى درجة الغرور العلى ، وإلى محاولة الظهور باستمرار ولو عن طريق الجدل المجرد والمغالطة في المسائل العلمية إلى الحد الذي كان يضحك الناس منه ، وإلى أنه كان لا يلتصع بنصائح شيخه ، حتى وصل الأمر إلى أنه صار يتكلم في مواقف الامام بمسائل فيها الترخيص فيما حرمه الله تحجيباً وتقرباً بحيث أن السامع اذا سمعه اقشعر جلده ، وكان يتجنب ذلك في حضوري كثيراً ويفعله إذا غبت (٢) . وقد تصاعدت التهم المنسوبة إلى مؤرخنا حتى اشتهر عنه أنه اشتغل بالجاهوسية لحساب الامام المتوكل حتى على وزرائه ، وأنه ربط نفسه بوزراء السوء يداهم ويتملقهم ، وذلك بعد وفاة الامام المتوكل وتولى ابنه المهدي الحكم بعده ، إذا لم تكن له المسكنة لدى المهدي كما كانت له لدى والده المتوكل حتى أن هؤلاء الوزراء استعملوه لخدمة أغراضهم الخاصة فنسبوا إليه ما يناسب أطباعهم من الفتاوى الشرعية.

(١) محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بجاسن من بعد القرن السابع ،

ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) لفتي المرجع ص ٧٠ .

ولاشك أن هذه التهم تشين مؤرخنا إذا صحت ، وتجعلنا نقف عندها بعض الوقت ، ذلك لأن الصفات الشخصية تسحب نفسها في أغاب الأحيان على الإنتاج العلى لصاحبه وتؤثر فيه ، وهذا هو ما يهمننا من وراء إثارة قضيه التهم الموجهة إلى مؤرخنا هذا ، التى ذكرها معاصره الشوكانى .

ويبدو أن الشوكانى هنا قد تناقض مع نفسه ، فقد ذكر عن لطف الله جحاف فى بداية ترجمته ما يختلف تمام الاختلاف عما ذكره فى نهايتها ، ويبدو أيضاً أنه أدرك ذلك ، فدافع عن نفسه بقوله : « وما ذكرت ههنا لاحقاً . كما أنى ما ذكرت فى أول الترجمة لاحقاً ، ولكن اختلفت الأحوال فاختلف المقال ، وبعد مضى قريب سنتين من خلافة مولانا الامام المهدي أودعه الحبس وتشفعت له فأطلق ، وأبعده من حضرته فآله يصلحنا ويصلحه »^(١) . فهو يؤكد هنا صدق موقفه ، أى عندما أشاد بمحاسن لطف الله جحاف فى البداية ، وعندما أبرز مساوته فى النهاية ، ولكنه فى نفس الوقت يعزو ما حدث من تغيير فى صفات مؤرخنا وسلوكه إلى تغيير الظروف والأوضاع التى مر بها المؤرخ وعاشها والتى قادته بعمقها وتناقضاتها إلى الهوة التى انتهى إليها فى أخريات حياته .

وتفسير الشوكانى هذا فيه شيء كبير من الصحة فتغير الظروف فى أغلب الأحيان يؤدى إلى تغير الأوضاع ، وخاصة لما عرف فى النفس البشرية من ضعف ، كما تكرر عبر التاريخ انخراط بعض العلماء عن جادة الصواب ، لانزلاقهم فى مهاوى السياسة ، أو بلوغهم فى جمع الثروات . وربما كان الشوكانى محقاً فى بعض ما التهم به لطف الله جحاف وخاصة من ناحية ما أصابه من غرور وما يؤدى إليه من سقطات ، فمؤرخنا حقق ما حققه من نجاح

(١) محمد بن على الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ،

علمي وسياسي في وقت قصير ، إذ توفي وهو لم يتجاوز من العمر أربعة وخمسين عاماً . غير أنا نشتم من حديث الشوكاني الكثير من المبالغة إذ أن أغلب المساويء التي عددها عن تلميذه وصلته عن طريق الاستماع ، وليس عن طريق المشاهدة العينية أو المواجهة ، وذلك كما اعترف هو في حديثه سالف الذكر أن لطف الله جحاف كان يتجنب الافتاء غير الصحيح في حضوره ، وأنه ظل يكن لأستاذه الاحترام العميق ويطلق عليه شيخ الإسلام . ومن ناحية أخرى ، فإن الانتاج العلمي الغزير والعميق الذي تركه مؤرخنا يجعلنا نشك في أنه تفرغ للدسائس ومؤامرات القصور ، إذ أن هذه الأمور تحتاج من أصحابها الوقت الطويل والتفرغ لحبكها . وربما ترجع مبالغة الشوكاني — التي نقف عندها — إلى ما ذهب إليه الأخ عبد الله الحبشي ، إذ قال : « ولا نجد لهذا سبباً سوى أنه لما ارتفعت مكانة العلامة لطف الله جحاف وأصبح من علماء الدولة الكبار داخل الشوكاني مانعه عند أصحاب الحرفة الواحدة من حقد وغيرة »^(١).

وأخيراً فقد كانت وفاة لطف الله جحاف في صنفاء أيضاً في عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) (٢).

مؤلفاته ومنهجه التاريخي :

وقد ترك لنا — عند وفاته — تراثاً كبيراً كما أشرنا ، يتمثل في عدة مؤلفات ذكرها من ترجم له^(٣) ؛ كما ذكر هو بعضها — مع قليل من الوصف

(١) عبد الله الحبشي : تاريخ الدعوة الوهابية من غطوط يعني ، مجلة العرب ، المجلد ١ ، السنة السابعة ، وجب ١٣٩٢هـ ، أغسطس ١٩٧٢م ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) محمد بن محمد زبارة : ليل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) نقصد بصفة خاصة كل من محمد بن علي الشوكاني ومحمد بن محمد زبارة .

والتعليق - نخلال مقدمة كتابه «درر نحور الحور العين» (١). غير أننا لم نستطع الاطلاع عليها جميعها لعدم تواجدها بين الأيدي الآن ، أما انضياعها عبر السنين والأحداث ، واما لاختفائها في المكتبات الخاصة داخل البيوت .

ويلاحظ أن مؤلفات لعطف الله جمحاف تعكس طبيعة العلم والثقافة في عصره فكلما كان تعليمه موسوعيا ، فقد كانت مؤلفاته كذلك ، إذ ألف في التاريخ والحديث والفقه والتفسير والأدب ، كما نظم الشعر الجيد بشهادة أستاذه الشوكاني . فله كتاب « المرتقى إلى المنتقى » ، شرح فيه كتاب « منتقى الآثار » لابن تيمية ، ويوجد الجزء الأول منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، ويقع في ٢٥٠ ورقة ، ويبدو أن هذا الشرح نتاج قرأته لكتاب « المنتقى » مع شيخه الشوكاني كما جاء في الترجمة الخاصة به . وله كتاب « ديباج كسرى فيمن تيسر من الأدب لليسرى » وكتاب « العباب في تراجم الأصحاب » ، وهو كتاب تراجم كما يتضح من عنوانه ، وقد قال عنه في مقدمة كتابه « درر نحور الحور العين » أن : « فيه ما في هذا الكتاب من الأعلام وغيرهم من أولى النهى والأحلام » (٢) . وله كتاب بعنوان يلتفت النظر هو « فنون الجنون في جنون المغنون » ، ويبدو أنه كتاب في النقد ألفه في أخريات حياته كما يظهر من العبارة التي أشار فيها إليه في مقدمة كتاب « درر نحور الحور العين » أيضاً ، فقد قال : « ذكرت فيه عدة من الأكابر واعترضت كثير من معارفهم التي أودعوها بطون الدفاتر » (٣) . وله كتاب « قرّة العين بالرحلة إلى الحرمين » وقد كتبه بعد حجته عام ١٢١٧ هـ ، وهو ليس من قبيل كتب أدب الرحلات فحسب ، بل ترجع أهميته إلى مادته العلمية أيضاً ، وقد وصفه صاحبه في المقدمة سالفة الذكر أيضاً بقوله : « وهو على صغر حجمه مفيد في أخبار

(١) المقدمة : ص ٣ ، ٣ ب . (النسخة الثانية) .

(٢) مقدمة المؤلف لكتاب « درر نحور الحور العين » : ص ٢ ب . (النسخة الثانية) .

(٣) مقدمة المؤلف لكتاب « درر نحور الحور الدين » ص ٢ ب . (النسخة الثانية) .

الامم (١) ، . وله كتاب في التفسير أيضا ، وهو الذي أشار اليه تلميذه عاكش الضمدي ؛ بعنوان « العلم الجديد » ، كما سبق أن رأينا خلال الترجمة .

أما كتاباته التاريخية فقد سطرها في كتابين كبيرين ، الأول بعنوان « التاريخ الجامع » (٢) ، وهو الذي أكل فيه ما وضعه السيد علي بن صلاح الدين الكوكباني من كتاب « أبناء الزمن في تاريخ اليمن » ، ليحيى بن الحسين بن القاسم ، وقد أوصل لطف الله ججاف في هذا الكتاب تاريخ بلاده إلى عهد الإمام المهدي الذي عاصره . والكتاب الثاني بعنوان « درر نحور العين بسيرة الامام المنصور وأعلام دولته الميامين » ، وهو الكتاب الذي استخرجنا منه النصوص الخاصة بالحلة الفرنسية على مصر ، ويقع في مجلد تتجاوز صفحاته الخمسة .

ولأهمية هذا الكتاب ، ولإعتادنا عليه في هذه الدراسة ، فهو يحتاج إلى نظرة خاصة نبرز فيها محتوياته ومنهجه وفهم مؤلفه للتاريخ إلى جانب أسلوبه وغير ذلك من المعلومات المتعلقة به حتى تتضح أمامنا شخصية المؤرخ وطبيعة كتابه .

نؤكّد كتابات لطف الله التاريخية - كما يتضح من كتابيه سالف الذكر أن صاحبها كان ابناً مخلصاً لمدرسة التاريخ الإسلامية التي كانت سائدة إلى عصره ، بل وظلت متبعة في اليمن بوجه خاص إلى سنوات قريبة ، وتنصف هذه المدرسة بتقسيم الأحداث حسب الحوليات ، والاهتمام بذكر الأخبار وتوثيقها ، مع ترتيبها ترتيباً زمنياً ومع قليل من التعليقات ، أكثر من الاهتمام

(١) نفس المقدمة : ص ١٣ . (النسخة الثانية) .

(٢) ذكر لي القاضي حسين السياغي وكيل وزارة العدل اليمنية وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية أن هذا الكتاب كان مشهوراً بين المهتمين بالتاريخ بعنوان « الأحداث » .

بموضوعية الحوادث ، وربط الأحداث وتحليلها وتفسيرها . فقد التزم مؤرخنا - كما فعل معاصروه مثل عبد الرحمن الجبرتي - بتقسيم كتاباته التاريخية إلى سنوات . وليست إلى أبواب وفصول ، وأصبحت السنة هي عنوان الفصل أو البديل له في الواقع . وقد اضطره ذلك - كما فعل معاصروه أيضاً - إلى تقسيم الموضوع الواحد إلى مجموعة من الأخبار والأحداث حسب وقوعها ، فيذكر الموضوع مفتتاً طبقاً للترتيب الزمني دون التمسك بالوحدة الموضوعية . وتبعاً لذلك - وتوخياً للدقة - نجده يقسم السنوات إلى شهور ، والشهور إلى أيام ، وخاصة بالنسبة للأحداث القريبة منه ، أو التي عاصرها ، وخاصة أنه كان قريباً من رجال السلطة والسياسة كما ذكرنا في ترجمته . ونتيجة لهذا كله ، فقد وقع الخلط في كتاباته التاريخية بين الأحداث الداخلية الخاصة باليمن ، وبين أحداث البلدان الأخرى - أي الأحداث الخارجية - التي اهتم بتجميعها وتسجيلها .

هذه هي الملامح العامة للمدرسة التاريخية التي تأثر بها لطف الله جهاد وهذا هو منهجه الذي التزم به في كتابه ودرر نحور الجور العين بسيرة الإمام المنصور على وأعلام دولته الميامين . وهو كما يتضح من عنوانه خاص بتاريخ اليمن في عهد الإمام المنصور على بن المهدي العباس ، مع ذكر تراجم رجالات دولته في نهاية كل عام . وطبقاً لالتزامه بالمنهج التاريخي السائد في عصره ، فقد قسمه إلى مقدمة وعدة أقسام حسب سنوات عهد الإمام المنصور الممتدة من ١١٨٩هـ إلى ١٢٢٤هـ (١٧٧٥ - ١٨٠٩ م) . وجعل كل سنة وكأنها فصل قائم بذاته ، ولم يجعل مؤرخنا كتابه وفقاً على تسجيل أخبار اليمن الداخلية في تلك الفترة ، بل زوده بما كان يصله - أو يسمعه أو يقف عليه - من أخبار العالم الإسلامي ، شأنه في ذلك شأن المؤرخين المسلمين الكبار الذين تجاوزت كتاباتهم أخبار بلدانهم المحلية . وقد جمع - كما أشرنا - في سياق واحد بين أحداث اليمن المحلية ، وبين

الأخرى الخارجية ، نظراً لالتزامه بمنهج الحوليات . لهذا فقد عثرنا على أخبار الحملة الفرنسية على مصر - على سبيل المثال - متناثرة بين باقى الأحداث بما اضطررنا إلى التنقل بين صفحات الكتاب لالتقاط مجموعة النصوص الخاصة بها .

وقد أشار المؤرخ فى المقدمة إلى « شمولية » كتابه ، وأنه لم يقتصره على أخبار اليمن فحسب ، فقال : « ولم يقتصر على حوادث اليمن ، ولا حست التراجع على من هذا القطر قطن ، بل ذكرت من عارض المنصور من الصدور ، وشرحت كثيراً من أحوال أهل الآفاق الحرة أخبارهم بأن تفرد بمسطور ، وذكرت عدة حوادث من التهايم والجبال والحجاز والحرمين والعراقين ومصر والشام والروم والسند والهند والغرب بعد الفحص والتفتيش ، والبحث الكامل عما حصل فيه التشويش » (١) . ولا شك أن اهتمام لطف الله جمحاف بتقصى أخبار العالم الاسلامى وتسجيله زاد من أهمية وعمق كتابه ، وجعله يضاهى الكتب التاريخية الكبيرة التى عاصرتة ، بل لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن مؤرخنا يقف على قدم وساق مع مؤرخ كبير مثل عبد الرحمن الجبرتي فى مصر من حيث القدرة على التأليف ، وأن قل عنه من حيث الشهرة والسمعة . ولا يرجع ما ذهبنا إليه إلى مادونه المؤرخ اليمنى من أخبار العالم الاسلامى فحسب ، بل يرجع أيضاً إلى قدرته على التسجيل والتقصى والتدقيق بالنسبة لأخبار اليمن المحلية . فكتابته هذا يعتبر سجلاً وافياً مفصلاً لتاريخ اليمن فى عهد الامام المنصور ، أو بمعنى آخر لمدة خمسة وثلاثين عاماً من تاريخ اليمن . فهو لم يترك شاردة أو واردة إلا وأحصاها ، فقد تتبع منازعات الامام المنصور مع القبائل المختلفة لتدعيم سلطته واهتم بذكر أخبار العزل والتولية لموظفى الدولة

(١) المقدمة : ص ١٣ . النسخة الثانية .

وبذكر إيرادات الدولة ومصروفاتها بل ويذكر أحوال اليمن المناخية وخاصة سقوط الأمطار إلى غير ذلك من التفاصيل المتنوعة التي تغني تاريخ اليمن في تلك الفترة أيما إغناء . ويذكرنا هذا المؤرخ وكتابته القيم بما انتهينا إليه من رأى قبل ذلك ^(١) ، وهو أن اليمنيين قد كتبوا تاريخ بلادهم -- بشكل واف عميق -- على طول فتراته وخاصة الفترات الإسلامية وإلى عهد قريب ، وإن بقي هذا التراث الكبير مخطوطا متناثرا إلى الآن ينتظر الجمع والدراسة .

وقد رسم مؤرخنا أيضاً منهجه بالنسبة للتراجم التي أثبتنا في هذا الكتاب ، فقال - بعد أن ذكر منهجه بالنسبة للتراجم في كتابه الأخرى - « ولما أذكر في هذا من عرفت وفاته ، وقد أذكر مولده إن تيسر ، وربما سنح ذكر رجل من الأحياء ، ودعت الحاجة فيما يتصل به من أشياء ، ولكنه على سبيل النادرة ، وقد ذكرت الأفاضل الذين أدركتهم ، وشاهدتهم ، وأخذت عنهم ومن كان في زمني أو تقدم قليلا من الملوك والأمراء والوزراء ، وغيرهم من لهم شهرة ظاهرة ليطلع على أحوالهم من يأتي بعدى ، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن فيه التصحيف على الظريف ، وذكرت لأهل التراجم ما سمعت منهم ، أو حدثني الغير عنهم ، وجمعت في الأخبار ما بين فائدة وعائدة ، وحلم وجمل ، وجد ومجون ومعقول وجنون ، ومنظوم ومنثور ، ومضحك ومبك ، وموعظة ونسك ، وأثبت ما وقع من مكاتبة الملوك والطوائف ^(٢) » ، ثم واصل حديثه فيشير إلى من اعتنى بالتراجم في عصره - مثل القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن وشيخ الإسلام العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني ، والسيد العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد بن حسين صاحب كوكبان ، والعلامة إبراهيم بن عبد الله الحوشى ، والعلامة علي بن قاسم حنش - وفي واقع الأمر فإن ذكره

(١) راجع كتابنا : « المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول » .

(٢) المقدمة : ص ٢ ب (النسخة الثانية) .

لهؤلاء يعبر عن أمانته العلمية ، فهو لم يغمط حقهم ، بل على العكس أبرز
أسماءهم وأشاد بمؤلفاتهم (١) .

ولإى جانب « الشمولية » التى أسننها لمؤرخنا من خلال كتابه هذا كما
أشرنا ، فيمكن أن نصفه أيضاً « بالعلمية » ، التى استطاع أن يؤكد بها بوضوح
كذلك . فقد رسم خلال مقدمته أيضاً الغرض من تأليف الكتاب ، ومنهجه
فيه ، بل وتواضع فى تقديم كتابه التواضع العلمى المطلوب من العلماء ، ثم
التزم بمنهجه طوال الكتاب التزاماً دقيقاً ، هذا بالإضافة إلى دقته وعمقه فى
تقصي الحقائق كما يتضح من بين صفحات وسطور الكتاب . فقد قال فى المقدمة :
« أما بعد ، فهذا مختصر لطيف ، ومؤلف نحيف (٢) » ، لم يسألنى أحد أن أضحه ،
ولا عول على فرد من الناس أن أجمعه ، مقصور على دولة الإمام المنصور ،
فى حوادث أعوامه والشهور ، واتبعت فيه من يستحق الإنبات فى مسطور ،
وربما ذكرت من لأعلمه بالحال المشهور :

لعلمى أن خيرى عنده من عجائبه التى خفيت غرائب

وربما قال القائل قصرت فى فلان ، وطولت فى فلان ، وأهملت فلان ،
مع أنى لو بلغت فى وصفهم الغاية التى لا تدرك ، لم أسلم من القيل والقال على
كل حال ، والضعف من شأن ابن آدم فيما فعل وقال ، وإنك أبها المطلع ربما
رأيت ، « لا تستحسن » ووقفت على ما تجزم بأنى فيه مسيء غير محسن ، فاعذرنى
فإنى لست بالرجل ، وسأل الله لى العافية وقل :

غفر الله للدورخ لطف الله فيما جناه بين يديه

وعفا عنه كل ما كان قد فرط فى دهره وعن والديه

(١) المقدمة : ص ٢ ب ، ٣ أ (النسخة الثانية) .

(٢) مزيد من تواضع المؤرخ ، فكتابه عبارة عن مجلد ضخم .

ومحا عنه سيئات ولا توثا خذه فيما فيه فاه بفوه

وتجاوز فيما وقعت عليه من الغلط ، فر بما كثر في الشخص اللغظ ، وتباينت
عند المؤرخ الأوصاف في ذلك النمط ، فأقام من أقعده الحظ وخط وأقعد
من أقامه العلا في الوسط :

فإذا قلت في قتي غير ما فيه من لغظ
فانا عائد على النفس باللوم في الغلط

وقد أثبت لك أيدك الله بتوفيقه ، وجعلك من خاصة الخلاصة في طريقة ،
أموراً جمّة من حوادث السنين ، وذكرت لك كثيراً من الأحوال الأدباء
والعلماء والمتعلمين والعمال والمتولين ، ولم أدع الإحصاء ، ولا أن الخبر كان
بهذا الدقة المستقصى ، وإنما جعلته للإيقاظ وقرع العصى ، على أنى لقصور باعى ،
وقلة اطلاعى ، لو جازيت غيرى ، لتهقرت في سيرى ، (١) . وهكذا يواصل
المؤرخ عرض منهجه في أسلوب متواضع يعتذر فيه عن التقصير وعدم
الإجادة . وما يلفت النظر بالنسبة للمؤرخ ويزيد من تقديرنا له ولقدراته
العلمية ، هو صفاء ذهنه الذى ظهر في التزامه بالمنهج الذى رسمه لنفسه طوال
صفحات الكتاب ، فهو يرى أن كتابه كتاب أحداث وأخبار وليس كتاب
تراجم ، وأن التراجم التى حرص على ذكرها إنما يضعها في نهاية أحداث
كل عام كمادة غيره من المؤرخين المسلمين ، وأنه لا يريد الخلط بين الأحداث
والتراجم فتضيع هذه بين تلك أو العكس بالعكس . لهذا وعلى سبيل المثال -
نراه ينوه إلى ذلك عندما اضطر إلى الخروج عن منهجه كما أشار بنفسه في ثنايا
أحداث عام ١٢١٣ هـ ، فقد قال : « وفي أول رجب من هذا العام نصب

(١) المقدمة : من ١ ب ، ٢ أ (النسخة الثانية) ، ويلاحظ أن بعض أبيات هذا النص
مكسورة غير موزونة ، وبعض الكلمات غير معربة لإعراباً صحيحاً .

الإمام لفصل الختام على بن عبد الله الجلال الهاشمي وأحمد بن يوسف زبارة الهاشمي وضمهما إلى من بالديوان من الحكام^(١)، وعند ذكرنا لها ترجمتهما، وإن كان على غير شرطنا في هذا الكتاب^(٢)، فهو في العبارة الأخيرة - كما يتضح - يعتذر عن الخروج على المنهج الذي رسمه لكتابه ، مع الإشارة إلى هذا الخروج في حينه .

اختيار النسوة الأسماء :

وإلى هنا ربما يكون قد اتضح أماننا ترجمة حياة المؤلف ، ثم مؤلفاته بوجه عام ، ومؤلفاته التاريخية بوجه خاص ، كذلك المدرسة التاريخية التي انتمى إليها مؤرخنا ، وفهمه لمعنى التاريخ ، ومنهجه في التأليف التاريخي ومدى التزامه به ، وأخيراً منهجه وأسلوبه اللذين التزم بهما في كتابه الهام « درر نهور الحور العين » . غير أنه يبقى الآن التحدث عن طبيعة نسخ هذا الكتاب التي عثرت عليها ، وكيف حددت النسخة الأم منها ، والأساس الذي بنيت عليه اختياري لها ، مع المقارنة بينها وبين النسخ الأخرى ، وذلك قبل التحدث عن محتويات النصوص التي أقوم بنشرها .

وبوجه عام يحتاج تحقيق إحدى المخطوطات ونشرها نشرأً عليها إلى حصر النسخ المختلفة لهذه المخطوطة إذا تعددت ، وترتيب هذه النسخ بناء على أهميتها ، ثم مقارنتها بعضها ببعض . وتتوقف هذه الأهمية على أساس قربها من المؤلف أو بعدها عنه ، وطبقاً لذلك تعتبر أهم نسخة من نسخ إحدى المخطوطات هي النسخة التي كتبها المؤلف بخطه وتعد النسخة الأصلية ، وهي التي يعتمد عليها - إذا وجدت - عند التحقيق . وبإلى هذه النسخة من حيث الأهمية ، تلك التي نسخت في حياة المؤلف ، وأثبت بخطه أنه اطلع عليها ،

(١) . مازال إلى الآن في اليمن يطلق لقب حاكم وحكام على القاضي والقضاة الشرعيين ، أما الحاكم المدني فيطلق عليه لقب « عامل » وهي ألقاب ترجع إلى العصور الإسلامية .

(٢) كتاب درر نهور الحور العين : ص ٢٠٨ (النسخة الأولى) .

أو وضع بها بعض التصحيحات أو التعليقات ، وتأتي بعد هذه النسخة أهمية ،
النسخ التي نقلت عن نسخة المؤلف في حياته ثم التي بعد وفاته ، وفي الحالة
الآخيرة تفضل التي يقترب تاريخ نقلها من عهد المؤلف على غيرها من النسخ
المتأخرة من عهده ، إلا إذا توفرت شروط أخرى مثل جودة نسخها ، أو مثل
الثقة في ناسخها ، كأن يكون عالماً متخصصاً في موضوع المخطوطة التي ينسخها .

وعلى هذا الأساس ، وعلى ضوء ما جاء بكتاب الأخ عبد الله الحبشي
وهو « مراجع تاريخ اليمن » (١) ، فإنه كان لازماً معاملة النصوص الخاصة بالجملة
الفرنسية على مصر - عند النشر والتحقيق - معاملة المخطوطات ، وذلك لتعدد
النسخ المخطوطة من كتاب « درر نوحو الحور العين » ، فقد جاء في كتاب « مراجع
تاريخ اليمن » ذكر لمؤرخنا لطف الله جحاف مع ذكر لكتابه سالف الذكر ،
وأنه يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة ، اثنتان في مكتبة جامع صنعاء الكبير ،
والثالثة بمكتبة الحبشي « بالقرية » بحضرموت ، وفي نفس الوقت لم يأت
ذكر نسخة السيد عبد القادر بن عبد الله التي بيده ، بل وفوجيء الأخ عبد الله
الحبشي بوجودها إذ لم يكن يعلم عنها شيئاً . فدل هذا كله على تعدد نسخ هذه
المخطوطة وعلى أنه من الضروري حصر هذه النسخ والاطلاع على ما أمكن
منها ، ومقارنة بعضها ببعض .

وفي رحلة البحث عن نسخ هذه المخطوطة في الفهارس العامة للمراجع
العربية ، وبين الأصدقاء اليمنيين . لم تسكشف هذه الفهارس عن وجود
نسخ أخرى بالمكتبات المختلفة (٢) ، وفي نفس الوقت عثرت على نسخة
أخرى لدى إحدى الأسر اليمنية .

(١) عبد الله الحبشي : مراجع تاريخ اليمن ، ص ١٢٨ .

(٢) مما يؤكد أن التراث اليمني مازال مجهولاً مبعثراً وأنه يحتاج إلى الجهود الكبيرة
لجمع شتاته وإعداده للدراسة ، أن مخطوطة « درر نوحو الحور العين » التي تعتبر إحدى

سبق أن أوضحت كيف حصلت على نسخة السيد عبد القادر بن عبد الله،

== ففأنته ، ظلت حبيسة المكتبات الخاصة لدى الأسر اليمنية الكبيرة حتى الآن ، ولم تعرف طريقها إلى المكتبات العامة أو إلى خارج اليمن إلا مؤخراً على يد بعثة دار الكتب المصرية التي زارت اليمن عام ١٩٦٥ ، وصورت بعض المخطوطات اليمنية على ميكروفيلم ، بل وزيادة على ذلك أن النسخة التي صورتها هذه البعثة أقل أهمية من النسخ الأخرى التي عثرت عليها وأقوم بدراستها حالياً إذ أنها كتبت بعد قرن من الزمان من وفاة مؤلفها ، كما أوضحت فيما بعد عند الحديث عن ترتيب هذه النسخ من حيث الأهمية . فهذه المخطوطة لم تظهر في فهرس مكتبة جامع صنعاء الكبير الذي سبق لمعداده في عهد الامام يحيى (١٩٠٤ — ١٩٤٨ م) كما لم تظهر في فهرس المكتبات الأجنبية والعربية التي تمتنى باقتناء المخطوطات العربية والتي رجعت إليها بدار الكتب اليمنية بصنعاء ، مثل فهرس المتحف البريطاني ومكتبة الأمير وزيانا ومكتبة صوفيا الوطنية البلغارية ، ومعهد المخطوطات العربية التابع لحكومة الدول العربية ودار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية بدمشق . وبالإضافة إلى ذلك فإن النسختين اللتين عرفتا طريقهما إلى مكتبة الجامع الكبير واللتين أشار إليهما عبد الله الحبشى في كتابه لم يعرفا هذا الطريق إلا بعد ثور، ١٩٦٢ ومصادرة مكتبات الأئمة وأبنائهم .

أما الفهارس التي عدت إليها للبحث عن هذه المخطوطة فهي :

- Cataloge Dei Manuscaitti Arabi Dei Nuovo Fondo Della Biblioteca Ambrosiana Di Milano, Compilato Dal Dott. Eugenio Griffini, Volume I., Codici I-475., Roma, 1910 — 1919.
- Catalogus Codicum Manuscriptorum Orientalium Qui Museo Britannico Asservantur, Pars Secunda, Codices Arabicos Amplectens, Londini, Impensis Curatorum Musei Britannici, MDcccLxxi.
- Supplement To the Catalogue of the Arabic Manuscripts in The British Museum, by Charles Rieu, PH D., London, 1894.

— دار الكتب المصرية : فهرست المخطوطات ، نشرت بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ — ١٩٥٥ ، القسم الأول والثاني والثالث ، ١٩٦١ و ١٩٦٢ و ١٩٦٣ ، تصنيف فؤاد السيد ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب .

— دار الكتب الظاهرية : فهرس المخطوطات ، التاريخ وملاحظات ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، وضعه يوسف العيش ، مطبعة دمشق ، ١٣٦٦ هـ ، ١٩٤٧ م .

— المجمع العلمي العراقي : مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية ، ==

وكيف صورت منها ما أرذت من النصوص ، خاصة بعد أن عثرت بها على السنوات التي تتضمن هذه النصوص ، وبعد أن أكد سيادته أن هذه النسخة هي نسخة المؤلف الأصلية التي كتبها بخط يده . وقد سبق أيضا أن ذكرت أن هذه النسخة ذات طبيعة خاصة ، نظراً لما لاحظته أثناء النظرة العاجلة التي ألقيتها عليها عند تحديد النصوص وتصويرها ، مثل اضطراب ترتيب السنوات ، ومثل ما شابها من الشطب الكثير والإضافات الهامشية الكثيرة . ويلاحظ أن صاحبها قد أثبت ملكيته لها في أولى صفحاتها ، فهناك نص يقول : الحمد لله ، هذا التاريخ الجليل للعلامة لطف الله بن أحمد جهاف رحمه الله تعالى في دول (أى ملك وحياسة) سيدى المولى العلامة نحر الآل عبد الله ابن على عبد القادر حفظه الله وعافاه آمين ، كتبه (أى هذا النص، ولده) عبد القادر بن عبد الله غفر الله لهما ، غير أن هذا النص لا يثبت صراحة - باستثناء الملكية الخاصة - أن هذا الكتاب إنما هو كتاب « درر نحر الحور العين » كما اعتقدت في البداية ، كما لا يتضح منها أيضاً أنه كتابه التاريخي الآخر الذى بعنوان « التاريخ الجامع » رغم أنه يحتوى على سنوات وحوادث تدل على ذلك ، ولكن كل ما تؤكد هذه العبارة هو أن هذا الكتاب إنما هو كتاب للتاريخ ، وأن مؤلفه هو لطف الله جهاف . ولكنى فى واقع الأمر تعاملت مع هذه النسخة باعتبار أنها نسخة كتاب « درر نحر الحور العين »

= تصنيف الدكتور يوسف عز الدين ، مطبعة الجميع العلمى العراقى ، بغداد ١٣٨٨ هـ

١٩٦٨ م .

— فهرست كتب الخزانة المتوكلية العامرة بالجامع المقدس بصنعاء ، طبع بمطبعة وزارة المعارف المتوكلية بصنعاء ، وضعه المرحوم القاضى محمد أحمد المجرى .

— معهد المخطوطات العربية : جامعة الدول العربية ، فهرست المخطوطات المصورة ،

قسم التاريخ ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

— تقرير اللجنة المصرية لتصوير المخطوطات العربية فى بلاد اليمن المقدم من رئيسها

الدكتور خليل يحيى نائى فى ديسمبر ١٩٥١ (ويحتوى أسماء المخطوطات التى صورتها اللجنة) ،

وزارة المعارف العمومية المصرية ، مطبعة الوزارة ، ١٩٥٢ م .

التي تضم بين طياتها النصوص المطلوبة وذلك حتى عودتي إلى اليمن ، ورجوعي إليها مرة أخرى ، لتأكيد الملاحظات التي لمستها منذ البداية ، والتي جعلتني أميل إلى أنها نسخة المؤلف الأصلية ، أو بالأحرى مسوداته (١) ، أو بالتعبير الحديث عبارة عن «الكروت» التي جمع بها مادته العلمية الكتابية ودرر فحور الحور العين ، و «التاريخ الجامع» معاً .

فقد لاحظت مبكراً ، أنه من ناحية ، أن سنوات هذه النسخة غير مرتبة ترتيباً زمنياً سليماً ، وأن بعضها يتسبق الآخر ، وبدأ أنها كانت بمجموعة أوراق أو كراسات سطرها المؤلف ثم جمعت خطأ إلى بعضها البعض عند التجليد . ومن ناحية ثانية ، فإن هذه النسخة مرقمة ترتيباً حديثاً متسلسلاً ، فهي مرقمة بالصفحة وليست بالورقة أو بالكراسة — أو حتى بدون ترقيم — كما هي عادة الأقدمين ، كذلك عبر شكل الأرقام ورسمها على حدائث الترقيم . ومن ناحية ثالثة ، هناك إضافات كثيرة على جانبي متن الكتاب ، وهي ليست عبارة عن كلمات أو عبارات قصيرة لتغطية جوانب السهو التي يقع فيها أي مؤلف ، بل هي إضافات طويلة لأخبار وموضوعات كاملة رغب المؤلف في إدخالها في متن كتابه . والجدير بالذكر أن كثيراً من النصوص الخاصة بالحلة الفرنسية على مصر وجدتها على جانب المتن وضعها المؤلف عند ترتيبها الزمني ثم وضع أهمها وعلامات تشير إلى مكانها في المتن ، وقد شاهدتها فيما بعد — في النسخة الثانية — قد أدخلت في المتن وأصبحت جزءاً من سلسلة أحداث الكتاب . ومن ناحية رابعة ، فهذه النسخة بدون مقدمة — وهي متوفرة في النسخ الأخرى — بل بدأها المؤلف مباشرة — بعد البسملة — بدخول عام ١٢٣١ هـ ،

(١) يطلق اليمينيون — في تعبيراتهم الدارجة — لفظ « المسخرة » على مسودة الشيء ، أما الكتاب الذي يتضمن أكثر من موضوع ، أو الذي يجمعون به مختارات وموضوعات شتى فيطلقون عليه لفظ « السفينة » أو « كناش » .

ثم أخذ يسرد الأحداث على عادته . ومن ناحية خامسة ، تقع سنوات هذه النسخة في الصفحات كالآتي :

— من صفحة ٢ — ٣٢ توجد سنوات : ١٢٣١ ، ١٢٣٢ هـ .
١٢٣٣ هـ .

— من صفحة ٣٢ — ١١٩ توجد سنوات : ١٢٠٦ إلى
١٢١١ هـ .

— من صفحة ١١٩ — ١٨٥ توجد سنوات : ١١٩٥
١٢٠٢ هـ .

— من صفحة ١٨٥ — ٢٩٢ توجد سنوات : ١٢١٢
١٢١٩ هـ .

— من صفحة ٢٩٢ — ٣٣٤ توجد سنوات : ١١٠١
١١٢٨ هـ .

— من صفحة ٣٣٤ — ٣٩٩ توجد سنوات : ١١٢٨
١١٦٤ هـ .

— من صفحة ٤٠٠ — ٤٠٥ توجد سنوات : ١٠٩٤
١٠٩٨ هـ ، وهي غير مرتبة .

وعما يلفت النظر هنا غير عدم ترتيب سنوات الكتاب ، هو تداخلها مع بعضها البعض في الصفحة الواحدة ، فبينما — على سبيل المثال — تنتهي أحداث ١٢٣٣ هـ في صفحة (٣٢) نجد أن أحداث ١٢٠٦ هـ — أي بداية مجموعة أخرى من السنوات — تبدأ في نفس الصفحة ، وهذا ينبغي أن هذه النسخة كانت عبارة عن عدة كراسات متفرقة ثم جمعت إلى بعضها البعض .

وبناء على هذه الملاحظات جميعها ، يتضح أن هذه النسخة هي نسخة المؤلف الأصلية ، وأنها مسوداته عندما بدأ في التفكير في كتابة تاريخ بلاده ، سواء تاريخ الفترة التي عاشها وعاصر أحداثها ، أو تاريخ الفترات السابقة له الذي أكمل به ما انتهى إليه المؤرخون السابقون ، كما يتأكد أن هذه المسودات إنما هي أصول كتابية ددر نحرور الحور العين ، ود التاريخ الجامع .

وما ذهبت إليه بالنسبة لقيمة هذه النسخة يؤكد ما سبق أن ذكره لي السيد عبد القادر بن عبد الله صاحبها ، وهي أنها النسخة الأصلية للمؤلف التي كتبها بخط يده . كذلك دعم ما انتهيت إليه بشأن هذه النسخة ، كل من القاضي على أبو الرجال والقاضي إسماعيل الأكووع ، فقد شغل القاضي على أبو الرجال نفسه بالاطلاع على هذه النسخة قبل أن يقوم بتصويرها أردت ، ودار حولها حوار بيني وبينه عندما التقينا . وقد نقلت هذا الحوار إلى القاضي إسماعيل الأكووع عندما أعدت إليه هذه النسخة ، فأيد رأينا لأنه كما قال قد تم له الاطلاع عليها قبل تسليمها لي . وقد انضم إلينا — بعد عودتي إلى اليمن — رابع هو الأخ عبد الله الحبشي ، فقد تعرف على خط المؤلف ، وانتهى رأيه إلى ما انتهينا إليه .

أما النسخة الثانية فهي نسخة جميلة الخط جيدة النسخ كما سبق أن أشرت ، ولا ترجع أهميتها إلى موضوعها لحسب ، بل إلى أنها كتبت في حياة المؤلف ، وعليها بعض التصحيحات والإضافات بخط يده ، التي وضعت إمامي هوامش الكتاب الجانبية أو بين السطور . ولا يتضح في أول النسخة أو في آخرها من هو كاتبها أو ناسخها فلم يشر إلى نفسه واسمه عند نهاية النسخ كما هي عادة النساخ الأقدمين ، وكل ما هنالك ، عبارة مقتضبة على هامش الصفحة الأخيرة نفسها د الحمد لله ، طالع محمد بن على الشوكاني غفر الله لهما (أى المؤلف) آمين،^(١)

وإن كان قد اتضح تاريخ نسخها كما سنذكر فيما بعد . غير أن ناسخها اعتنى بنسخها عناية فائقة فخطها واضح إلى حد كبير ، واهتم بوضع النقط والهمزات أكثر نسبياً مما في النسخة الأصلية ، كما زينها باستعمال الحبر الأحمر ، فكتب به بعض العناوين (أى السنوات) أو النقط والفواصل ، كما أحاط به بعض العبارات الهامشية التي يمكن أن نسميها عناوين جانبية . وعادة استعمال الحبر الأحمر إلى جانب الحبر الأسود عادة منتشرة بين الأقدمين ، وخاصة في النسخ الشخصية أو التي كانت تعد لتقديمها إلى الملوك والأمراء والشخصيات الهامة . كذلك حرص الناسخ على أن يكرر عبر الكتاب عبارة « قال المؤلف » ، وهي عادة مألوفة لدى القدماء عند النسخ ، كما كان يلجأ إليها المؤلفون أحياناً عند الانتقال من موضوع إلى آخر .

وتتميز هذه النسخة أيضاً بأنها نسخة كاملة للكتاب ، فهي تتألف من مقدمة وخاتمة وخمسة وثلاثين فصلاً ، أو بالأحرى سنة ، وهي سنوات حكم الإمام المنصور على . وقد أوضح في المقدمة - إلى جانب منهجه وغيره كما سبق أن أشرت - السبب في تأليف الكتاب ، فبين أنه يكمل ما بدأه علي بن قاسم الخنيس عندما أحجم عن مواصلة الكتابة ، فقال : « لما انتهى به التأليف إلى آخر عام الدولة المهدوية العباسية ، أحجم عن الانتقال منها إلى دولة الإمام المنصور ، وصار في حيرة من ذلك الأمر ، رأى أنه عظم فيها الخطب واتسع الخرق ، وزاد الكرب ، فكان قد عزم على وضع ديوانة يعتذر فيها عما جرى ، ويظهر أن ذلك الخطب الواقع من الوزراء ، ثم أضرب عن ذلك صفحاً ، وطوى كشعاً ، فانتدبت لوصف حوادث هذه الدولة ، وذكرت ما جرى بها (كذا) المهولة ، وأعهدت (تعهدت) أن أتحرى الصدق وأقول ، وخشيت من القيل والقال ، ونصحتني في الترك كثير من الأمثال ، فقصدت سيف الإسلام أحمد بن الإمام ، لا زال ظل عدله ممتداً على الأنام ، فأطلعته على كراس جعلته في عام تسع ومائتين وعام عشر ومائتين ، وهما متباينتان في الخوف

والأمان ، وقد كان فيهما من الأمر وكان ، فلما رآه استصوبه ، وعزم على أن أكمله ليستكتبه^(١) .

أما في نهاية النسخة ، فقد نص على ما يفيد بانتهائه من كتابه ، ذلك عند آخر ترجمة أحد الأعلام المتوفين في عام ١٢٢٤ هـ فقال : « وبتمام ترجمة محمد بن صالح نجز الكتاب على التمام ، وهو آخر من مات من الأعلام ، بدولة الإمام بن الإمام ، ونسأل الله حسن الختام »^(٢) . ويواصل الحديث تأكيداً لإنتهاء الكتاب فيقول : « وقد تمها المؤلف غفر الله له لذكر حوادث السنين والأيام ، بدولة الإمام بن الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين أحمد بن المنصور على بن المهدي لدين الله العباس »^(٣) . أى أنه سينتقل إلى تأليف كتاب آخر خاص بالإمام المتوكل وهو ابن الإمام المنصور الذي خصص له كتابه هذا .

وهكذا يتضح أن هذه النسخة كاملة ، وأن المؤلف قد راجعها ، وأن شيخه محمد بن علي الشوكاني قد طالعها . ومن ناحية أخرى فإننا نميل إلى أن ناسخها المجهول الذي لم يشر إلى اسمه في نهاية الكتاب إنما هو أحد الكتاب بديوان الإمام المتوكل ، وذلك بناء على ما يتضح من العناية بالنسخ ، ومن العبارة الأخيرة التي وردت في مقدمته سالفه الذكر ، وهي : « وعزم على أن أكمله ليستكتبه ، وبما جاء في نهاية الخاتمة عند ذكر تاريخ النسخ ، وقد ظهر في نهاية الكتاب مكان وتاريخ النسخ معاً ، إذ جاء فيها : « وكان تمام رصفه والفراغ من رقم حرفه ، بالجليل العالي البنيان ، الراقى على مراقى البلدان ، والمصافح بجناباته بازغة كيوان ، كوكبان ، وصحبة قر الخلافة ، والحرم

(١) النسخة الثانية : المقدمة ، ق ١٣ .

(٢) النسخة الثانية : ق ١٣٨٩ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

الآمن من الخفاة ، أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، المتوكل على الله رب العالمين ، أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله ، أيده الله ، تاسع وعشرين شهر ربيع الآخر عام ثمان وعشرين ومائتين وألف ، والحمد لله أولاً وآخراً ، باطنا وظاهراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً^(١) .

وإلى جانب هذه المميزات جميعها الخاصة بهذه النسخة ، فهي أيضاً بحوزة أحد علماء اليمن الأفاضل ، ممن يهتمون باقتناء النفائس من المخطوطات ، وهو السيد محمد بن محمد بن اسماعيل مطهر المنصور^(٢) .

(١) النسخة الثانية : ق ١٣٨٩ .

(٢) هو السيد محمد بن محمد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن مطهر المنصور ، وينتهي نسبه إلى الإمام القاسم بن محمد (القرن ١٦ هـ ، ١٧ م) . ولد في « شحارة » في جادى الأولى سنة ١٣٣٣ هـ ، وتلقى دروسه في « ذمار » ، ثم في « هجرة الدارى » بنواحي « خبان » ثم أكمل دراسته بالمدرسة العلمية بصنعاء . وقد تدرج في الوظائف القضائية والمدنية العديدة حتى وصل إلى منصب الوزارة بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ م ، إذ بدأ حياته العلمية في وظيفة حاكم في « المقام الإمامي » « بتمز » (أى في الديوان الملكى بتمز) ثم كاتباً (أى سكرتيراً) لوزير الخارجية ، ثم مساعداً لنائب الامام في صنعاء . وعند قيام اتحاد الدول العربية بين مصر واليمن في عهد الامام أحمد ، عين به وزيراً ، ثم نائباً لرئيس الاتحاد ثم رئيساً له . وعند قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ عين عضواً بمجلس السيادة الذى تشكل عقب قيام الثورة ، وبعد إلغاء هذا المجلس عين وزيراً للمعدل . وفي نفس الوقت ، فهو يشغل الآن منصب ناظر « الوصايا اليمنية » (وهى غير الأوقاف) منذ أن تولى رئاستها عندما كان مساعداً لنائب الامام في صنعاء ، وبعد قيام الثورة وتكوين الجمعية العلمية اختير عضواً بها رغم وجوده حينذاك بالقاهرة . ثم أصبح بعد ذلك رئيساً للمجلس الأعلى لهذه الجمعية . وللسيد محمد بن محمد ولم كبير باقتناء الكتب الهامة والمخطوطات النادرة ، ولذلك ربطته صداقة قديمة وعميقة بالدكتور خليل يحيى ناي والمرحوم الأستاذ فؤاد السيد ، وهما ممن لهم اهتمام كبير منذ سنوات طويلة بالتراث اليمنى من بين المصريين . وقد أدنى به هذا الولع بالتراث اليمنى والإسلامى بوجه عام إلى أنه أعد عدة مؤلفات لم تنل حظها بعد من النشر ، لكثرة مشاغله العملية ، ولطيفته العلمية التى جعلته أكثر تدقيقاً

من العرض السابق يتضح أن هاتين النسختين إنما تفضلان باقي النسخ المروفة ، فالأولى هى نسخة المؤلف الأصلية ومسوداته ، والثانية نسخت فى حياته ، وعليها إضافات وتصحيحات بخط يده . لهذا فقد اعتبرت نسخة المسودات هى النسخة الأصلية أى النسخة « الأم » ، فاعتمدتها عند التحقيق . ونسخت نصوصها لدى فى المتن ، وسأشير إليها فى الهوامش بالرمز ن . ع . أى نسخة السيد عبد القادر بن عبد الله . أما النسخة الثانية ، فسأستعين بها فى توضيح أو تصحيح بعض ما جاء فى النسخة الأم ، سواء فى الهوامش أو المتن حسب ما تقتضيه قواعد تحقيق النصوص ، وسأشير إليها فى الهوامش بالرمز : ن . م . أى نسخة السيد محمد بن محمد اسماعيل .

وتتضاءل بعد ذلك أهمية النسخ المروفة لدينا ، مثل النسخ الثلاث التى أشار إليها الأخ عبد الله الحبشى فى كتابه سألته الذكر ، واللاقى تحدث عنهم فى مقالته فى مجلة «العرب»^(١) . كذلك النسخة التى قامت البعثة المصرية للخطوط بتصويرها على ميكرو فيلم من مجموعة الكتب المصادرة بمدينة ترو ، إذ أنها نسخت فى عام ١٣٤٦ هـ أى بعد قرن من الزمان تقريباً من وفاة

وتمحيصاً لما يكتبه . ومن هذه المؤلفات «المتطع من أماني أبي طالب» كما له قصيدة طويلة تبلغ ألف بيت تضمنت السيرة النبوية ، وكتب رسالة فى بعض مسائل علم الكلام ، كما له مؤلف من «عيون المختارات» وهو عبارة عن عدد من مختاراته من التراث الإسلامى مع التعليقات عليها . وأخيراً ، فقد قام بتمثيل بلاده فى بعض المؤتمرات التى عقدت بجامعة الدول العربية .

(١) مجلة العرب : الرياض ، المجلد ١ ، السنة السابعة ، رجب ١٣٩٢ هـ ، أغسطس

المؤلف (١) . والجدير بالذكر الإشارة أيضاً إلى النسخة التي عثرت عليها مؤرخاً أثناء انشغالي بهذه الدراسة ، وهي النسخة التي وجدت بمكتبة مؤرخ اليمن الكبير المرحوم السيد محمد بن محمد زبارة ، فهي تنضم إلى هذه المجموعة من النسخ التي تقل أهميتها عن أهمية النسختين سالفتي الذكر ، اللتين اعتمدتهما في تحقيق النصوص . ويبدو أنها نقلت حرفياً عن النسخة الثانية (ن . م .) ، حتى أن ناسخها حرص على نقل التعليقات والإضافات التي جاءت في أول هذه النسخة الثانية وفي آخرها . ولم يرد خلال هذه النسخة أية إشارة إلى تاريخ نسخها ، وإن كان يبدو أنها نسخت في وقت متأخر كما يتضح من خطها ومن شكل أرقامها . غير أنه قد اتضح في نهايتها أنها كتبت « بعناية سيدي العلامة جمال الدين علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم حفظه الله تعالى وعافاه آمين » ، وأن ناسخها هو « المفتقر إلى رحمة الله وعفوه علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الجنداري عفي الله عنه آمين » (٢) ، كما اتضح أيضاً في بدايتها أنها انتقلت إلى ملكية المرحوم السيد محمد بن محمد زبارة « بطريق الشري (الشراء) من الأخ العلامة علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ » (٣) .

صعوبات التحقيق والغلب عليها :

وفي ختام الحديث عن النسختين اللتين اعتمدت عليهما عند تحقيق النصوص وعن باقي النسخ التي تعرفت عليها ، ينبغي إلقاء بعض الضوء على الصعوبات التي واجهتها مع النسخة « الآم » ، حتى نتمكن من نسخ نصوصها التي حملت صورها معي إلى القاهرة خاصة أنها كانت النسخة الوحيدة التي تعرفت

(١) وزارة الثقافة : القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، مراقبة المخطوطات قائمة المخطوطات العربية المصورة بالميكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية ، ١٩٦٧ ،

ص ١٨ .

(٢) ، (٣) نسخة زبارة : ص ٧١٧ .

عليها حتى ذلك الوقت ، والتي كان على أن تكشف غوامضها وأحلامها
مهما كلفني ذلك من مشاق ، وقد سبق أن تحدثت عن الطبيعة الخاصة لهذه
النسخة ، وأنها اتسمت بعدم ترتيب سنواتها ، وبكثرة الشطب فيها ، كذلك
بكثرة الإضافات الهامشية إلى غير ذلك من الملاحظات الخاصة بها . ولكن
هذه الملاحظات لم تكن هي كل الصعوبات المتعلقة بالنسخة ، فهناك
صعوبات أخرى تنصل بقراءتها ، أو بالأحرى من ناحية الخط وطريقة
الكتابة والأسلوب وغير ذلك مما يمكن أن يدرج تحت الناحية الشكلية
للمخطوطة . وفي واقع الأمر ترجع هذه الصعوبات في أغلبها إلى طبيعة الكتابة
في عصر مؤرخنا ، وإلى ضعف اللغة حينذاك بوجه عام ، وإلى ميل المؤرخ
إلى استعمال السجع باعتباره من المحسنات اللفظية ، فتصرف في الإملاء ،
واستعمل بعض الألفاظ العامية ليستقيم له السجع .

وأول ما يلفت النظر عند قراءة هذه النسخة هو عدم تنقيط الكلمات
باستثناء القليل منها ، أي أن المؤلف لم يهتم بوضع النقط على الحروف بشكل
زائد عما هو مألوف في عصره ، وذلك كما يتضح من المقارنة بين نسخته وبين
النسخة الثانية (ن . م .) التي كتبت في حياته ، ومن الشائع في المخطوطات
الغنية حسب معلوماتها وكثرة تناولها ، أن المؤلفين والنساخ يقلبون
الضاد إلى ظاء عند الكتابة ، أو حتى عند التحدث كما لاحظت - والعكس
بالعكس ، أو يضعون نقطة تحت الدال والطاء لئلا يبدوها لأنهم لا يضعون نقطا
فوق الدال والطاء . إلا أن مؤرخنا لم يقف عند هذا الحد بل أهمل كثيراً في
وضع النقاط فزاد هذا من صعوبة القراءة ، ولم يتمكن من تذليل هذه الصعوبة
إلا عن طريق التعود ، ومحاولة فهم المعنى من خلال السياق العام للكتابة ،
ومثال ذلك أنه كتب : فخرج من دون تنقيط وهو يعني : فخرج من . كذلك
انتهت الهمزات تقريباً من كتابته ، حتى ولو كانت الهمزة جزءاً من أصل
الكلمة ، فنجد أنه يكتب : فهو لا بمعنى . فهو لا ويكتب شيئا بمعنى شيئاً ،

ويكتب وزارية بمعنى : وزرائه ، وهكذا ، هذا فضلا عن الهمزات التي ترد في نهاية الأسماء مثل ماء وسماء وصنعاء وغيرها فإنه يهملها تماماً . وواقع الأمر أن الهمزة والحرص على وضعها في أماكنها الصحيحة من الكلمات ، إنما هو من مظاهر الكتابة العربية في العصور الحديثة ، وليس شأنًا تقليدياً قديماً . ويلاحظ أيضاً الخلط بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة ، فكان المؤلف يقلب الثانية إلى الأولى فكاتب نعمت بدلا من نعمة ، وكتب بمسرت بدلا من بمسرة وهكذا . كذلك كانت الياء في آخر الكلمات تقلب إلى ألف ، فكاتب جرا وصحتها جرى ، وكتب العظا وصحتها العظمى . وإلى جانب هذا كله ، كان يستعمل بعض التعبيرات العامة الشائعة في عصره ، كما كان يكتب بعض الكلمات كما ينطقها مثل : الذينهم = الذين هم ، المصطور = المسطور ، الكفرين = الكافرين ، ضرايرهم = ضررهم . أما الأسماء فإن المؤلف رغم حرصه على ضبط الأعلام مثلما فعل مع أمم : بونه بارت (أي بونا بارت) فإنه شكلها ثم عاد فأوضح هذا التشكيل كتابة بالكلمات لزيادة التدقيق ، إلا أننا نراه يستعمل أكثر من لفظ للتعبير عن العلم الواحد مثلما عبر عن الفرنسيين بالفاظ ثلاث هي : الفرنسية ، الفرنسية ، الفرنسية ، وهي الألفاظ التي كانت شائعة في عصره . كذلك لم يلتزم المؤلف برسم واحد للعلم ، وذلك كما حدث مع اسم سلطان التتار في القرم ، فكاتبه مرة شاهينكيراي ، ومرة أخرى شاهينكيراي . ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى غرابة الاسم بالنسبة للمؤلف ، وإلى بعده عنه ، فكان يكتب الاسم كما يصل إلى مسامعه .

ومن ناحية أخرى لم يحرص المؤلف على وضع الفواصل أو النقاط عند نهاية الجمل بل كان يستمر في الكتابة كما يحلوه ، ولم يقسم كتاباته إلى فقرات ، أو يفرق بين نص حديثه وبين ما يثبتته في كتابه من نصوص . وعذر المؤلف في ذلك هو أن هذه الأمور جميعها مثل : الفواصل والنقاط والفقرات وغيرها إنما هي من أساليب الكتابة الحديثة التي لم تكن متداولة في عصر

المؤلف ، أما عذره الثاني فهو أن هذه النسخة إنما هي مسودات المؤلف الأصلية ، التي حرص فيها على الناحية الموضوعية أكثر من حرصه على الناحية الشكلية ، أي التي حرص فيها على جمع المادة التاريخية أكثر من حرصه على تنظيم هذه المادة والعناية بطريقة إخراجها ، فالمسودات عادة تعتبر مرحلة مبكرة بالنسبة لباقي مراحل التأليف العلمي .

ولإزاء هذا كله ، ولتسهيل قراءة نصوص الحملة الفرنسية على مصر عند نشرها وطبقاً لما هو متبع في تحقيق المخطوطات ، فقد حرصت على وضع ما ينتمي من كلمات النص من نقاط وهرجات ، كما حافظت على ما كان يضعه المؤلف أحياناً من تشديد على الحروف ، وأضفت إليها الكثير بما يعاون على فهم معنى الكلمات ، وفي نفس الوقت عملت على وضع الفصول عند السجعات ، والنقاط عند نهاية الجمل حتى يبرز استقلال كل منها على حدة ، فيتضح معناها ، ويتسق سياق الحديث .

ومن ناحية أخرى ، فبالإضافة إلى المحافظة عند النشر على ترتيب النصوص بعد استخراجها كما وردت في كتاب مؤرخنا لطف الله ججاف ، فقد أبرزت استقلال كل نص عن الآخر ، فوضعت لكل منهما رقماً مسلسلًا وعنواناً خاصاً بين قوسين ، حتى يتمكن من الرجوع إلى كل منها عند الحاجة ولقد راودتني فكرة ترتيب هذه النصوص حسب موضوعاتها أو حسب طبيعتها ، ولكنني نسيت الإبقاء على ترتيب المؤرخ لما في ذلك من دلالة تاريخية ، مع الاكتفاء بوضع الأرقام والعناوين لكل منها ، على أن أتناول هذا الترتيب بالتغيير والتعديل ، فأقسمها إلى مجموعات أو فئات — بما يساعد على العرض والتحليل — عند التحدث عن محتويات هذه النصوص فيما بعد .

كذلك استعملت الأقواس التالية لزيادة توضيح متون النصوص عند نشرها وذلك كما يلي :

- [] : لأرقام وعناوين النصوص .
() : لأرقام صفحات النسخة الأم .
) (: للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة .
(()) : للزيادات أو التصحيحات من النسخة الثانية .
, : للكلمات التي أضيفت لتوضيح المعنى .

وهنا يقتضى الأمر التعرض لمجموعة النصوص نفسها : طبيعتها من ناحية وموضوعها من ناحية أخرى حتى يتضح أمامنا مواضع الجودة والأهمية فيها .

أما من حيث طبيعة هذه النصوص ، فهي تنقسم إلى قسمين : القسم الأول هو كتابات المؤلف نفسه مثل ذكر الأحداث والأخبار ، أو التعاليق عليها ، أو وصف مشاهداته . أو حتى انطباعاته عما سمعه أو رآه . وهذا القسم يشمل النصوص رقم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٩ .

والقسم الثانى هو مجموعة المراسلات - أو التحريرات والمكتوبات حسب التعميرات الشائعة فى صنعاء - التى تبودلت بين الإمام حينذاك وبين زعماء وقادة العالم العربى والإسلامى مثل شريف مكة ، ووالى المدينة المنورة العثمانى ، والسلطان العثمانى . وهذا القسم يشمل النصوص رقم : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ .

المؤرخ وموضوع الحماسة والجبرنى :

أما من ناحية موضوع هذه النصوص - أو بالأحرى محتوياتها - فإنه يمكن القول فى عبارة موجزة - ومن خلال نظرة نقدية موضوعية - أن بعض هذه النصوص يضيف جديداً إلى ما هو معروف عن موضوع

الحملة الفرنسية على مصر وآثارها على المناطق المحيطة بها ، وعلى السياسة الدولية . وأن البعض الآخر — من هذه النصوص — يشوبه الضعف أو الغموض أو التعميمات ، أى كانت أهميته تنحصر في إظهار ما كان رائجاً وشائعاً عن الحملة في اليمن ، وليست في إضافة حقائق تاريخية .

ويجدر تفسير سبب هذا التباين بين مواضع الجدة والقوة في هذه النصوص وبين مواضع الغموض والتعميمات فيها — أو بمعنى آخر بين إيجابيات وسلبيات المحتويات — ذلك التباين الذى يرجع في أساسه إلى ظروف المؤرخ نفسه ، وإلى ما أحاط تدوين النصوص من ملاسبات — وذلك قبل تناول محتواها بالعرض والتحليل ، حتى يتضح قدر أهميتها ، وتوضع في مكانها الصحيح داخل الإطار العام لموضوع الحملة الفرنسية .

فن ناحية ، كان استيلاء الفرنسيين على مصر حدثاً ضخماً في تاريخ الشرق العربى والإسلامى ، مس نياط القلوب ، وأوقع ما أوقع من آثار نفسية عميقة لدى المعاصرين حينذاك . وزاد من حدة هذا التأثير قوة الشعور الدينى من ناحية والشعور الإقليمى من ناحية أخرى . وقد انعكس هذا في اهتمام مؤرخنا بتدوين أخبار : « ديار مصر طهرها الله من الدنس ، وفي شحن النصوص بقسميها بالروح الدينية العالية ، وبنفخ روح الحماس — والدعوة إلى الجهاد — في نفوس المسلمين ، ضد « هؤلاء الكفرة الملاحين » .

ومن ناحية ثانية ، كان مؤرخنا قريباً من مركز السلطة في صنعاء ، فساعدته ذلك على أن يتابع الأخبار عن كثب ، وأن يلتقط تفاصيل الأحداث وأكثرها سرية . بل وأن يحصل على نصوص المراسلات المتبادلة بين الإمام وباقي زعماء العالم العربى والإسلامى . وقد تجلت فائدة هذا القرب — على سبيل المثال لا الحصر — في أن مؤرخنا استطاع أن يقدم لنا أخبار وصول

مندوب إنجلترا إلى صنعاء للحصول على موافقة الإمام لإقامة قاعدة انجليزية على الاراضى اليمنية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي (النص: ١٣) .

ومن ناحية ثالثة . قام لطف الله جحاف بالحج عقب انتهاء أحداث الحملة على مصر بقاليل كما اتضح عند ترجمة حياته ، فأناح له فرصة الاستماع إلى تفاصيل أحداث الحملة — في مكة والمدينة — وعاد ليدون هذه التفاصيل في كتابه : « ذرة العين بالرحلة إلى الحرمين » ، ثم ليضيف إلى كتابه التاريخي « درر نهور الحور العين » ، الإشارات والتلخيصات التي تخص هذه الحملة .

وهذه النواحي جميعها هي التي جذبت نظر مؤرخنا بشدة إلى أحداث الحملة والتي دفعته إلى الاهتمام بتدوين كل ما وصل إلى مسامعه أو وقعت عليه يده ، أو بمعنى آخر هي العوامل التي تفسر لنا الجانب الإيجابي في هذه النصوص . غير أن هناك نواح أخرى أثرت في قيمة هذا الاهتمام ، وأضعفت جهد المؤرخ في الوصول إلى « الحقائق التاريخية » ، مما جعل بعض النصوص تنصف بالغموض والتعميمات وخاصة تلك النصوص التي تتناول أحداث الشمال — بالنسبة للمؤرخ — أى أحداث مصر والشام ، وهذه النواحي — التي سأشير إليها — هي العوامل التي تفسر لنا الجانب السلبي في هذه النصوص .

فن ناحية ، كان مؤرخنا يقيم بعيداً عن ميدان أحداث الحملة — في مصر والشام على عكس المؤرخ المصري المعاصر عبد الرحمن الجبرتي الذي عاش هذه الأحداث لحظة بعد لحظة وانفعل بها وتفاعل معها ، بل ولا نغالي إذا قلنا أنه شارك في صنعها — من بعيد أو قريب — إذ كان أحد شيوخ الأزهر حينذاك ، كما انضم مؤخراً إلى « الديوان » الذي أسسه الفرنسيون في القاهرة للاستفادة من خبرة هؤلاء الشيوخ في إدارة

البلاد . وقد زاد من بعد المؤرخ اليمنى مكانيا عن مجرى الأحداث صعوبة الاتصال وضعف المواصلات بين البلدان في عصره ، وذلك على عكس ما حدث في وقتنا الحاضر ، فقد ألغى التقدم العلمى الهائل المسافات بين بقاع العالم .

ومن ناحية ثانية ، كانت صعوبة المواصلات والاتصالات في تلك العصور بين بقاع العالم تساعد على تغلب « الصفة المحلية » في كتابات المؤرخين حينذاك . لذلك اهتم مؤرخنا — نظراً لإمكانات عصره — ومثله مثل باقى مؤرخى عصره — بتتبع الأحداث المحلية أكثر من اهتمامه بالأحداث التاريخية . وهو من هذه الناحية لا يختلف كثيراً أو قليلاً عن الجبرتي مؤرخ القاهرة ، والبديري مؤرخ دمشق ، وابن بشر مؤرخ الرياض ، فكل هؤلاء — بالإضافة إلى مؤرخ صنفاء — تعمق في سرد أحداث مدينته حتى بلغ الذروة ، فقدم لنا تاريخاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً من خلال تتبعه لتفاصيل الأحداث اليومية ، فضلاً عن ذلك عكست كتاباتهم الأساطير والخرافات التي سادت وانتشرت بين معاصريهم . أما الأخبار الخارجية فقد سجلها كل منهم كما وصلت إلى مسامعه ، وكما تناقلتها الألسن ، حتى كاد فضلهم على معاصريهم من الناحية العلمية ينحصر — بالنسبة لبعض ما دونوه من سطور — في مجرد تسجيل الروايات والأشاعات السائدة بين ذويهم . فالجبرتي — رغم شهرته وضخامة مؤلفه وعمق نظراته وتحليلاته — لا يعدو أن يكون مؤرخاً قاهرياً أكثر منه مصرياً كما يظهر بوضوح من قراءة كتابه في أجزائه الأربعة ، فهو لم يتمكن من متابعة أحداث الحملة في صعيد مصر — على سبيل المثال — كما تتبعها في القاهرة ، ولم يتابع الأحداث خارج القاهرة — بوجه عام — إلا من خلال ما تناقله الوافدون إليها ، أو من خلال المنشورات التي كان الفرنسيون يعلقونها على الجدران عند أبواب الحارات ، وفي أماكن تجمع

الاهلين . ويتضح هذا — عند المقارنة — في متابعته لأخبار مجاهدى الحجاز فى الصعيد ، فهو لم يشر إليهم إلا بإشارات عابرة . فتفوق عليه لطف الله جفاف وأتى بالمزيد من التفصيلات . كذلك كان الحال بالنسبة للبديرى ، فقد كاد أن يقصر اهتمامه على تدوين ما يجرى فى دمشق وحدها . . . على أن المؤلف سجل أيضاً بعض ما كان يصل إلى علمه من أحداث ، تجرى فى دمشق أو قريب منها^(١) . وهكذا فعل أيضاً ابن بشر ، فهو لم يسجل إلا أخبار الأسرة السعودية حتى بدا وكأنه يمسك دفترًا لتسجيل أفعال الأمراء أكثر مما كان يكتب تاريخاً . واتضح هذا جلياً عندما تناول أحداث الحملة الفرنسية — كما سبق أن ذكرت — إذ لم يشر إليها إلا بإشارة عابرة — دون تفصيلات تذكر — لا تتناسب مع ضخامة الحملة وأثرها فى تاريخ الشرق حينذاك . وبما هو جدير بالذكر ، أن ما أورده هنا لا يقال من أهمية هؤلاء المؤرخين جميعاً لغلبة الصفة المحلية على كتاباتهم ، فلولا هذه الصفة ما اغتنى تاريخنا العربى والإسلامى فى تلك العصور ، وما انصف بالعمق والأصالة كما هو معروف عنه .

ومن ناحية ثالثة ، فإن عدم عثورى إلى الآن على كتاب « قرة العين بالرحلة إلى الحرمين » — رغم جهدى المتواصل فى البحث عنه — الذى دون المؤرخ به أحداث الحملة الفرنسية على حد قوله ، يقال فى الواقع من قدرتنا على الحكم على جهده العلمى ، إذ أن ما ذكره عن أخبار الحملة فى مصر والشام فى كتابه « درر بحور الخور العين » ليس إلا تلخيصاً لما كتبه فى مؤلفه الأول ، فقد قال : (النص : ١) « وفصلنا ذلك فى كتابنا « قرة

(١) أحمد البديرى . الحلاق : حوادث دمشق اليومية ، ١١٥٤ — ١١٧٥ هـ

(١٧٤١ — ١٧٦٢ م) ، نشر وتحقيق الدكتور أحمد عزت عيسى الكرم ،

العين ، فلا نطول بالإعادة ، ففيه مطلوب المتطلع وزيادة ، وأعاد هذا المعنى (النص : ٤) عند حديثه عن متطوعي الحجاز وحروبهم في صعيد مصر ، فقال : « فكان من خبره ما قصصناه في كتابنا » الرحلة إلى الحرمين ، غير أنا لا نخل بهذا الكتاب من فائدة زائدة ، . وبالإضافة إلى ذلك فقد سبق أن ذكرت - عند وصف النسخة الأم - أن هذه الإضافات والتأليفات قد وضعت على جانبي هذه النسخة - أو أغلبها على الأقل - على عكس المراسلات فقد وضعت داخل المتن في ترتيبها الزمني . ولا شك أن هذه الظاهرة تعطى بعض الضوء على أنه شرع في وضع كتابه ودرر نحرور الحور العين ، قبل سفره إلى الحج ، وإن لم يحل تماماً مشكلة تحديد تاريخ البدء في تأليف هذا الكتاب التي مازالت تواجهنا إلى الآن .

ومن ناحية رابعة ، فإن بعد المؤرخ عن مجرى الأحداث ، وصعوبة المواصلات والاتصالات في عصره ، ثم افتقارنا لكتاباته الأصلية عن الحملة - أي كتابه « ذرة العين بالرحلة إلى الحرمين » ، هذا جميعه قد أثر في إدراك مؤرخنا لـ « كنهه العلاقات الدولية والسياسية العالمية حينذاك » . فقد فاتته معرفة أبعاد الصراع الاستعماري بين الدول الأوروبية ، ولم ينف على الدوافع الحقيقية لمجيء الفرنسيين إلى مصر ، ولم يفهم جيداً أوضاع الدولة العثمانية أو أحوال مصر الداخلية ، بل تشعبت حوله الأحداث وتفرقت ، واعتمد على الروايات الشائعة التي تناقلتها الألسن ، فوقع فيما وقع فيه من أخطاء تاريخية بالنسبة لمجريات الأحداث في مصر والشام .

وفي الواقع ، لم يدرك الجبرتي هذه للنواحي الدولية أيضاً - رغم أهمية كتاباته بالنسبة لتاريخ الحملة - لكنه لم يقنع في الأخطاء التي وقع فيها لطف الله جفاف ، إذ اكتفى هو بتسجيل الوقائع والأحداث

كما هي ، واهتم بتتبعها والتعليق عليها كلما أتاحت له الفرصة ، ودون انطباعاته عما يجري أمام عينيه من مشاهدات وأحداث ، وذلك في واقعية بسيطة ، دون أن يسمى إلى البحث عن المجهول ، أو تفسير الأحداث البعيدة الخفية . ويتأكد هذا إذا رجعنا إلى الجزء الثالث من كتابه الشهير : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، الذي ضمنه أحداث الحملة الفرنسية ، والذي بدأه بذكر أحداث عام ١٢١٣ هـ (يونيو ١٧٩٨ م) ، فقد افتتح هذا الجزء بعبارة مركزة تعبر عن وجهة نظره الخاصة — الدينية — فيما وقع في هذه السنة من أحداث ، فقال : وهي أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأحوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١) ، ثم تلى هذه الافتتاحية مباشرة حديثه عن وصول الأتراك من الإسكندرية إلى القاهرة بمجيء الأسطول الإنجليزي إليها للتفتيش ، عن الأسطول الفرنسي ثم مغادرته للشعر ، ثم انتقال إلى الحديث عن وصول الأسطول الفرنسي بعد ذلك إلى الإسكندرية ، ونزول الفرنسيين إلى البر واحتلالهم المدينة .

وهكذا يستمر الجبرتي في متابعة أخبار الحملة ، فينتقل من خبر إلى آخر في يسر ومهولة ، مع التعليق وإبراز رأيه دون اقتحام ، ومع الإشارة إلى مصادره سواء كانت روايات الوافدين أو منشورات الفرنسيين أو مشاهداته ومعلوماته الخاصة ، وذلك حتى يصل إلى نهاية أخبار الحملة وجلالها عن مصر . ويبدو أن سبب واقعية الجبرتي هو زحمة الأحداث حوله ، وتواليها بسرعة

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٣ ، ص ٧ .

أمامه ، وانفعاله بها ، وذلك كما يتضح من « افتتاحيته » سالفه الذكر .
أما مؤرخنا الينى فقد ترامت إلى مسامعه الأحداث من بعيد متهادية مهزوزة
بعد أن غلفتها التصورات والتخيلات التي يبتدعها عامة الناس ، والتي تنزايد
مع مثل هذه الأحداث الضخمة . ويصحب هذه التصورات والتخيلات عادة
محاولات مخلصة حارة من جانب هؤلاء العامة — ولكنها ضعيفة غير صحيحة
في الغالب — لتحليل الأحداث وتفسيرها والخروج بالنتائج الكثيرة
المستفيضة ، وذلك لإرضاء لذواتهم وحب الاستطلاع لديهم ، وسعياً وراء
الحقيقة التي غمضت عليهم . وربما كان هذا هو سبب زلات لطف الله جهفاف
التاريخية ، فقد لجأ إلى البحث عن « السببية » لتفسير الأخبار التي وصلت
إليه ، ولسد الثغرات التي تخلفت هذه الأخبار وأضعفتها ، لجري بدوره
ليجد لكل شيء سبباً — رغم بعد المعلومات الكافية عن تناول يده —
فابتعد لذلك عن التحليلات السليمة ، وأورد ما هو ليس مطلوباً منه من
المعلومات التاريخية .

واتضح هذا كثيراً عند بداية حديث المؤرخ عن الحملة الفرنسية
(النص : ١) فقد أصر على أن يعطى تفسيراً لمجيء الحملة إلى مصر ،
وأرجع ذلك إلى خلاف أحد التجار الفرنسيين مع حاكم مصر حينذاك ،
دون أن يتجرى الدوافع الحقيقية الأخرى التي حدثت بفرنسا إلى الاستيلاء
على مصر . وواصل منهجه هذا ، فذكر أن هذا التاجر هو الذي دفع
حكومته إلى الانتقام من حكام مصر ، وأطلقه في قيود الذل مهاناً ، فراح
عنها ووصل إلى سلطان دياره بونابرتيه ، فعمل الأخير على الاتصال
بالسلطان العثماني ليأذن للفرنسيين « بالخروج إلى الاسكندرية ليعبروا منها
إلى بحر السويس لحاجات لهم بالهند ، فأبى ذلك ، ولم يسعفهم إلى ما هنالك » .
ويبدو المؤرخ هنا وكأنه لا يتصور أن يتجرأ فرنسا على مهاجمة ممتلكات
السلطان — لما كان للدولة العثمانية من هيبة حتى ذلك الحين في نفوس

المعاصرين من المسلمين — وأن عليه أن يبحث عن مبرر منطقي ليقنع هو ويقنع معاصريه بسبب جرأة فرنسا هذه . وأوقعه هذا الاصرار في خطأ آخر ، وهو قوله بأن الفرنسيين التفوا حول والدته السلطان ، التي كانت بيدها مقاليد الأمور لضعف شخصية ابها وانصرافه إلى ملذاته ، وأغروها بالأموال فجعلوا إليها حكا في الإذن بالعبور من الاسكندرية ، فوضعت خاتم السلطان على ذلك ، فراحوا عن ديار الروم ، وقد تبلجت لهم المسالك .

وهكذا وصل المؤرخ — من وجهة نظره الخاصة — إلى ما يرضى عقيدته وتصوراته ، ولو ابتعد به هذا عن الحقيقة التاريخية . وقد كان من السهل على المؤرخ بدلا من الجرى وراء المبررات والأسباب ، أن يفسر استيلاء الفرنسيين على مصر بأنه — مجرد — اعتداء من جانب فرنسا على ممتلكات السلطان — أو ديار الإسلام ، — إذ من المعروف تاريخياً أن اتجاه الحملة إلى مصر — عند خروج الأسطول من الموانئ الفرنسية — كان أمراً موريا للغاية ، لا بالنسبة للعالم أجمع فحسب ، بل بالنسبة أيضا لأفراد هذه الحملة باستثناء كبار قادتها المقربين من بونايرت . وبالإضافة إلى هذه الأخطاء التي أدى إليها حرصه على التفسير وإبداء الأسباب — رغم أن هذا الحرص يعد من الصفات العلمية التي تميز بها مؤرخنا النبني — فقد انزلق أيضا إلى أخطاء أقل شأنا ، لقلة المعلومات لديه ، ولاعتماده أيضا على الروايات الشائعة بين معاصريه ، كذلك لحرصه على إكمال رواياته بقدر المستطاع . فهو يعتبر بونايرت د سلطان بلاده ، رغم أن حكومة الجمهورية الفرنسية آنذاك كانت هي د حكومة الإدارة ، ولم يكن بونايرت سوى أحد قادة هذه الجمهورية الكبار . كذلك ذكر أن جزيرة مالطة كانت د تحت حوزة الانكليز ، عند استيلاء الفرنسيين عليها ، وأن حاكمها المدعو د قنصل ، هو الذي لجأ إلى السلطان العثماني يشكو إليه ما فعله الفرنسيون به ،

ويحتمل على الانتقام منهم ، وهكذا حتى وصل إلى تفسير سبب تعاون
انجلترا مع أحمد باشا الجزار أثناء حصار عكا . وحقيقة الأمر أن بونا بورت
استولى على « مالطة » من أيدي أصحابها جماعة وفرسان القديس يوحنا ،
كما أن حث انجلترا للسلطة العثمانية على إعلان الحرب على فرنسا بعد
هجومها على مصر ، كان على يد الحكومة الانجليزية ذاتها ، وبواسطة سفيرها
في استانبول وليس على يد هذه الشخصية الوهمية التي تدعى « قنصل » ،
ويبدو أن المقصود من وراء هذه التسمية هو الدلالة على نشاط السلك
الدبلوماسي الذي لم تكن وظائفه أو تعبيراته قد عرفت وانتشرت بعد بين
المعاصرين رفنداك .

وأخيراً فقد ترتب على « البعد المكاني » بين المؤرخ والأحداث في
مصر والشام ، أنه تخيل أن هناك « بعداً زمنياً » أيضاً ، فلم يتحقق من تاريخ
حملة الفرنسسية ، ووضع بداية حديثه عن أحداث الحملة بين وقائع
عام ١٢١٢ هـ وليس بين أحداث عام ١٢١٣ هـ — وهو التاريخ الصحيح —
فقال : « وفيها (أي سنة ١٢١٢ هـ) وردت الأخبار بدخول الفرنسية ،
جعل الله ديارهم دارسة ، وغيرهم من الأفرنج الأبالسة ، ديار مصر طهرها
الله من الدنس فاستولوا عليها » .

وهكذا يتضح أمامنا النواحي الأربع التي أضعفت بعض كتابات
مؤرخينا لطف الله جحاف ، كما اتضح بعض الأمثلة لأخطائه ، غير أنه
يلاحظ بالنسبة لهذا الضعف ، عدة أمور :

أولاً : أنه لا يشمل جميع النصوص التي ذكرها المؤرخ عن الحملة
الفرنسية ، بل تخص فقط النصوص التي تتناول أحداث مصر والشام كما
سبق أن ذكرت .

ثانياً : إن هذا الضعف ، — المحدود — يمس فقط الناحية الموضوعية

في هذه النصوص — أى الحقائق التاريخية — ولا يمس الناحية المنهجية لدى المؤرخ وقد وقع الجرتى في مثل هذه الأخطاء عندما تحدث عن الموضوعات التى بعدت عن متناول يده . وما يؤكد ما ذهبنا إليه عن المنهج هو محاولته المخلصة الجادة في تحقيق اسم قائد الجيوش العثمانية ، رغم أنه لم يصل إلى معرفة الاسم الصحيح (النص : ١٦) . وقد أعجبنا في هذه المحاولة استبعاد المؤرخ لتعديل — أو تغيير — معلوماته أو أفكاره من أجل الوصول إلى الحقيقة عندما يتبين الطريق الصحيح ، فهو يذكر في البداية لاسم هذا القائد كما سمعه : « وسمعنا بهذا أحمد طباطبا عن بعض الناس من أهل اليمن ، قال إنه رأى في كتاب ورد أن اسم الخارج أحمد طباطبا . . . » ، ولكنه سمع لاسم آخر عندما ذهب إلى الحج وقابل العائدين من متطوعه الحجاز من مصر فصححه حسب الرواية الجديدة .

ثالثا : لا يعيب هذا الضعف ، — رغم ما يبرره — مؤرخنا اليمنى ، إذ يكفيه نقرأ أنه انتبه إلى أحداث الحملة الفرنسية ، وأنه عبر عن مشاعره ومشاعر معاصريه من اليمنيين وغيرهم تجاه هذه الأحداث ، فأبرز بهذا رد الفعل — العاطفى والعملى — لدى العالم الإسلامى نحو ما وقع في مصر والشام حينذاك .

الحملة والأطراف المحيطة بها :

وهكذا تبرز أمامنا عوامل القوة والضعف التى أثرت على كتابات المؤرخ — أو بالأحرى على نصوصه الخاصة بالحملة الفرنسية على مصر — وهذا مما يساعد على الاقتراب من محاولتنا ، وهى وضع هذه النصوص في مكانها الصحيح بالنسبة للإطار العام لموضوع الحملة . ويزيد هذا الاقتراب التعرض لبعض النقاط الرئيسية للحملة بإيجاز ، وخاصة الجوانب التى تعرضت لها هذه النصوص . وقد سبق أن ذكرت في بداية هذه الدراسة ،

أنها ليست بمحملاً خاصاً بالحملة الفرنسية في حدوداتها ، بل هي محاولة ضئيلة لإضافة نصوص يمنية إلى ما هو معروف عن هذه الحملة ، لعلها تضيء أبعاداً جديدة حولها ، ولعلها تبرز رد الفعل لدى جزء من أبناء العروبة والإسلام في ذلك الوقت . ولهذا كله ، أو للجمع بين الرغبة في التعرض لأحداث الحملة ، وبين الرغبة في الإيجاز لخدمة أغراض معينة ، يجدر قصر الحديث هنا حول توضيح أوضاع الدول والأطراف ، التي شاركت في صنع أحداث الحملة ، وتناول علاقاتها وأهداف كل منها ، منذ مجيء الحملة إلى مصر حتى جلائها عنها .

ومن المعروف أن الأوضاع في مصر - عند مجيء الحملة - كانت قد بلغت حدّاً كبيراً من الانهيار نتيجة استئثار المماليك بالسلطة والنفوذ ، وإهمالهم لشئون البلاد في جميع المجالات . وكانت النظم السياسية التي وضعها العثمانيون في بداية القرن السادس عشر هي المسؤولة عن استئثار المماليك هذا ، وما ترتب عليه من تردّي الأحوال في مصر . إذ قامت فلسفة العثمانيين في حكم مصر على تعدد السلطات بها . وكان العثمانيون قد استعانوا بباقي العناصر المملوكية في حكم مصر بعد كسر شوكتهم في عام ١٥١٧ ، لخبرة هؤلاء الطويلة بشئون البلاد ، ودرابتهم بأحوالها ، فتمكن هؤلاء المماليك بالتدرج من استعادة سيطرتهم ونفوذهم ، حتى تجرّءوا على عزل الوالي العثماني في مصر ، وحبسوه في القلعة حتى يعين غيره ، بل وفكروا أكثر من ذلك في الاستقلال بحكم مصر ، وطرّد العثمانيين منها . وزادت الفوضى والاضطرابات حينذاك نتيجة تنافس المماليك فيما بينهم للوصول إلى المناصب العليا مثل « شيخ البلد » ، أو « إمارة قافلة الحج المصري » .

وقد بلغ المماليك أوج قوتهم قبل مجيء الفرنسيين إلى مصر بعدة سنوات ، أي في عام ١٧٦٨ بعد أن وصل على بك الكبير إلى مشيخة البلد ، فأعلن استقلاله ، وطرّد الوالي العثماني من البلاد ، منتزحاً فرصة انشغال الدولة

في حروبها مع روسيا القيصرية . غير أن الدولة استطاعت أن تؤلب ملوكه محمد بك أبو الذهب ضده فيقضى عليه ، ويعيد مصر إلى حظيرة السيادة العثمانية ، الإسمية على الأقل . وعقب وفاة محمد بك أبو الذهب عاد الصراع على السلطة بين البيوتات المملوكية ، حتى انتهى الأمر إلى اقتسامها بين إبراهيم بك ومراد بك ، اللذين عاصرا مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر . وقد تدهورت الأوضاع في عهدهما إلى حد كبير ، فمن ناحية نجد أنهما قد امتنعا عن إرسال الجزية إلى استانبول ، مما دفع السلطنة العثمانية إلى إرسال حملة عسكرية إلى مصر بقيادة حسن باشا القبطان لتأديب المماليك في عام ١٧٨٦ م . ورغم انتصاراته على المماليك ونجاحه في دخول القاهرة ، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على إبراهيم بك ومراد بك اللذين فرّا إلى الصعيد ، بل واضطر إلى العودة مسرعاً إلى استانبول لاستدعاء السلطنة له ، نظراً لاشتعال الحرب الثانية بينها وبين روسيا . وقد نجح إبراهيم بك ومراد بك في استعادة نفوذهما ثانية في القاهرة . ولم يستطع الباشوات العثمانيون أن يجبروهما على إرسال الجزية بانتظام إلى استانبول ، بل سارت الأوضاع من سيء إلى أسوأ .

وترتب على هذا كله تدهور الأحوال في مصر ، فقد أهمل الحكام شؤون البلاد ، وتدهورت الصناعة والتجارة ، وابتليت الزراعة نتيجة عدم الاعتناء بشئون الري أو باستقرار الأمن ، إذ لم يعد للمماليك هم سوى ابتزاز الأموال — من الأهالي والأجانب على السواء — وجمع الثروات ، للتمتع بحياة الترف والبذخ ، وللصرف منها على الاتباع والأنصار ، حتى يحرزوا الفوز في معركة التنافس حول السلطة والمناصب ، فساد الاضطراب ، وعمت الفوضى ، وانتشرت المجاعات ، وضعفت وسائل الدفاع في الشغور وفي داخل البلاد ، حتى أصبحت لقمة سائغة أمام الفرنسيين عند مجيئهم إلى مصر عام ١٧٩٨ م . وقد عبر الجبرتي بإيجاز عن هذه الأوضاع في وصفه

لأحداث السنوات التي سبقت مجيء الفرنسيين مباشرة ، فقال عن أحداث ١٢١٠ هـ (١٧٩٦ / ٩٥ م) : « لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتنى بتقريبها سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم »^(١) ، وعن سنتي ١٢١١ هـ ، ١٢١٢ هـ (١٧٩٨ / ٩٧ م) ذكر نفس المعنى تقريباً فقال : « سوى ما تقدمت إليه الإشارة من أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاد المتراسل »^(٢) .

أما أوضاع الدولة العثمانية نفسها ، فلم تكن أحسن حالا من أوضاع ولايتها مصر ، فقد كان الفساد الذي أخذ يذبح في جسدها طوال القرن السابع عشر — رغم بقاء هيبتها أمام أعينها حينذاك — قد بدأ يتضح للعيان في القرن الثامن عشر ، وطمع جيرانها في مهاجمة أطرافها ، وذلك من ناحية القيصريّة الروسية شمالا ، والامبراطورية النمساوية غرباً ، والدولة الصفوية شرقاً . وجنوباً استطاعت إحدى ولاياتها — أي اليمن — من تحقيق استقلالها مبكراً في عام ١٠٤٥ هـ . ١٦٣٥ م . غير أنه يلاحظ ، أنه بالرغم من هذا الضعف الذي أصاب السلطنة العثمانية ، ورغم طول الحروب التي خاضتها آنذاك مع جيرانها ، فقد ظلت هذه الامبراطورية زهاء قرنين من الزمان — أي حتى انهيارها عند نشوب الحرب العالمية الأولى — قادرة على تجميع الجيوش ، وخوض الحروب ، وصدد الهجمات ، وإخماد الثورات في الداخل ، إما بإرسال الحملات التأديبية من حين لآخر ، وإما بتأليب القوى المحلية ضد بعضها البعض ، وذلك كما رأينا بالنسبة للمماليك في مصر .

ويتبين لنا أوضاع الدولة العثمانية — التي تجمع بين الضعف وبين القدرة على البقاء على الأقل — إذا عرفنا موقفها من الحملة الفرنسية على

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢) نفس المرجع والجزء : ص ٢٨٣ .

مصر ، إذ ظلمت السلطنة مترددة في اتخاذ موقف إيجابي من فرنسا ، أو في قطع علاقاتها بها ، لضعفها من ناحية ، ولخوفها من ناحية أخرى من أن تكون هذه الحملة مقدمة لمخطط أوروبي عام لالتهايم الممتلكات العثمانية ، ولكنها تجرأت على أن تتخذ موقفا حاسما ضد فرنسا ، فتقطع علاقاتها بها ، وتعلن عليها الحرب ، وتتحالف مع أعدائها بعد أن علمت بزيمة الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية ، وبعد أن دفعتهما كل من روسيا وانجلترا إلى التحالف معهما ضد فرنسا ، وهنا بدأت في إرسال الجيوش إلى مصر لطرد الفرنسيين منها ، وإن نقصت هذه الجيوش روح الانضباط العسكري والتدريب اللائق ، كما جاء في تقارير الخبراء الانجليز الذين اشتركوا في إعداد هذه الجيوش .

وقد بدأ اتصال روسيا وانجلترا بالعثمانيين في استانبول في يولية ١٧٩٨ لإعلان الحرب على فرنسا ، ولكن تردد السلطنة آخر اتخاذ هذه الخطوة إلى سبتمبر من نفس العام ، ثم عقدت معاهدة دفاعية هجومية بينها وبين روسيا في ٢٥ ديسمبر ، ثم انضمت انجلترا إلى هذا التحالف في الخامس من يناير التالي ، فأدى هذا بدوره إلى تأليف المحالفة الدولية الثانية ضد فرنسا عام ١٧٩٩ م . ويفسر لنا هذا النشاط الدبلوماسي الذي وقع في استانبول ما جاء في خطابات السلطنة إلى شريف مكة وإمام اليمن ، بضرورة التعاون مع قوات روسيا وانجلترا لأنهما حليفان للسلطان .

أما بالنسبة لفرنسا ، فقد دفعتها عوامل كثيرة لإرسال حملة حربية إلى مصر ، أما العامل الأول الذي أشار إليه مؤرخنا اليمنى — وهو إساءة معاملة أحد التجار الفرنسيين في مصر من جانب المماليك — فهو العامل الأخير المباشر التي بررت به فرنسا إرسال حملتها هذه ، أي بحجة تأديب المماليك والانتقام منهم . فمن المعروف أن فرنسا كانت تراودها رغبة قديمة منذ العهد الملكي في إنشاء إمبراطورية استعمارية تعوضها ما فقدته من

ممتلكات في العالمين القديم والجديد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وذلك نتيجة سوء نظمها الاستعمارية ، ومنافسة انجلترا لها في مجال الاستثمار . وتأخر تحقيق هذه الرغبة عند قيام « الثورة الفرنسية » ، وتلاحق الأحداث الداخلية ، وتآلب الدول الأوروبية ضدها وخاصة بعد إعدام الملك لويس السادس عشر ، وعقد المحالفة الدولية الأولى للقضاء على « الجمهورية » في فرنسا وزيادة الاضطرابات في ظل « عهد الارهاب » ، الذي بلغ ذروته في أيام « روبسبير » ؛ وقدرة « حكومة الإدارة » على تحقيق شيء من الهدوء والاستقرار داخل فرنسا ؛ أثار مرة واحدة رغبة الفرنسيين في الاستثمار ليس لإعادة مجد فرنسا القديم لحسب بل أيضا للانتقام من انجلترا ، لمنافستها القديمة من جهة ، ولحرصها على مناصبة فرنسا العداء من جهة أخرى حتى بعد انفرط عقد التحالف الدولي الأول ، وفشل مفاوضات الصلح بين الدولتين . وفكرت فرنسا جدياً حينذاك في إرسال حملة عسكرية — « الحملة الكبرى » — إلى انجلترا لغزوها في عقر دارها ، وعندما شعرت بمعجزها — وضعف استعداداتها — عن تحقيق ذلك ، وجهت أنظارها إلى الشرق لضرب انجلترا في الهند ، وذلك عن طريق احتلال مصر ، وليس عن طريق رأس الرجاء الصالح الذي أسرعت انجلترا — قبل ذلك باحتلاله ، ومعاكسة السفن التجارية الفرنسية هناك .

غير أن مصر كانت تحتل مركزاً خاصاً بالنسبة للسياسة الاستعمارية الفرنسية ، ولم تكن مجرد طريق إلى الهند ؛ ففي العقد الأخير من القرن الثامن عشر — أي قبيل مجيء الحملة إلى مصر بعدة سنوات — تعالت صيحات الفرنسيين المهتمين « بالمسألة الاستعمارية » ، تدعو إلى ضرورة أن تشترك فرنسا في وراثة الامبراطورية العثمانية التي توشك على الانهيار ؛ وترى أن مصر تفضل غيرها من الممتلكات العثمانية ؛ لخصوبة أرضها ؛

وجودة مناخها ؛ وموقعها الممتاز ؛ وقربها من فرنسا ، بل وقارنت هذه الأصوات بين مزايَا احتلال مصر وبين احتلال غيرها من الممتلكات العثمانية مثل جزيرتي كريت وقبرص اللتين سيثير احتلالهما نائرة الدول الأوروبية ضد فرنسا . كذلك أوضح الر حالة والقناصل في تقاريرهم مدى ضعف الثغور المصرية ، وعدم وجود التحصينات الضرورية أو الأساطيل القوية لحماية السواحل ، فضلاً عن تصوير مدى فساد الحكم وضعفهم ، وذلك لإغراء المسؤولين بفرنسا بأهمية ومهولة الاستيلاء على مصر .

وقد اشتدت رغبة فرنسا في احتلال مصر ، بعد أن فشلت في تحقيق مصالحها التجارية بها ، وبعد أن لمست مدى ضعف الساطنة العثمانية عن حماية سيطرتها وتحقيق نفوذها في ولايتها ، وذلك نتيجة استئثار المماليك بالسلطة ودأبهم على ابتزاز الأموال من التجار الأجانب ، مع تعرض التجارة الأوروبية عموماً في مصر للخسارة بسبب انتشار الفوضى والاضطرابات . وكانت إنجلترا أسبق الدول الأوروبية في التفكير في إعادة الطريق التجاري عبر مصر بعد أن ثبتت أقدامها في الهند ، وتحققت أمامها الفرصة السانحة عندما قام على بك الكبير بحركته الاستقلالية ، ورغب في إعادة هذا الطريق البرى حتى يعيد لمصر انتعاشها التجاري القديم ، ونجحت إنجلترا في عقد معاهدة تجارية مع خليفته محمد بك أبو الذهب في عام ١٧٧٥م (١١٨٩هـ) ، فأمرت فرنسا حينذاك في عقد معاهدة تجارية مشابهة ، لتأمين تجارتها في مصر وحتى لا تنفرد إنجلترا وحدها بالنفوذ التجاري في البلاد ونجحت في عام ١٧٨٥م . في تحقيق ذلك .

غير أن هذه المحاولات لم تفسد التجارة الانجليزية أو الفرنسية شيئاً إذ ظل إبراهيم بك ومراد بك يزيدان من قيمة الضرائب المفروضة على التجارة ، ويميلان إلى المصادرات والغرامات والاناوات لزيادة دخلهما من

الأموال ، هذا فضلا عن نقص الأمن وتعدى العربان على قوافل التجارة بين القاهرة والسويس . وإزاء هذا كله اضطرت إنجلترا إلى غلق قنصليتها في مصر في عام ١٧٩٣ م ، وعزلت قنصلها جورج بلدوين ، رغم أنه كان من أشد المتحمسين لفتح الطريق التجاري البرى عبر مصر . كذلك كانت فرنسا قد نقلت قنصليتها في عام ١٧٧٧ م من القاهرة إلى الاسكندرية بعيداً عن الاضطرابات والمصادرات ، وكلفت «شارل مجالون» - أحد التجار الفرنسيين المقيمين في مصر منذ وقت طويل - بالإشراف على مصالحها في القاهرة ، ثم أصبح بعد نشوب الثورة الفرنسية القنصل العام لفرنسا في مصر . ورغم أن مجالون كان قد استطاع أن يتقرب إلى مراد بك ويكسب ثقته ، وتربط بينهما بعلاقات حميمة ، إلا أن هذا لم ينقذه من مظالم المماليك ، وعلى رأسهم مراد بك . ففي عام ١٧٩٤ م فرض إبراهيم بك على التجار دفع مبلغ كبير من المال ؛ وتعرضت بضائعهم للمصادرة حتى اضطروا إلى غلق متاجرهم ، وحاول بعض التجار الفرنسيين الانسحاب إلى رشيد والاسكندرية ولكن مراد بك قبض عليهم ، وأبقاهم في القاهرة عدة أشهر ؛ ثم سمح لهم بمغادرتها وكان على رأس هؤلاء «مجالون» نفسه .

وقد تضافرت كتابات الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر خلال القرن الثامن عشر الميلادي ونشروا مشاهداتهم وآرائهم حينذاك ؛ كذلك شكوى التجار والقناصل الفرنسيين وعلى رأسهم «مجالون» ، الذى حرص على السفر إلى باريس لمواجهة المسؤولين بها بعد أن شعر بعدم جدوى كتاباته إليهم ، تضافرت هذه الجهود كلها في تهيئة أذهان المسؤولين الفرنسيين لأهمية احتلال مصر ، نظراً لمزاياها الخاصة ، ولتكون نواة للإمبراطورية الفرنسية في الشرق ، ولتنتقل منها لمنافسة إنجلترا في الهند . ولهذا كله كان الاتجاه إلى مصر حينذاك هو البديل الوحيد لغزو إنجلترا في عقر دارها ، فلم تتردد فرنسا - عندما شعرت بمعجزها عن غزو إنجلترا نفسها - في توجيه حملة إنجلترا ، إلى مصر ، لتحقيق أغراضها المتعددة هناك .

وكانت انجلترا تدرك أهمية موقع مصر الجغرافي بالنسبة للتجارة الشرقية كما سبق أن أشرنا ، كما أنها لم تكن تسمح حينذاك لإحدى الدول الأوروبية باحتلالها رغم أنها لم تكن تفكر في الإقدام على ذلك حتى ذلك الوقت . ومن المعروف أن انجلترا ظلمت في «حالة حرب» مع فرنسا منذ عقد التحالف الدولي الأول في عام ١٧٩٣م ، لذلك كله فقد حرصت على مراقبة الشواطئ الفرنسية الشمالية والجنوبية لمراقبة النشاط الفرنسي . وعندما تسربت إليها أخبار خروج الأسطول الفرنسي إلى مياه البحر الأحمر ، نشط أمير البحر الإنجليزي « نلسن » ، في اقتفاء أثره ، وعمدت انجلترا بكل جهودها منذ ذلك الحين على إفشال الحملة الفرنسية على مصر .

ويعتبر إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي وتخطيطه في معركة « أبي قير البحرية » - بعد حوالي شهر من وصول الحملة إلى مصر - أولى ضربات التي أرستها انجلترا بهذه الحملة ومن أخطرها في نفس الوقت ، فقد أصبح جيش فرنسا في مصر - منذ ذلك الحين وإلى أن تم جلأته - تحت رحمة انجلترا ، بعد أن فرضت حصارها على الشواطئ المصرية ، وقطعت الصلات بينه وبين الوطن الأم . وفي نفس الوقت نشطت انجلترا دبلوماسياً في القسطنطينية عن طريق مندوبيها هناك « السير سبنسر سميث » ، كما أرسلت أخاه « السير هنري سميث » - أحد خبراءها بالشؤون العثمانية - إلى هناك لمساعدة أخيه في دفع تركيا على إعلان الحرب على فرنسا ، وعلى تجهيز الجيوش والأساطيل لطرد حماة من مصر . وحرصت انجلترا كذلك على إرسال بعثة من الخبراء العسكريين لإعداد الجيش العثماني للزحف على مصر ، لأنها كانت ترى أن تنزع المبراطورية العثمانية التحالف الثلاثي - العثماني الروسي الإنجليزي - في مواجهة الحملة والاضطلاع بمعب محاربتها ، حتى تتيح الفرصة أمام روسيا للتدخل في شؤون المبراطورية العثمانية ، وحتى لا تصل الجيوش الروسية إلى شواطئ البحر المتوسط . وقد بذل سيدني سميث جهوداً كبيرة في

القسطنطينية لحث المسؤولين بها على إرسال جيوشها إلى مصر ، وأرسل إلى حكومته بضرورة مدد الامبراطورية العثمانية بالمال لإعداد جيشها وأسطولها - بعد أن لمس مدى ضعفها - أو أن تقدم - أي حكومته - جزءاً من أسطولها لخدمة الأغراض العسكرية العثمانية . وفضلاً عن ذلك ، فقد سافر بنفسه إلى رودس ، وإلى عكا ، لتنسيق المخططات العسكرية مع أميريهما ، بل وساهم الأسطول الإنجليزي في مساندة أحمد باشا الجزائر أثناء حصار بونابرت له في عكا ، وكان وجود هذا الأسطول أمام سواحل الشام من أهم أسباب فشل الحملة الفرنسية هناك . وتلى ذلك مساهمة الأسطول الإنجليزي في نقل حملة مصطفى باشا إلى الشواطئ المصرية الشمالية - أولى الخطوات الإيجابية التي اتخذها العثمانيون لطرد الفرنسيين من مصر - ولكن منبت هذه الحملة بالفشل في موقعة « أبي قير البرية » - يولييه ١٧٩٩م - على يد بونابرت بعد عودته من الشام بقليل .

ولم تقف جهود إنجلترا لإجلاء الفرنسيين عن مصر عند هذا الحد ، بل شاركت في مفاوضات الصلح مشاركة فعالة ، كما تحول موقفها - تجاه الحملة الفرنسية - من مجرد النشاط الدبلوماسي أو المساعدات الجانبية للعثمانيين ، إلى إرسال حملتين حربيين إلى مصر للاشتراك مع حملة الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا في طرد الفرنسيين وذلك عندما شعرت بمعجز العثمانيين بمفردهم عن اتخاذ خطوة باترة ضد الفرنسيين ، فأرسلت حملة البحر الأبيض إلى الشواطئ المصرية الشمالية ، وأرسلت حملة أخرى من الهند عن طريق البحر الأحمر إلى القصير . وكان النشاط الإنجليزي في البحر الأحمر قد بدأ مبكراً منذ مجيء الفرنسيين إلى مصر ، خوفاً من أن يتخذ هؤلاء خطوة إيجابية لضرب النفوذ الإنجليزي في الهند ، فاستولت قواتهم في أبريل ١٧٩٩ على جزيرة « بريم » عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي لسد هذا البحر ، ومنع تسرب السفن الفرنسية إلى الهند ، كما طافت بعض السفن الحربية بأرجائه لمراقبة

النشاط الفرنسي به ، وفي آخر عام ١٨٠٠ أرسلت قوة برية بحرية من الهند
للمناوشة الفرنسيين في مصر -- وخاصة في الصعيد -- وذلك عن طريق احتلال
ميناءى السويس والقصير ، ومد المراكب هناك بالأسلحة والذخائر عن طريق
الميناء الأخير ، ثم أخيراً أرسلت حملة الهند -- التى سبق الإشارة إليها --
بقيادة الجنرال بيرد ، فوصلت القصير فى مايو ١٨٠١ م ، ومنها إلى القاهرة
ثم إلى الإسكندرية ، وإن كانت قد وصلتهما بعد انتهاء المعارك بهما ، فقد كانت
الحملة العثمانية من الشام ، والحملة الإنجليزية من البحر المتوسط أسبق منها
فى الوصول إلى مصر ، ومحاربة الفرنسيين فيها ، حتى أجبرتهم على التسليم
والجلاء (١) .

موقف أهالى الجزيرة من الأحداث :

وبالإضافة إلى هذه النقاط الرئيسية - الموجزة - التى سبق الإشارة إليها ،
يجدر الإشارة أيضاً إلى أوضاع الامام المنصور على فى اليمن ، والشريف
غالب بن مساعد فى الحجاز ، لا لدورهما فى أحداث الحملة مباشرة ، بل
لعلاقتها بما جاء فى النصوص التى أوردناها مؤرخنا ، وخاصة أن كلا الرجلين
انفعل بهذه الأحداث - كما انفعل بها كافة العامة من معاصريهم - وإن اختلف
موقف كل منهما عن الآخر تبعاً للظروف التى أحاطت به مما ترتب عليه
نتائج مختلفة .

فن ناحية اليمن فقد كان يتمتع باستقلاله التام منذ أن خرج العثمانيون
منه فى عام ١٠٤٥ هـ (١٦٣٥ م) ، بعد أن نجح الامام القاسم بن محمد وأولاده

(١) لمزيد من التفاصيل عن الحملة الفرنسية على مصر ، يرجع إلى كتابى المرحوم
الدكتور محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، والحملة الفرنسية وخروج
الفرنسيين من مصر ، فهما من أدق ما كتب فى اللغة العربية عن هذه الحملة .

في إشعال الثورة ضد العثمانيين ، وفي جمع أبناء الشعب اليه حولهم حتى تم لهم الاستقلال ، وعندئذ أقاموا ما عرف في تاريخ اليمن بأسم الدولة القاسمية . ويعتبر الامام المنصور على هو الامام العاشر من أبناء هذه الأسرة ، وتولى الامامة في اليمن سنوات طويلة في المدة من ١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ (١٧٧٤ - ١٨٠٩ م) .

وقد انتهت إلى هذا الامام ثروات الأسرة القاسمية وخزائنها ، فضلاعن سمعتها وهيبتها داخل اليمن وخارجه ، غير أنه حدث في عهده ما جعله بداية ضعف هذه الأسرة وانحيار نفوذها . فقبله ، ظهر عدد من الأئمة الأقوياء من أبناء هذه الأسرة وعلى رأسهم الامام المتوكل على الله إسماعيل ، الذي استطاع أن يوحد أجزاء اليمن الطبيعية تحت سيطرته ، ويمد نفوذه من عسير ونجران شمالاً إلى عدن وحضرموت جنوباً . أما في عهد الامام المنصور على فقد كان سلاطين الحُجج قد انفصلوا عن سيادة صنعاء منذ سنوات وأصبحوا يدبرون شئونهم بعيداً عن الامامة ، كما اشتدت في عهده ثورة بعض القبائل حتى تمسكنت من محاصرة صنعاء نفسها بعض الوقت ، واستفحل بمنطقة تهامة أمر الشريف حمود . وفي نهاية حياة المنصور على -- وكان الفساد قد تفشى نتيجة استئثار وزرائه بالسلطة -- قام ابنه الأكبر بالثورة عليه واستأثر بالسلطة بعد أن قبض على أحد الوزراء ، وان أبى أباه في منصبه حتى توفي في العام التالي لهذه الأحداث .

ورغم هذا كله ، فقد ظلت دولة الامامة مهابة في عهده ، فتقرب إليه شريف مكة ، وكاتبه الصدر الأعظم بعبارات ملؤها الود والتفخيم ، وأتاه رسول انجلترا للتفاوض فيما يتعلق بصالحها في اليمن وفي جنوب البحر الأحمر . ولا يرجع هذا الاهتمام إلى أن الامام كان أقوى شخصية في اليمن لحسب ، بل يرجع هذا أيضاً إلى أهمية موقع اليمن عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي ،

وخاصة في وقت اشتد فيه التنافس الاستعماري والصراع البحري بين إنجلترا وفرنسا عقب احتلال الأخيرة لمصر حينذاك . لذلك لا نذهب بعيداً إذا رجحنا أن إنجلترا هي التي دفعت السلطان العثماني — بعد تحالفهما في أول ١٧٩٩م كما ذكرنا — إلى الاتصال بالامام لجذبه إلى صفوفها ضد العدو المشترك وهو فرنسا ، إذ أن إنجلترا هي التي تدرك جيداً أهمية البحر الأحمر بالنسبة لنفوذها ومصالحها في الهند . وتتضح ضخامة ثروة هذه الأمرة وارتفاع شأنها في عهد الامام المنصور على من مظاهر سلوك واهتمامات هذا الامام ، فضلاً عن اهتمامه بالعلماء وتقريرهم إليه وجمع الكتب النفيسة والتحف النادرة ، فقد قيل عنه : « سلك مسلك الملوك وجعل له ثلاثة وزراء وولاهم جميع الأمور ولم يشتغل بشيء من أمور مملكته إلا بالعمائر والاصلاحات في صنعاء وما حولها من المحلات المشهورة »^(١) ، وجاء في ترجمة أخرى له : « وهو الذي جعل على بئر العزب السور وتوسع في إشارة القصور والدور »^(٢) .

ولا داعي هنا للتوسع في ترجمة حياة الامام المنصور على ، إذ يكفي ما كتبه مؤرخنا لطف الله جحاف عنه في « السيرة » التي خصصها له ، والتي استخرجنا منها نصوص الحملة ، كذلك يكفي ما ذكرته عن هذا الامام في هامش النصوص ، واسكن ما يهم هنا هو إبراز أوضاع اليمن في الفترات التي عاصرت أحداث الحملة الفرنسية على مصر . وتمثل هذه الأوضاع في

(١) الواسعي : تاريخ اليمن ، ص ٦١ .

(٢) زبارة : نيسل الوتر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ،

ج ٢ ، ص ١٤١ .

(كذلك ذكر الشوكاني ترجمة طويلة له في كتابه : البدر

الطالع بخاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٤٥٩ —

(٤٦٧)

أن اليمن كان يتمتع باستقلاله حينذاك ، وأن الامام كان يتمتع بين معاصريه من الحكام المسلمين بمكانة عالية مستمدة من ماض الدولة القاسمية رغم أن ما ظهر من ضعف وفساد في عهده ، وأن الصراع البحرى الاستعماري بين إنجلترا وفرنسا في البحر الأحمر والمحيط الهندي في ذلك الوقت قد زاد من أهمية موقع اليمن الجغرافي ومن أهمية حكمه .

أما شريف مكة غالب بن مساعد (توفي عام ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م) فقد كانت أوضاعه تختلف عن أوضاع إمام اليمن ، وهو -- أو بلاده -- لا يتمتعان بالاستقلال . وربما كان الشريف لا يريد هذا الاستقلال إلا في حدود معينة ، نظرا لظروفه وظروف بلاده التاريخية والطبيعية الخاصة . فإمكانات الحجاز لا تقارن بإمكانات اليمن الطبيعية والبشرية ، وعرف عنه حينذاك فقره المادي وضعفه السياسي والعسكري ، لذلك عاش الحجاز أغلب فترات تاريخه في العصور الوسطى أوضاعا سياسية خاصة ، فقد تداول حكمه جماعة الأشراف ، وكان هؤلاء يربطون أنفسهم بالدولة الأقوى في العالم الإسلامي وخاصة بالقاهرة حتى يوفرُوا لأنفسهم العون المادي والحماية العسكرية . واستمر هذا مع بداية العصور الحديثة ، إذ سارع الشريف بركات إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية عند دخول مصر تحت سيطرة السلطان سليم الأول عام ١٥١٧ م ، فسارع السلطان بدوره إلى إقرار الشريف في منصبه ، طالما أنه حصل على لقب حامى الحرمين الشريفين ، وظلت المصالح المتبادلة بين الطرفين هي التي تحكم العلاقة بينهما ، دون أن يفكر أى منهما في تغييرها . وقد عكست هذه العلاقة الخاصة نفسها على سلوك ومواقف الشريف غالب ، فهو يدرك من ناحية مدى ضعفه الشياخي بين باقي المنافسين من الأشراف ، وهو يقدر من ناحية أخرى طبيعة علاقته بالدولة العثمانية لذلك فهو يعمل على تنفيذ مخططاتها ، ويقوم بدور الوساطة بينها وبين الحكام العرب والمسلمين القرييين ، وذلك كما فعل مع إمام اليمن (النص : ٦ ، ٧) .

وفي نفس الوقت كان يلبس مدى ضعف الدولة العثمانية ، ومدى عجزها عن حماية ولاياتها ، ويخشى أن تمتد يد بونابرت إلى بلاده ، لذلك سارع بالكتابة إليه ومهادنته حتى يأمن جانبه (النص : ٩) . ولم يكن الشريف غالب — في واقع الأمر — هو الوالي الوحيد من ولاية الدولة العثمانية الذي يتخذ مثل هذه الخطوة ، فقد سبقه إليها الكثيرون عندما كانوا يشعرون بالخطر الخارجى الداهم وبعجز الدولة عن حمايتهم ، وذلك مثلما فعل على باشا الألبانى عقب اكتساح بونابرت لإيطاليا واستيلائه على كافة أملاك البندقية ، مما جعله يقترب من الأملاك العثمانية فى البلقان^(١) . ولاتقف مواقف الشريف عند هذا الحد ، فهو يدرك أيضاً حقيقة ضعفه الاقتصادى ، ويعمل على أن يستمر نشاطه التجارى المحدود بين موانئ البحر الأحمر ، إذ أن موارده الضئيلة لا تتحمل توقف هذا النشاط خلال الصدام الإنجليزى الفرنسى ، لهذا كله يستغل قرابته للامام — عن طريق انتسابهما الرسول صلى الله عليه وسلم — ويتهنز فرصة الكتابة إليه عن أخبار الحملة فيطلب منه العناية بتجارته — وبسرعة شحنها — فى الموانئ اليمنية (النص : ١٥) ، وفى نفس الوقت ، يواصل إرسال تجارته إلى السويس بعد أن يمهّد لذلك بالخطابات المتتالية للأطراف المتصارعة — الانجليزية والفرنسية — وتصل هذه البضائع إلى الميناء فى ذى الحجة سنة ١٢١٣ هـ . (مايو ١٧٩٩ م) كما يقول الجبرقى : « وفيه حضر إلى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن . وكانت الإنجليز منعهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التثقيب والشمعة ، وأخذوا منهم عشوراً وساحح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس

(٧) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨٨ .

بشعر عشرين يوماً وطبعوا صورتها في أوراق وألصقوها بالأسواق (١).

وتنصح مرونة الشريف أيضاً ودبلوماسيته في أواخر حياته ، فعندما هزم أمام قوات السعوديين واضطر إلى التقهقر إلى جدة ، اعترف بالسبب في زيادة السعودية ، وعاد إلى منصبه في مكة . وعندما جاءت قوات محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية ، وقضت على النفوذ السعودي في الحجاز ، سارع بالدخول في طاعة محمد علي غير أن الأخير قضى عليه بعد قليل (٢) .

وهذه المواقف المراتة المتناقضة الصادرة من الشريف - والتي ترجع جميعها إلى ظروفه الخاصة وحرصه على الاحتفاظ بمنصبه - لا تقل من تقديرنا لقوة شعوره الإسلامي الذي يظهر بوضوح في نصوص خطابهاته إلى الإمام المنصور علي ، والذي بلغ لفته في تحذيره للإمام بعدم السماح لالجلترا - كما شاع حينئذ - بالحصول على قطعة أرض على السواحل اليمنية لإقامه قاعدة لهم بها إيهان الأئمة الالجليرية - الفرنسية (النص : ١٤) .

النصوص والمجلة :

وهكذا تنصح الأبعاد العامة التي أحاطت بنصوص مؤرخنا اليقيني ، سواء الخاصة بالأطراف التي تنصل بأحداث الحملة مباشرة ، أو الخاصة بالأطراف التي انفصلت بهذه الأحداث وتناولتها النصوص بطريقة أو بأخرى . وتفيد هذه الأبعاد في تحديد الإطار الذي يمكن من خلاله أن نتناول بعض ما جاء في هذه النصوص - على سبيل المثال لا الحصر - لتنضج أمامنا مدى مشاركتها

(١) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٣٠ ، ص ٦٥ .

(٢) يرجع إلى التوسيع في ترجمة حياة الشريف غالب بن مساعد في هوامش نص ص .

لطف الله جحاف في المكنابة عن الحملة الفرنسية على مصر ، ومدى أهمية هذه المشاركة .

والواقع لقد تعددت الجوانب الجادة الملفتة للنظر في كتابات المؤرخ ، فهو من ناحية يعرض أمامنا - كما ذكرت - المعاصر التي التهمت لدى المسلمين - رسمياً وشعبياً - عند وقوع هذه الطامة الكبرى على حد تعبيره ، أي احتلال الفرنسيين لمصر كما في النص الأول وفي غيره من النصوص ، وقد أشابه لطف الله جحاف في هذه الناحية مع غيره من المؤرخين المسلمين المعاصرين وعلى رأسهم الجبرتي ، الذي افتتح حديثه عن أحداث الحملة الفرنسية بعبارته الشهيرة الباكية المشهورة التي سبق ذكرها .

ومن ناحية ثانية ، أبرر لنا لطف الله جحاف جانباً من الصدام البحري الانجليزي - الفرنسي الذي دار أمام الشواطئ العربية الجنوبية (النص: ٣٢٠) عقب احتلال الفرنسيين لمصر . وفي هذين النصين الصغيرين يظهر تفوق البحرية الانجليزية على البحرية الفرنسية ، وأن أسراء هذه الشواطئ - خاصة سلطان مسقط - قد تعاظم مع القوى الانجليزية - وبما القوة نفوذها في المحيط الهندي - رغم أنه من المعروف أن وثابرت راسل الحاكم المسلمين المجاورين لمصر - ومنهم صاحب مسقط - مثل حاكم أدنة وحاكم عراباس ، وإمام مسقط بل وطالب منه أن يكتب بدوره بهذه الأخبار إلى أبو صاحب بالهند ، ثم كتب هو مباشرة إلى أبو صاحب يخبره بمزمه على طرد الانجليز من الهند ، هذا بالإضافة إلى كتاباته إلى سلطان دارفور وشريف مكة (١) .

ومن ناحية ثالثة ، تزداد أهمية كتابات المؤرخ من وجهة نظرنا عندما تعرض لأخبار متطوعى الجهاد (النص: ٤) فقد تتبع أخبار هؤلاء المتطوعين

(١) دكتور محمد فؤاد عيسى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ،

في الحجاز ومصر ، وبين كيف ظهر الجيلائي ، وكيف بدأ في دعوته للجهاد وفي إثارته للهمم حتى نجح في جمع قدر كبير من المال فضلا عن المتطوعين ، ثم كيف دارت المعارك المتتالية بين هؤلاء المتطوعين وبين الفرنسيين في مدن وقرى صعيد مصر ، وكيف تم التعاون بينهم وبين القوى المصرية من بماليك وقبائل عربية وغيرهم ضد العدو المشترك حتى استشهد الجيلائي وانهمزمت قوائمه وتفرقت .

ومؤرخنا بهذه التفصيلات الطويلة التي ذكرها في هذا النص ، قد تفوق على الجبرتي كثيراً ، إذ أن الأخير لم يذكر إلا النذر اليسير عن هؤلاء المتطوعين ، ولم يتتبع أخبارهم إلا في مصر فقط . ومن السهل أن نفهم سبب ضعف كتابات الجبرتي عن هؤلاء ، إذ بعدت الأحداث ، ولم يكن شاهد عيان لها ، فتهاوت إليه أخبارهم من وزارة متنافلة كما كان شأن أخبار الحملة الفرنسية نفسها بالنسبة للمؤرخ اليميني . ويبدو هذا واضحاً من العبارة القصيرة التي أوجز فيها الجبرتي أخبار الجيلائي وأتباعه ، فقد ذكر في حوادث شهر شعبان عام ١٢١٣ هـ (يناير / فبراير ١٧٩٩ م) : « ومنها تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلاً مغربياً يقال له السكيلائي كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف ، فلما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية أنزعج أهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا السكينة ، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك ، فاقهظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه ، فورد الخبر في أواخره أنه انضم إليهم من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة انبابة ، وركب الغز معهم أيضاً وحاربوا الفرنسيين ، فلم تثبت الغز كما عادتهم وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعة من القرى ، وثبت

الحجازيون ثم انكفوا لقائهم ، وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والماليك إلى ناحية إسنا وصحبهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك حسن تابعه ، ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان دون طائل ،^(١)

وقد تعمدا أن نذكر هذا النص بكامله لتسهيل المقارنة أمامنا بين الإثنين ، غير أن هذا لا يعنى أن الجبرتى أهمل أخبار متطوعى الحجاز ، أو أنه تخلى عن دقته وجريه وراء الأحداث ، بل على عكس ذلك ، لذا هم بذكر الشذرات المتفرقة التى تكمل أمامنا نهاية الصورة التى رسم بدايتها ، ووضع معظم تفاصيلها ، مؤرخنا اليمنى لطف الله جماف . ويبدو التكامل بين المؤرخين فى أن الجبرتى أبرز لنا مدى تأثير هؤلاء المتطوعين بالنسبة للأحداث فى مصر ، وبالنسبة للرأى العام المصرى إبان الاحتلال الفرنسى ، وسارينا لنعرف كيف انتهت أحوالهم ، وهى النهاية التى عبر عنها لطف الله جماف فى عبارة عامة فقال : وانقسم بها (آخر المعارك) عقد نظام المتطوعة ، وذهب الناس لإرسال لا أمير لهم ، منهم الذاهب إلى مصر ، والذاهب إلى الشام ، والعائد إلى الحرمين ،^(٢) . ففى خلال وجود المتطوعين الحجازيين فى الصعيد كانوا مثار اهتمام الرأى العام القاهرى ، وخاصة لأن وجودهم هناك عاصر وجود بونابرت أمام أسوار عكا وانقطاع أخباره وتأخرها عن القاهرة ، فتحدث الناس عن هذا كله وهمسوا فيما بينهم إلى الحد الذى دفع الفرنسيين إلى إعداد منشور خاص ولصافة بالأسواق لوقف هذه الهمسات ، وذلك كما قال الجبرتى : . وكان الناس أكثروا من اللفظ بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات عن الصعيد والكيلانى والأشراف

(١) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(٢) انظر النص الرابع فى الكتاب .

الذين معه وغير ذلك،^(١) . وقد امتلأ هذا المشور بالوعيد والتهديد ، مع شرح وجهة نظر الفرنسيين فيما يتعلق بالناس فيما بينهم ، فجاء به عن المتطوعين الحجازيين ما يأتي : « فإن حضرة ساري عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة ساري عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلاني قد مرقوا كل عرق وانزموا وتفرقوا ، فلم يكن الآن في بلاد الصعيد شيء يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد ،^(٢) . وزيادة على ذلك فقد أفاد الجبرتي بأن وجود الجيلاني في الصعيد كان من بين الأسباب التي برر بها بونايرت انسحابه من أمام أسوار عكا ، وذلك كجاء في خطاب بونايرت الذي أرسله إلى القيادة الفرنسية بالقاهرة والذي ذكر به خمسة عشرة سبباً : « السادس : بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلاني للاحية الصعيد ،^(٣) .

ويعمدنا الجبرتي أيضاً بأخبار عن نشاط بقايا هؤلاء المتطوعين الذين بقوا في القاهرة فيقول أنهم انضموا - مع غيرهم - إلى أحد المغاربة الذي دعا إلى جهاد الفرنسيين أولاً في البحيرة ثم زحف بأتباعه إلى القاهرة ، فكان مصدر إزعاج كبير للفرنسيين بها ، فقال : « والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كانت قد قدم صحبة الجيلاني الذي تقدم ذكره ،^(٤) . وأخيراً فالجبرتي يهتم أيضاً بذكر وفاة الجيلاني ، غير أنه يذكر أموراً - خلال خبر الوفاة - تشير الدهشة ، ولا يذكرها لطف الله سبحانه

(١) الجبرتي . عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٣ - ، ص ٥٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع : ص ٧١ .

(٤) نفس المرجع : ص ٩٨ .

في نصه ، مما يدل على أن العائدين إلى الحرمين من المتطوعين لم يرددونها ،
وربما سمعها المؤرخ ولم يأبه بتسجيلها لغرايتها أو لعدم تصديقه لها ، وذلك
على خلاف الجبرتي الذي سجل ما وصل إليه ، فقد قال في خلال أحداث
شهر ذي القعدة ١٢١٣ هـ (أبريل/مايو ١٧٩٩ م) : « ومنها أن السكيلائي
الملك كوراً نفياً توفي إلى رحمة الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد حتى أنه
حضر منهم جملة إلى مصر ، وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد ،
فيومونهم معاوتهم وعند الحروب يتخلون عنهم ، وبعض البلاد يضيقهم
ويسلط عليهم الفرنسيين فيقبضون عليهم » (١) .

ولست هذه الأمور بما تستلزم الوقوف عندها لتحقيقها إذ ربما تكون
من الشائعات التي تنتشر بعد أن تلحق الهزيمة بجيش من الجيوش ، ولكن
ما يهمنا هو أن تشير إلى أهمية النص الذي أورده لطف الله جحاف ، وأنه
رغم تفوقه على الجبرتي فيما ذكره من تفاصيل عن متطوعي الحجاز ، فإنه
يمكن القول بأن كل منهما قد أكمل الآخر في هذه الناحية ، وأنهما تعاونا
في إعطاء صورة أوضح عن دور هؤلاء المجاهدين في تاريخ الحملة الفرنسية
على مصر .

ومن الناحية الرابعة ، يفرد لطف الله جحاف تقریباً - بالنسبة للدورين
المسلمين المعاصرين - بذكر الحوادث التي وقعت في جنوب الجزيرة العربية ،
وذلك أمر طبيعي نظراً لموقعه في هذه البقعة . ويتمثل هذا بشكل كبير في
النص الثالث عشر الذي تحدث فيه المؤرخ - حديث شاهد عيان - عن
رسول الجبل إلى الإمام ، وعن طبيعة المهمة التي أنى من أجلها إلى صنعاء .
وقد صور لنا الحفاوة التي استقبل بها هذا الرسول ، كذلك المظاهر الرسمية
التي تعمد الإمام استقباله خلالها ، تعبيراً عن هيبة الدولة وقوتها في ذلك

(١) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ٣ ، ص ٦٠ .

الحين . وحدد المؤرخ أيضاً مهمة الرسول الإنجليزي بأنه يطلب الاستئذان في إقامة قاعدة إنجليزية عند باب المندب للوقوف أمام الزحف الفرنسي إلى المحيط الهندي ، باعتبار أن إنجلترا حينذاك كانت حليف السلطان . وهنا ترفض القوى المحلية في عدن ، إلا أن يأخذوا إذناً من الإمام ، ويرفض الإمام بدوره مطلب الإنجليز ، بل ويثور الرأي العام اليمني ، ويلتهب سخطه على هذا الرسول الذي جاء ليقطع جزءاً من الأراضي اليمنية ، ويصل هذا السخط إلى الحد الذي يدفع الإمام إلى إحاطة هذا الرسول بقوة من الجند للحفاظ على حياته أثناء سفره ، أو على حد تعبير المؤرخ : « وأصبح جماعه من جند ، يحفظونه من رعاياه » . ويواصل تأكيد وجهة نظره الإسلامية ، فيقول أن الرسول عاد « منكسراً خائياً ، لالعدم إجابة طلبه لحسب ، بل لما بلغه من أخبار عن زحف جيوش السلطان العثماني على مصر » . وقوله هذا يؤكد وجود العداء التقليدي بين الشرق والغرب الذي ترجع جذوره إلى العصور الوسطى . وأهمية هذا النص تدور حول إبراز المشاعر الإسلامية والروح الوطنية المنتشرة حينذاك ضد كل ما هو أوروبي ، فرغم تحالف إنجلترا مع السلطان العثماني ، ورغم أن هذا الأخير قد أوصى في كتبه إلى الشريف غالب وإلى الإمام المنصور على بتقديم كافة التسهيلات لحليفه — إنجلترا وروسيا — خلال الحرب الدائرة ضد فرنسا ، إلا أن هذين الحاكمين لم يستجيبا لتوصية السلطان ، بل ويكتب الشريف إلى الإمام كتاباً خاصاً يحذره من إجابة مطلب إنجلترا عندما شاع خبر الرسول (النص : ١٤) ، فيرد الإمام (النص : ١٥) مطمئناً الشريف بأنه لن يسمح لإنجلترا بوضع قدمها على السواحل اليمنية ولو اضطر إلى استعمال العنف وإشمال الحرب .

وهذه الأهمية الخاصة لهذا النص تغطي في الواقع أهميته التاريخية ، أو بمعنى أدق تلك الأحداث والحقائق التي يمدنا بها ، وخاصة لأن هناك من يذكر أن مجيء الرسول الإنجليزي إلى الإمام إنما كان لأغراض أخرى غير

تلك التي ذكرها مؤرخنا لطف الله جحاف ، وأن الرسول قد نجح في مهمته ، فوافق الإمام على مطالبه واستقبله في حفاوة ظاهرة . وترجع أهمية الرأي الآخر إلى أنه صادر من أحد السياسيين الانجليز الذين عملوا في عدن بعد احتلالها ، وأنه اعتمد على الوثائق الانجليزية في بمباي بالهند . ويهمنا من هذا الرأي أن نذكر أنه من ناحية ، كان هذا الرسول هو الدكتور برنجل Pringle الذي كان يعمل مساعد جراح في وكالة بمباي الانجليزية ، وأنه كلف أثناء وجوده بميناء دالخا ، بأن يحمل رسائل وهدايا إلى الإمام ، فغادر الميناء في مايو (١٧٩٩م) متوجهاً إلى صنعاء ، وأن هذه الرسائل كانت من الحاكم العام الانجليزي في الهند . ومن ناحية أخرى ، أن هذا الرسول كان عليه أن يحصل على أوامر من الإمام إلى دعماله ، في الموانئ اليمنية لازالة بعض العقبات التي تعترض التجارة الانجليزية بها^(١) .

ولا يهمنا هنا الخوض في ذكر التسهيلات التجارية والضمانات البحرية التي منحها الإمام للسفن الانجليزية في الموانئ اليمنية ، بل يهمنا أن نقول أن مذهب إليه هذا الكاتب يتفق — إلى حد كبير — مع تسلسل الأحداث في المنطقة حينذاك . إذ كانت انجلترا قد احتلت جزيرة بريم في الثالث من شهر مايو نفسه ، دون استئذان من الإمام أو من أية قوى محلية أخرى ، بل كان ذلك لحاجة المعركة مع فرنسا ، واعتماداً على قوتها البحرية . وزيادة على ذلك ، انسحبت القوات الانجليزية من الجزيرة لعوامل تخص المصالح الانجليزية في المنطقة ، أي لعوامل ذاتية ولبس لأن الإمام — وغيره — رفض إقامتهم هناك ، فقد شعر الانجليز — في الجزيرة — بعدم صلاحيتها للإقامة بها لرداءة مناخها ومائها ، وفي نفس الوقت كان سلطان الحج وعدن قد وافق

Playfair, R. L.: A History of Arabia Felix or Yemen, (١)
p.p. 123 — 124

على إقامة القوات الموجودة بالجزيرة في عدن طوال الفترة التي تحتاجها للوقوف أمام تسرب السفن الفرنسية إلى المحيط الهندي ، بل وأهم من هذا كله هو شعور إنجلترا بالارتياح عقب إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية ، إذ تحققت حينذاك من عجز الحملة الفرنسية في مصر عن تهديد النفوذ الانجليزي في الهند .

ولكن مذهب إليه هذا الكاتب الانجليزي - واتفاهه مع تسلسل الأحداث - لا يقلل في الواقع من قيمة مذهب إليه مؤرخنا العربي . فربما كان احتلال جزيرة بريم - قبل وصول الرسول الانجليزي إلى صنعاء بقليل - قد احتل جزءاً من المفاوضات التي دارت بين الرسول والامام ، وأن الكاتب لم يشر إلى ذلك لأنه ينظر إلى التاريخ من وجهة نظر إنجليزية ، فلم يهتم إلا بذكر ما يخدم التاريخ الانجليزي وتطوره في المنطقة . أمام مؤرخنا العربي فقد نظر أيضاً إلى الأحداث - أي إلى مهمة هذا الرسول - بوجهة نظر عربية ، وركز حديثه حول احتلال إنجلترا لبقعة يمنية ، فغطى هذا التركيز على باقي أغراض هذه المهمة .

وكان لطف الله جحاف محققاً في اتجاهه هذا ، فاحتلال جزيرة بريم ، والتهاب الأحداث في شمال البحر الأحمر وجنوبه ، وانتشار الإحساس العام بين العرب والمسلمين - عقب احتلال فرنسا لمصر - بأن أوروبا - وليس فرنسا لحسب - تريد ابتلاع العالم العربي والإسلامي ، كان هذا كله كقيل بأن يسيطر على مؤرخنا وعلى كتاباته فيوجها كما شاهدنا . ولا شك أن هذا التوجيه الخاص هو الذي أعطى لنص مؤرخنا الأهمية الزائدة التي جعلتنا نقف أمامه هذه الوقفة ، لنشير من ناحية إلى أهميته في عرض المشاعر والاتجاهات المنتشرة حينذاك ، ولنقف من ناحية أخرى على الأحداث التاريخية التي قدمها لنا .

رأى فى قبة النصوص :

وهكذا يتضح أمامنا بعض الأمثلة من مجموعة الكتابات التى خطها المؤرخ بقلبه ، كما يتضح أيضاً أن هذه المجموعة من النصوص تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم لا يقدم حقائق تاريخية تتعلق بالحملة ، بل تنحصر أهميتها فى أنها تبرز الأقوال والشائعات التى دارت حينذاك فى الجزيرة العربية عن الحملة الفرنسية ، أى الصورة التى وصلت بها أخبار الحملة إلى بلد عربى بعيد هو اليمن فى وقت صعبت فيه الاتصالات والمواصلات بين البقاع المختلفة . وتمثل نصوص هذا القسم بوجه عام فى النصوص الخاصة بوقائع الحملة فى مصر والشام ، التى تحدثنا عن نماذج لها عند التعرض لنقاط الضعف لدى المؤرخ . وقسم ثان يمكن أن نصفه بأنه تكميلي ، أى أنه مما يعطى تفصيلات كثيرة جديدة بالنسبة لبعض الوقائع والأحداث المعروفة عن الحملة من قبل ، وأفضل ما يمثل هذا القسم هو النص الذى تعرضنا له الخاص بمتطوعى الحجاز . وقسم ثالث يمكن أن نطلق عليه صفة الجدة لأنه تناول بعض الأحداث التى وقعت جنوب البحر الأحمر نتيجة التهاب الأحداث فى شماله ، أى كانت ذات صلة بالحملة الفرنسية ، وخير ما يمثل هذا القسم هى التى مست الصدام البحرى الإنجليزى - الفرنسى ، والتى تعرضت لاتصال إنجلترا بالإمام فى صنعاء .

أما المجموعة الثانية من نصوص مؤرخنا فهى مجموعة الخطابات التى أثبتتها فى كتابه ، وهو وإن لم يكن له فضل فى تأليفها ، فإن له كل الفضل فى تجميعها وتسجيلها ، إذ أنه بذلك قدم لنا مجموعة من الوثائق المتعلقة بالحملة الفرنسية وعرض أمامنا مجموعة من المراسلات التى دارت بين بعض الحكام العرب والمسلمين حول موضوع الحملة . ولقد تمسك المؤرخ - عند تسجيله هذه الخطابات فى كتابه - بتقليد كان سائداً لدى المؤرخين المسلمين من سابقه ومعاصره ، فوفروا بذلك أمامنا الوثائق الخاصة بعصورهم ، وعرضوا نقص

الدفاتر والسجلات والملفات الخاصة بأجهزة الحكومات ، ذلك النقص الذى يعانى به الباحثين المحدثين . وتمسك مؤرخنا بهذا التقليد ليس هو مصدر إعجابنا الوحيد به ، بل يتضاعف تقديرنا له إذا وقفنا على الجهد الذى بذله من أجل تجميع هذه الخطابات وتسجيلها . فهو من ناحية لم يبدأ فى تسطير كتابه إلا بعد وفاة الإمام الذى كتب سيرته والذى عاصر أحداث الحملة ، أى أنه لم يتمكن من الحصول على هذه الخطابات فى حينها مباشرة ولكن نتيجة ارتفاع شأنه الوظيفى فى صنعاء وأواخر عهد الإمام المنصور ثم فى عهد ابنه ، ونتيجة علاقته الوثيقة بكبار المسؤولين والوزراء فى هذين العهدين ، وخاصة لأنه وضع مؤلفه هذا بتشجيع من ابن الإمام كما سبق أن أشرنا . ومن ناحية أخرى ، فالمؤرخ يحرص على تسجيل هذه الخطابات فى كتاب خاص بتاريخ اليمن فى فترة معينة ، ويدور حول دسيرة ، أحد الأئمة ، بل وملا تاريخه بأدق التفاصيل — مثل المنازعات القبلية والتغيرات الفلكية — التى كانت كفيفة يشغله عن البحث وراء هذه الخطابات لتسجيلها فى كتابه ، وكان يكفيه — بخصوص الحملة الفرنسية — أن يدون لنا انفعالاته وانفعالات معاصريه بأخبار الحملة ، وربما وقع فى اليمن أو فى البحار المحيطة به من أحداث تتعلق بها ، إذ كان هذا فقط يعد مفخرة له ، ويميزه على غيره من معاصريه .

وربما يكون من الصعب حصر نقاط هذه الخطابات من الناحيتين الشكلية والموضوعية ، إذ نرى أنه من الضروري الرجوع إلى كل منها على حدة حتى نستشف منها ما نشاء ، ولكن يمكن هنا أن نشير إلى بعض الخطوط العامة التى تحتويها هذه الخطابات دون الدخول فى تفاصيلها . فمن ناحية ، تعبر هذه الخطابات عن طبيعة العصر الذى كتبت فيه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، أو بالأحرى تعكس جميع الصفات التى تميزت بها الكتابة الإنشائية حينذاك . فقد وضح بالخطابات الميل الشديد إلى التمجيم ،

واستعمال الألقاب الضخمة ، والألفاظ الرنانة ، والمقدمات الطويلة ، حتى أن مؤرخنا لطف الله جحاف كان يمل أحياناً هذا كله فيهمله ، ويكتفي بأن يورد موضوع الخطاب مباشرة بعد أن يستعمل تعبيراً عاماً مثل : « يذكر فيه بعد الترجمة » ، (النص : ١٤) . وبالإضافة إلى هذه الناحية الشكلية فهناك ناحية أخرى هي اتباع أسلوب السجع في هذه الخطابات باعتباره من المحسنات اللفظية ، ورغم ما كان معروفاً من عيوب هذا الأسلوب في حد ذاته ، فقد كانت اللغة العربية حينذاك تمر بفترة من الضعف والانحيار ، مما جعل الخطابات هذه تمتلئ بالتعبيرات العامة والألفاظ الركيكة ، فحدا هذا بالمؤرخ إلى أن يصف كتابي الصدر الأعظم ووالى جده العثماني بقوله : « وفي ألفاظهم وتسجيلاتهم هذه ركة ظاهرة » ، (النص : ١٨) ، وذلك رغم أن أسلوبه هو كان لا يفضل أسلوب غيره من معاصريه . وإلى جانب هذا كله فقد حشدت الخطابات بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، تشبهاً بالسابقين من الكتاب ، وتدعيماً للقضية التي تدور حولها هذه الكتابات .

أما الجانب الآخر - أي الموضوعي - لهذه الخطابات ، فقد دار حول قضية واحدة ، هي قضية الدفاع عن الوطن العربي الاسلامي أمام الفرنسيين وتغلف بغلاف واحد هو الغلاف الاسلامي . فقد تحدث الحكام إلى بعضهم البعض باسم الأخوة الدينية الاسلامية ، وناشد كل منهم الآخر الوقوف أمام الفرنسيين باسم الاسلام ، واعتمد السلطان العثماني على الروح الاسلامية في ندائه إلى الجهاد ضد الفرنسيين . ومن البديهي أن يكون الغلاف العام لهذه الخطابات هو الغلاف الاسلامي ، فقد كان الدين منذ بداية العصور الوسطى وحتى ذلك الحين - بالنسبة للعالم العربي والاسلامي على الأقل - هو الإطار الذي يحدد معالم الحياة الفكرية والثقافية والسلوكية بل والقومية إذا جاز لنا استعمال هذا التعبير الحديث .

ويلاحظ أنه في داخل هذا الإطار العام ، احتوت الخطابات على نقاط

فرعية متعددة. إذ نجد أن الشريف غالب يستغل - إلى جانب الأخوة الإسلامية - العلاقة الأسرية التي تربطه بالإمام عن طريق انتساب كليهما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحاول إبرازها في جميع خطاباته ، بل ونرجح أن السلطان العثماني استغل هذا الرابطة بين الشريف والإمام ، ودفع الأول إلى الاتصال بالثاني لجذبه إلى جانب القوى الإسلامية . ونجد أيضاً أن الشريف ينتهز فرصة التخطاطب مع الإمام عن طريق هذه المراسلات ليوميء في إحداها إلى مطلب خاص وهو التوصية بشحن سفنه في أوقات مبكرة أثناء وجودها بالموانئ اليمنية . ونلمس أيضاً - في هذه الخطابات - أن السلطان العثماني يستغل زعامته الدينية للعالم الإسلامي - السني على الأقل - ليفرض من خلالها عرض قضية احتلال فرنسا لمصر من وجهة نظره الخاصة ، ويطلب من الشريف والإمام معاداة أعدائه ومخالفة أخلاقه . ونلاحظ كذلك المبالغة في التعبير عن المواقف ، كما نرى في تعاطف الإمام مع قضية مصر ، وكما نلمس في تأكيد وقوفه أمام انجلترا إذا حاولت احتلال جزء من سواحلها . وتعبير المبالغة هنا لا يعني الشك في صدق نواياه ، بقدر ما هو إبراز لطريقة معينة - في الأسلوب والتفكير - كانت سائدة وقتذاك . وقد لفت نظرنا أيضاً ذلك الأسلوب المبالغ فيه ، الذي يظهر به التوجيه المقصود ، والذي صيغ به تقرير حكومة الإدارة إلى بونابرت عند قيام الحملة ، وحصلت عليه الحكومة العثمانية بطريقة سرية ، وأرسل به - بعد ترجمته إلى العربية - إلى الحكام المسلمين للاطلاع عليه . فقد صاغت الحكومة العثمانية هذا التقرير بشكل خاص لإثارة المسلمين ضد فرنسا ، وضد نواياها العدوانية بالنسبة للعالم الإسلامي بوجه عام . ولكن يلاحظ أن العثمانيين يحقون في استخدام هذه الصياغة الخاصة ، إذا كانوا يخوضون معركة ضارية مع الاستعمار الفرنسي حينذاك ، ويحق لهم استعمال كل الأسلحة الدعائية والإعلامية اللازمة في هذه المعركة ، وإن كان هذا كله لا يعني أن هذا

التقرير - في صورته هذه - قد أغفل النقاط الرئيسية التي جاءت في التقرير الحقيقى - الذى نشر فيما بعد - وذلك كما يتأكد لنا عند المقارنة بين النصين . فقد كان هذا القرار يتألف من مقدمة وست مواد ، اشتملت المقدمة على الأسباب التى أفنعت « حكومة الإدارة » بإرسال الحملة على مصر ، لعقاب البسكوات المماليك أصحاب السيطرة على الحكومة فى مصر والذين أنشأوا صلات ودية وثيقة مع الإنجليز ، فأساءوا معاملة الفرنسيين ، ونهبوا أموالهم ، واعتدوا على أرواحهم . كما أنه لما كان الإنجليز قد استولوا بطريق الغدر والخيانة على رأس الرجاء الصالح ، وجعلوا استخدام هذا الطريق متعذراً على السفن الفرنسية ، فقد بات من واجب حكومة الجمهورية أن تبحث عن طريق تجارى آخر . ونصت المادة الأولى على إعطاء بونابرت قيادة القوات البرية والبحرية اللازمة للاستيلاء على مصر ، ثم طلب إليه فى المادة الثانية أن يطرد الإنجليز من ممتلكاتهم فى الشرق أو فى الجهات التى يستطيع الوصول إليها ، وأن يقضى على مراكزهم التجارية فى البحر الأحمر خاصة . كما طلب إلى بونابرت فى المادة الثالثة أن يشق قناة فى برزخ السويس ، وأن يبذل قصارى جهده حتى يبدسط سلطان حكومة الجمهورية على البحر الأحمر . ونصت المادة الرابعة على أن يعمل قائد الحملة على تحسين أحوال أهل البلاد من المصريين . وطلبت إليه الحكومة فى المادة الخامسة أن يعمل على الاحتفاظ بعلاقات الود والصداقة مع السلطان العثمانى ورعاياه . ولما كانت حكومة الإدارة تريد أن يظل أمر هذه الحملة سرّاً مكتوماً ، فقد نصت المادة السادسة والأخيرة من أوامرها على أن تظل هذه الأوامر غير مطبوعة^(١) . من هذا العرض

(١) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، ص ٧٩

الموجز لمواد هذا القرار يتضح أن النص العثماني ، قد احتوى جوهر هذه المواد ، ثم عرضت بطريقة خاصة تثير حماس المسلمين و للجهاد ضد المعتدين ، .

وأخيراً ، فلا شك أن مجموعة الخطابات هذه تحتوى الكثير ، وأن الرجوع إليها بنصها هو الذى يحقق اكتشاف المزيد .

وهكذا تتضح أمامنا بعض ملامح هذه النصوص ، بعد أن تعرضنا لشخصية المؤرخ ، و لكتابه ، و لكيفية التعرف عليه و كيفية العثور على كتابه ، ولم يبق أمامنا إلا الرجوع إلى النصوص نفسها .

النصوص

1000

1

1000

[استيلاء الفرنسيين على مصر وسبب ذلك]

سنة ١٢١٢ هـ (١)

(١٨٥) وفيها وردت الأخبار بدخول الفرنسية ، جعل الله ديارهم دارسة ، وغيرهم من الأفرنج الأبالسة ، ديار مصر طهرها الله من الدنس فاستولوا (٢) عليها ، ومدوا أيدي الكفر إليها ، وأظهروا بها الفساد ، وعانوا وتسلطوا على من بها من المسلمين ، ولائوا كل ذلك بضرب من الخداع ، والمكر والحيل والأطماع . وقد أتينا على تفاصيل الأخبار ، وما نقل إلينا في ذلك من صنع الكفار ، في كتابنا دقرة العين بالرحلة إلى الحرمين ، (٣) ، ولا بأس بالإشارة إلى ذلك على جهة الاختصار ، فنقول :

قد كان تقدم إلى مصر أحد كفار فرنساوية من أولاد ملوكهم (٤)

(١) يلاحظ أن أحداث الحملة وقعت في عام ١٢١٣ هـ . وليس في عام ١٢١٢ هـ . وكانت بداية هذه الأحداث في شهر محرم من العام المذكور (الجبرتي : ٣٨ ، ص ٢) .

(٢) وردت في النسخة (ن . م . : ص ١٨٠ ب) : واستولوا .

(٣) سبق أن أشرت في خلال الدراسة التمهيدية أني حاولت — وما زلت — العثور على نسخة من هذا الكتاب ولكني لم أتمكن إلى الآن ، سواء بين طيات الفهارس العامة للمخطوطات أو لدى الأسر اليمنية . ويبدو أن سبب ضياعه أو لإهمال شأنه هو صغر حجمه ، وكونه مجرد مذكرات عن رحلته إلى الحرمين .

(٤) يرجح أن المؤلف يشير بذلك إلى « شارل مجالون » ، أحد التجار الفرنسيين الذين أقاموا في مصر مدة طويلة قبل مجيء الحملة الفرنسية إليها ، وفي خلال هذه المدة =

((١١))^(١) رغب في التجارة وسفر البحر، فما زال ينزل على مصر مرة بعد أخرى، حتى تمول منها أموالاً، واستطاع بها مسكناً وحالاً، فعرف متوليها رغبه فيها، فطالبه ((بشيء من))^(٢) نفائس ((أهداها له، وهي))^(٣) مما جلبه آخر عام مبيع ومشتين فأبى ذلك، فأفصح عليه بأن أمواله إنما نمت ببركاته، مع الإذن له بها في بيوعاته ومشترياته. وكان إذ ذاك بمصر خبسه وأرسل من يستخرج مطلوبه من مراكبه فوقع على ما يريد وأطلقه في قيد الذل مهاناً^(٤)، فراح عنها ووصل إلى سلطان دياره بونابارته^(٥) بضم الموحدة، فواو ساكنة فنون فألف فموحدة فألف فراء مهملة ساكنة فثناة فوقية مضمومة (١٨٦) فهاء ساكنة، وكان في نفسه في مصر لما يسمح من خيراتها، فعباً أنفاله، وطلب رجاله، وأصلح أحواله، وهباً خيوله وجماله، وسار في مراكبه ينحوض لجب البحار، وقدم لحول أصحابه الفجار، فوصلوا إلى سلطان الإسلام سليم بن

== توقفت علاقه بحكامها وخاصة بمراد بك. كذلك اعتمدت عليه حكومته فعينه مشرفاً على المصالح الفرنسية في القاهرة عندما نقلت قنصليتها إلى الاسكندرية ثم أصبح القنصل العام الفرنسي في مصر بعد قيام الثورة الفرنسية. وكانت شكاوى مجالون إلى حكومته من سوء معاملة المالك للتجار الفرنسيين، وتقاريره عن أحوال مصر الداخلية ومدى ضعفها، من الأمور التي أغرت فرنسا على غزو مصر.

(١)، (٢)، (٣) زيادات من النسخة (ن م : ص ١٨٠ ب) لتوضيح المعنى.

(٤) إشارة إلى حادثة فرض الفرامات المالية الكبيرة على التجار الأوروبيين عموماً بواسطة إبراهيم بك، ثم محاولة بعض التجار الفرنسيين مفادرة القاهرة فقبض عليهم مراد بك وسجنهم ثم أطلق سراحهم بعد بضعة أشهر.

(٥) يلاحظ أن نابليون بونابرت لم يكن «سلطان بلاده» حينذاك، بل كان فقط أحد قادة فرنسا الكبار في ذلك الوقت، وعين قائداً عاماً للعملة الفرنسية على مصر لتجابه الساحق في حملته على إيطاليا، أما حكومة فرنسا وقتئذ فهي التي اشتهرت باسم «حكومة الإدارة». وحرص المؤلف على ضبط الإسم يدل على ميله إلى الدقة.

مصطفى خان^(١)، فقدموا بين يدي نجواه هدايا وتحف، وسألوه الاذن لهم بالخروج إلى الاسكندرية، ليعبروا منها إلى بحر السويس لحاجات لهم بالهند فأبى ذلك، ولم يسمحهم إلى ما هنالك، فتخللوا أخباره، وتفقّدوا آثاره، فوجدوه منهمكاً في لذاته، شغفاً بطيياته، ورأوا أمه تحل الأمور وتعدّد، وتصلح ما شاء وتفسد، فقدموا إليها ما لا واسعا، وسألوها طلبتهم، فأسمعت

(١) هو السلطان سليم الثالث بن السلطان مصطفى الثالث، تولى السلطنة في المدة من ١٢٠٣ — ١٢٢٣ هـ (١٧٨٩ — ١٨٠٧ م). ويعتبر من أوائل السلاطين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر، وعملوا على إصلاح أحوال الدولة العثمانية على أساس الاقتباس من نظم الغرب، لذا كان من المعجبين بالثقافة الفرنسية. وقد تلقت جيوشه في بداية عهده عدة هزائم أمام روسيا والنمسا، واحتلت أجزاء من بلاده، فدفعه هذا إلى أن يبدأ خطوات الإصلاح، وجمع مجلساً من كبار رجال دولته للنظر في شؤون البلاد الداخلية، وخاصة الناحيتين الإدارية والعسكرية، وقد أمر السلطان بفتح المدارس العسكرية الحديثة، وكون فرقا عسكرية جديدة، وأحضر الخبراء الأوروبيين لتدريبها، ونظم شؤون البحرية، وبني عدداً من السفن الحربية. غير أن ظروف الدولة العثمانية — الخارجية والداخلية — لم تكن تساعد السلطان حينذاك على الاستمرار في الاتجاه الإصلاحى، نظراً لتعدد الحروب التي نشبت بين السلطنة وبين جيرانها، وخاصة روسيا والنمسا. وعندما هدأت نسبياً تلك الحروب، اضطربت أحوال السلطنة ثانية نتيجة هجوم بونابرت على مصر، لذا اضطّر السلطان إلى إعلان الحرب على فرنسا — بعد أن تم التحالف بينه وبين روسيا وإنجلترا — وتجهيز الجيوش ومرسالتها إلى مصر، وظل مشغولاً بهذا الأمر حتى تم الجلاء عن مصر، وعقد الصلح مع فرنسا في عام ١٨٠٢ م. وتعددت مشاكل السلطان كذلك عندما قام أنصار الدعوة الوهابية بالثورة في الجزيرة العربية، واشتد ساعدها وطال أمدها حتى تم القضاء عليها في عهد السلطان محمود الثانى على يد والى مصر محمد على باشا. وفي نفس الوقت قام صدام بينه وبين روسيا وإنجلترا بعد أن أبعد حاكمى ولاشيا وملداقيا عن حكم المنطقتين، وفي المجال الداخلى، أثارت إصلاحات السلطان سليم الثالث حقن الجماعات العثمانية التقليدية، وعلى رأسها المتي، ووزق الانكشارية، أى الذين أضرت مصالحهم هذه الإصلاحات وقامت القلاقل في البداية في حاموية عثمانية على البحر الأسود، حيث قتل الجنود ضباطهم، بل وكل من ينتمى إلى الإصلاح أو النظم الجديدة بضلة، ثم امتدت الاضطرابات إلى باقى أنحاء الامبراطورية العثمانية وأصبحت الثورة عامة، تغالب بحل الفرق الجديدة. وقد اتخذ السلطان قراراً بإلغاء هذه الفرق للحد من مراقبة الدماء، ولكن هذا القرار شجع المتمردين على التمادي في الثورة، وفي النهاية عزل السلطان.

أميئتهم ، فجعلوا إليها صكاً في الاذن بالعبور من الاسكندرية ، فوضعت خاتم
السلطان على ذلك^(١) ، فراحوا عن ديار الروم وقد تبلجت لهم المسالك ،
فروا بجزيرة مالطة من أعمال الغرب^(٢) وهي تحت حوزة الانجليز^(٣) ،
فراوها حاكمة على بحر الروم فبغتوها خوفاً من أن يفجأهم أمر من بعد ، فلا
يجدون بدا من المرور بحوالي الجزيرة ، وكانت بينهما العداوة التي أخبر الله
عنها في كتابه^(٤) فاستولوا عليها واستباحوا ما فيها ، وهدموا قلاعها وحصونها ،
وعاثوا تجارتها ، وقتلوا كبراءها^(٥) ، وخلص الانقليز عنها وهو السلطان
قنصل^(٦) . بقاف مضمومة فتون ساكن فصاد مضمومة فلام ، وقصد سلطان
الاسلام يشكو ما صنع به بونا بارتته ، وجاءت الاخبار بأنه قد فاجأ الاسكندرية ،

(١) سبق مناقشة هذا الرأي للدؤلف خلال الدراسة التمهيدية ، ص ٥٣ .

(٢) زيادة من النسخة (ن . م : ص ١١٧١) .

(٣) لم تكن جزيرة مالطة « تحت حوزة الانكليز » حتى ذلك الوقت ، بل كانت
تحت سيطرة وحكم فرسان القديس يوحنا . منذ انتقلهم إليها عقب هزيمتهم في جزيرة رودس
أمام السلطان سليمان القانوني واستيلاء العثمانيين على الأخيرة في عام ١٥٢٢ م .

(٤) إشارة إلى ما ذكره القرآن الكريم عن العدا بين أهل الكتاب ، وهذا تأكيد
لثقافة واتجاه المؤلف الدينيين ، ومن المعروف أن التنافس الانجليزى الفرنسى ، كان قائماً على
أشده منذ قرنين من الزمان .

(٥) وردت في النسخة (ن . م : ص ١١٨١) : كبارها .

(٦) المقصود هنا هو قنصل إنجلترا في مالطة ، ولكن المؤلف استعمل اللفظ القنصلي
كاسم فقال : السلطان قنصل ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدم انتشار التسميات القنصلية
والدبلوماسية في ذلك الوقت . ومن المعروف أن الفرنسيين قبضوا على القنصل الانجليزى
والقنصل الروسى ونفوها إلى روما بعد استيلائهم على جزيرة مالطة . ومن الطريف أن
المؤلف استعمل هذا الاسم الوهمى للتعبير عن النشاط الدبلوماسى الانجليزى لدى السلطان
العثمانى الذى قام به في الواقع السفير الانجليزى في استانبول السير سيمس سميت ، وأخيه
السير سيدنى سميت الذى أرسلته حكومته إلى هناك بعد مجيء الحملة إلى مصر لحث
الامبراطورية العثمانية على إعلان الحرب على فرنسا .

وغلب عليها ، فعجب السلطان من ذلك وبقي يحضرته قنصل شهوراً يستغيث به ، ويسأله الاعانة على الأفر نصيصة ، فأجابه بعد اللتيا والتي (١) وأذن له بالخروج عليه وقصده إلى مصر ، وجعل له مرسوماً (٢) ينهج له السبل ، فخرج في جيش جرار وركب البحر ، ووصل إلى حذا دمشق ، فخرج من عكا جماعة يستفصحوون خبره ومراده ، فأطلعهم على مرسوم السلطان (٣) ، فأنهوه إلى أحمد الجزار (٤) ، فاستنزله فنزل عليه وأخبره بما توجه إليه ، فاستوقفه

(١) تعبير عامي مازال مستعملاً في اليمن بمعنى الأخذ والرد ، ويقصد به هنا : بعد طول المفاوضات .

(٢) المقصود بهذا المرسوم هي المعاهدة الانجليزية العثمانية التي أبرمت في يناير ١٧٩٩ م .

(٣) توجه السير سيدنى سميث من استانبول إلى كل من رودس وعكا للتنسيق مع حكاهما خطط مواجهة الفرنسيين ، كما أن الأسطول الإنجليزي ساعد عكا بمرأ أفتاء حصار بونايرت لها .

(٤) بعد من الشخصيات المغامرة التي تمكنت من الوصول إلى أعلى المناصب — اعتماداً على جهوده الذاتية — نتيجة ضعف واضطراب الأوضاع في الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، فقد وصل إلى حكم ولاية عكا ووطد نفوذه بها حتى أن السلطة فشلت في زحزحته عنها عدة مرات ، وزادت شهرته بعد صموده أمام حصار بونايرت لسك وفشله في الاستيلاء عليها ، وهو من بلاد البشناق ، وقد جاء إلى مصر في خدمة علي باشا — أحد ولاته — عند ولايته الثانية لها ، وقام بالحج — خلال هذه الولاية — مع أمير قافلة الحج المصري حينذاك وهو صالح بك القاسمي فأكرمه ، وتوطدت العلاقة بينهما ، وعند عودته من الحج وجد مخدومه — علي باشا — قد عزل وتوجه إلى استانبول حيث توفي هناك بعد قليل ، فبقى هو في مصر ، وقد حياها بمالكها ودخل في خدمة أحد أمراءهم وهو عبد الله بك أحد أتباع علي بك الذي عرف بالكبير فيما بعد . وقد ذهب مع مخدومه الجديد على رأس حملة لتأديب عرب البحيرة ، ولكن الحملة فشلت في مهمتها وقتل عبد الله وعاد هو إلى القاهرة مع باقي أفراد الحملة . وعندئذ عينه علي بك « كاشفاً » للبحيرة لينتقم لسيده من عربها ، فتمسكن هناك من التحاليل على أعيان المنطقة وجمعهم لديه ثم قتلهم دفعة واحدة — وكانوا زهاء سبعين رجلاً — فاشتهر منذ ذلك الحين باسم الجزار . وقد أخذ يترقى المناصب المختلفة حتى وصل إلى درجة « الصنعية » ، ولكنه اضطر إلى —

وأخبره أن الفرنسيين قاصدة له ، وأنه مستعين به ، وواصل سببه بسببه
فكانت القتلة العظمى ، والداهية الدهيـاء بهـكة (١) ، وقد ذكرنا وصف
خروج الفرنسيين على أحمد الجزار ، وما دار بينهم وبينه ، وكيف أوقعهم
وذكر أسماء الخارجين عليه من أمرائهم وعظماهم وقتلتهم ، وأتيننا على أخبار
دخولهم الاسكندرية وما الذي أعملوه من المكر والخداع ، وفصلنا ذلك
في كتابنا « قرة العين » ، فلانطول بالاعادة ، ففيه مطلوب المتطلع وزيادة ،
ومنشئت الكتب التي وردت من الشريف (١٨٧) غالب (٢) في هذا الحادث

= الحرب من مصر عقب نشوب الخلاف بين علي بك وصالح بك القاسمي ، فذهب إلى استانبول
ثم عاد متخفياً إلى مصر ، وعاش بين عرب المنادى بالبيعة وتزوج منهم ، وعندما أرسل
على بك حملة لمحاربتهم ، حارب معهم حتى اضطر ثانية إلى الهرب إلى الشام . وهناك تقابلت
به الأحوال وقوى جانبه بشراء المماليك ، حتى اشتهر اسمه وذاع صيته ، فولاه حسن باشا
الجزائري ولاية عكا عند وصوله إليها . وقد ثبت أقدامه بها ووسع مملكته حتى اضطرت
السلطنة إلى توليته ولاية الشام ، وإن ظل متخذاً عكا مقراً له . « وبالجملة فكان من
غرائب الدهر وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ولا يسعف الفكر بتذكراها ولو جمع بعضها
جاءت مجلدات ولو لم يكن له من المناقب إلا استعظاؤه على الفرنسيين وقيامه في محاربتهم له
أكثر من شهرين لم يغفل فيها لحظة لسكناه » . وقد مات أحمد باشا الجزاري في ١٢١٩ هـ
(٤ / ١٨٠٥ م) أي بعد جلاء الفرنسيين عن مصر بعدة سنوات . (الجبرتي : ج ٣ ،
ص ٣٤٠ - ٣٤٢) .

(١) وصحتها عكا ، وكان المؤلف يكتبها أحياناً عكا وأحياناً أخرى عكا

(٢) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني المتوفى عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) من
أشراف مكة وتولى حكمها بعد وفاة أخيه الشريف سرور في ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧ م) .
وفي بداية حكمه ، نازعه بن أخيه عبد الله بن سرور ولكنه تغلب عليه واستقرت له
الأمر مدة من الزمن . وعندما اشتد ساعد سعود بن عبد العزيز بنجد ، وهاجمت
جيوشه الحجاز ، تصدى لها الشريف غالب ولكنه هزم وتقهقر إلى جدة ، ثم دخل في
طاعة السيطرة السعودية وحكم مكة مرة أخرى باسمهم . وقد استمر إلى منصبه بعض الوقت
حتى بعد أن زحفت جيوش محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية بناء على أمر السلطنة العثمانية ،
لأنه حصل الشريف ولاءه إلى محمد علي . ولكن قوات الأخير قبضت عليه بعد مدة =

العظيم ، والخطب الجسيم ، عام ثلاث عشرة ومائتين وألف ، إذ فيه كان وصولها ، ونقل الكتاب الذي بعثته عناه الفرنسية إلى بونابارته تحفه على أعمال النظر الدقيق ، واستعمال الخداع بذلك الفريق ، وإنزال الضرر بجماعة المسلمين ، والمكر بهم وبمن أعانهم من سائر الكافرين .

= وأرسل إلى القاهرة عام ١٢٢٨ هـ ، فبقى بها شهراً ، ثم أرسل إلى الآستانة ، ففتحه السلطنة إلى سالونيك حيث توفي بها . وهو من أشهر أشراف مكة في القرن التاسع عشر ، عرف عنه المكر والدهاء والسياسة المرنة والقدرة على المناورة ، وقد اهتم به كثير من مؤرخي عصره مثل مؤرخنا لطف الله حجاب والجبرتي وابن غنم وابن بشر وغيرهم (الزوكلي : الاعلام ، ج ٥ ، ص ٣٠٥) .

(١) مازال لفظ انفق مستعملاً في اليمن إلى الآن بمعنى تقابل ، فيقال : لم تنفقي منقب عودتك من القاهرة بمعنى لم تتقابل من قبل .

[٢]

[الصدام البحرى بين انجلترا وفرنسا بالقرب من عدن
بعد استيلاء الفرنسيين على مصر]

سنة ١٢١٢ هـ .

(١٩٢) وفى ربيع الآخر : اتفق مركب للفرنساوية ومركبان للانقليدية
باب عدن^(١) ، فكانت بينهم ملحمة بعد بلوغ الاخبار فى البحار بدخول
الكفار ديار مصر ، وكانت الدائرة على الفرنسيين .

(١) المقصود هو مدخل ميناء عدن لأنه محاط بالجبال العالية .

[٣]

[تعاون سلطان مسقط مع الانجليز ضد الفرنسيين]

(١٩٢) وكان صاحب مسكات (١) قد شحذ همهم من بالجزائر هناك على مهاولة
الفرنسيين لأسباب منها أخذ جماعة من الفرنسيين دوا (٢) وكانت به (٣)
أموال جمعة ، وأخذ عليهم بعدها ثلاثة غرابيات (٤) . وكان الافرنسيين
قد (١٩٣) أخذ ثلاثة مراكب من حوزة محمد علي خان صاحب الهند (٥) ،
وبها جماعة من الانجليز ، ومركب للشليبي (٦) ، فما زالت المراكب تمر من
بحر الهند آمنة إلا ما كانت من مراكب الفرنسيين ((فانها لا)) تمر (٧) إذ
ذلك من عدن إلا على مخافة .

(١) وهي مسقط المعروفة على ساحل شبه جزيرة العرب الجنوبي ، وما زال
أهالي المناطق اليمنية الجنوبية ينطقونها كما وردت عند المؤلف : مسكات بكسر الميم .
(٢) وردت في النسخة (ن . م . : ص ١٨٤ ب) : دوان ، والدوا هي سفينة النقل التجارية .
(٣) وردت في النسخة (ن . م . : ص ١٨٤ ب) : بهما .

(٤) مفردا غراب ، وهي سفينة النقل الكبيرة التي تنحدر اعالي البحار ، وربما
ترجع هذه التسمية نسبة إلى الطائر المعروف باسم الغراب لقوته وجراته على الارتفاع
في أجواز الفضاء ، وربما ترجع أيضاً إلى أن غوارب الماء تعني أعالي موجه ،
(فيدوزابادى : القاموس المحيط ، ج ٤ : مادة : غرب) أي السفينة التي تسير في
البحار ذات الأمواج العالية .

(٥) هو أحد القادة الهنود في جهات البنغال ، الذي استطاع أن يصل إلى حكم
إحدى المقاطعات الهندية ، وأن يحول هذا الحكم إلى عرش وراثي ، عن طريق الارتقاء
في أحضان شركة الهند الشرقية (الانجليزية) والحصول منها على القروض الضخمة ،
وذلك مقابل السماح لها بالتدخل في شؤون البلاد (البنغال) الداخلية ، ومقابل الحصول
على منح وامتيازات في هذه المناطق . وقد ترتب على هذا كله التعاون الوثيق في الشؤون
التجارية بين الطرفين ، وخاصة أن إنجلترا كانت تسيطر على التجارة وعلى البحار حينذاك
بصورة كبيرة .

(٦) لم يتضح لنا من هو الشليبي ، وإن كنا نرجح مؤقتاً أن هذا اللفظ عبارة عن
صفة أكثر منه اسماً .

(٧) تصحيح من النسخة (ن . م . : ص ١٨٤ ب) فقد وردت في النسخة الأم :
ولا . وفي هذه العبارة إشارة إلى اشتداد الصراع الانجليزي الفرنسي حينذاك .

[٤]

[حروب متطوعى الحجاز مع الفرنسيين بصعيد مصر]

ودخلت ستة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

(١٩٤ هـ) وفيها قام فى البلدة الحرام ، بوظيفة الدعاء إلى إقامة شعار
سنام الاسلام ، محمد المغربى الجيلانى (١) الهاشمى لما وردت الاعلام ، بما
صنعه الكفرة اللثام ، من الهجوم على ساحات مصر ، وتصدر بالحرم الشريف
فالتف عليه خلائق ، واستمعوا لإرشاده إلى أنهج الطرائق ، وفعل دعاء
بالقلوب (٢) ما فعل ، وتسامع الناس بأخباره فوزدوا إليه ، وبذلوا نفوسهم
وأموالهم بين يديه ، وكانت النساء تاتى فتنسمع ما يمايه من أحاديث الخوض
على الجهاد ، فيلقين إلى الحلقة فتخاتهن (٣) وعقودهن وملبوسهن ، ويقفن

(١) ذكره الجبرقى باسم السكيلانى أى بالكاف وليس بالجيم ، ويلاحظ
أن الجبرقى ولطف الله جعاف لم يذكر له ترجمة خاصة بل اكتفيا بتتبع أحداثه
حتى استشهاده .

(٢) وردت فى النسخة (ن م . : ص ١١٨٦) : فى القلوب .

(٣) الفتخة والفتخة خاتم يكون فى اليد أو الرجل بقص وبغير قص ، وقيل هى
الخاتم أياً كان ، وقيل هى حلقة تلبس فى الأصبع كالحاتم . وكانت نساء الجاهلية يتخذنها
فى عشرين ، والجهم فتخ وتوخ وفتخات ، وذكر فى الجمع أيضاً فتاخ . وقيل الفتخة
حلقة من فضة لا قص فيها فإذا كان فيها قص فهى الحاتم ، وقيل أيضاً أنها كل خلخال
لا يحرس (ابن منظور : لسان العرب ، ٤ ، ص ٩) .

ذلك الذى علينا ، فاجتمعت عنده أموالا واسعة ، ووردت إليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار بهم لمناجزة أعداء الله الفرنسية ، فسكان من خبره ما قصصناه فى كتابنا ، الرحلة إلى الحرمين ، ، غير أنا لا نخل بهذا (١) الكتاب من فائدة زائدة .

كان السيد محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين إلى فريضة الجهاد ، فمن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي (٢) ، فإنه تصدىق فى سبيل الله بخمسمائة بندق صغار مغربية ، ومائتى حربة ((من حراب الشام)) (٣) ، ومائتى سيف ، وأربع مائة كيس حبوب الرز ، وألفى فعل بفتحها فقراء المجاهدين ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيري (٤) بمهمات (٥) جهز ثلاث سواعى (٦) يركبها المجاهدون وملاها لحم ميره ، ومنهم الشيخ أحمد فاس جهز داوين فى سبيل الله ، ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواعى فى سبيل الله

(١) وردت فى النسخة (ن.م. : ص ١٨٦ أ) : لا نخل هذا .

(٢) يبدو أنه هو وغيره من المتبرعين الذين وردت أسماءهم فى هذا النص من كبار تجار الحجاز ، إذ لم أجد لهم ترجعات فى المصادر المعاصرة .

(٣) زيادة من النسخة (ن.م. : ص ١٨٦ أ) لتوضيح المعنى .

(٤) وردت فى النسخة (ن.م. : ص ١٨٦ أ) : الغزى بالفين المفتوحة .

(٥) وردت هكذا فى النسختين ، ويرجح أن المقصود بها هو : بأشياء متنوعة متفرقة ، أى مهمات وهى الأقرب الى المعنى .

(٦) مفردا ساعى ، وهى السفينة الصغيرة الخاصة بنقل البضائع بين الموانئ المتقاربة . وقيل إنها ما زالت مستعملة الى الآن بهذا الاسم فى الموانئ الحجازية مما استعمل الآلات لتحريكها بدلا من الشراع .

شاحنة ، ومن أهل ينبع محمد أبو العسل (١) جهز داوا من داواته وثلاث سواعى أخرات من أهل ينبع ، فسيّر السيد محمد الجيلاني جماعة المتطوعة من جدة في تلك الداوات فكانوا نحواً من أربعة آلاف مقاتلاً ((ثم سار ناحياً نحو المدينة المنورة فر بأهل رابغ (٢) والخليص (٣) فدعاهم فأجابوه ، وبذلوا له أموالاً واسعة ، وسار إلى بدر فأناطوه وخرج منهم جماعة مقطوعة ، وكان له وكلاء يجمعون)) (٤) الأموال ((معه)) (٥) ، ثم نزل بالصفر (٦)

(١) يبدو أنه من تجار العسل الكبار ، إذ أن المنطقة الخلفية لميناء ينبع تشتهر بوفرة عسل النحل بها (يرجع إلى كتاب حمد الجاسر : بلاد ينبع) .

(٢) لاسم لواد بقطة الحجاج ويقع بين مكة والمدينة ، وهو يحمل هذا الاسم إلى الآن ، وهو كذلك اسم للعينة الصغير الذي يقع بين جدة وينبع على ساحل البحر الأحمر ، وهو بذلك اسم للواد والمدينة معاً . (ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٣٠٤ م . ٤٠٢ م ، وابن بليهد : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار . ٣٠٤ م ، ١٩٩ — ١٠٠) .

(٣) هو اسم لواد في قرية ونخل بين مكة والمدينة ، وكان قديماً يعرف باسم : خليس ، إلا أن التأخرين ينطقون به بالتصغير ، أي خليس وهو يقع على طريق السيارات الآن ، (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٠٤ م ، ٧١ م ، ابن بليهد : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، ٣٠٤ م ، ٥٤) .

(٤) العبارة كلها مستكملة من النسخة (ن . م . : ص ١٨٦ أ) فهي ناقصة في النسخة الأصل (ن . ع .) نتيجة قص الأوراق عند التجليد ، إذ يبدو عند طرف الورقة بقايا حروف فقط لا يمكن قراءتها .

(٥) زيادة في النسخة (ن . م . : ص ١٨٦ أ) .

(٦) وهي الصفراء ، اسم لجهة من جهات المدينة المنورة ، وهي زاخرة بالأودية والقرى ، تقع بين المدينة المنورة ومينائها ينبع ، كما أن مياهها تنحدر إلى ينبع ، ويحدها من الغرب جبل رضوى المعروف ، كما يطلق هذا الاسم على إحدى قرى هذه الجهة ، وقد وردت كثيراً في كتب الرحلات لأنها تقع على طريق الحجاج القادمين من مصر والمتجهين إلى المدينة المنورة ، كما في هذه الجملة يكثر لإنتاج عسل النحل وهي ما زالت معروفة بهذا الاسم إلى الآن . (حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٩٥ — ١٩٧) .

فدرس بها (١) ودعا إلى الجهاد ، لجأوه بأموال واسعة ، فقال له بعض العوام أنهم زيدية (٢) ، فقال قد زادهم الله ((عليكم)) (٣) فضلا ، فإنني وجدتهم ((يذفمون)) (٤) أموالهم في سبيل الله وقبضها منهم . وسار إلى المدينة ، فسلم من أهلها أموالا جزيلة ، وخرج منهم ثلاث مائة متطوعة ، فنزل بالجميع إلى ينبع ، وجاءه الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم فحمد الله ، وسار بمن معه ، وكان السابقون من مكة قد خرجوا من ريف مصر وعليهم السيد حسن الجيلاني ابن أخت السيد محمد ، والسيد طاهر أخو السيد محمد فنزلوا بقنا (٥) ، فقبل لهم أن النصارى بمدينة سمهود (٦) قريباً

(١) بمعنى وعظ ، وما زال هذا التعبير مستعملاً في اليمن بمعنى الوعظ والإرشاد ، فيقال : « الدرس والدريس في المساجد » بمعنى الوعظ وقراءة القرآن عند وفاة أحد الأهل .

(٢) إشارة إلى أنهم أتباع المذهب الزيدى نسبة إلى الإمام زيد بن علي ، ولكن يلاحظ أننا لم نعثر في كتابي ياقوت الخفوى (ج ٥ ، ص ٣٦٧) ، وحمد الجاسر ما يثبت انتشار المذهب الزيدى بين أهالي الصفراء .

(٣) زيادة من النسخة (ن . م . ص ١٨٦ أ) لتوضيح المعنى .

(٤) وردت في النسخة (ن . م . ص ١٨٦ أ) : ينفقون .

(٥) اسم لمدينة كبيرة من مدن جنوب الصعيد ، وهي كذلك اسم للمحافظة التي أع فيها هذه المدينة . وهي مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفرعوني ، وكانت تسمى حينذاك شابت Chabt وفي العهد الروماني عرفت باسم Maximianopolis نسبة إلى الإمبراطور مكسيمليان المعروف وحوز هذا الاسم فيما بعد إلى Kainipolis وتحول هذا الاسم في العصر القبطي إلى كوني Kouni وبعد الفتح الإسلامي تحول إلى قونة ، لذلك تذكر باسم : قناة ، أما سكانها فيلقون عليها اسم : قنا وفي العهد المملوكي كثير بها الربط الصوفية (ومفردهما راط) التي يتجمعون بها للتعبيد ، ومن أشهر رجال الصوفية « سيدى عبد الرحيم القناني » الذي اشتهر باسم « سيدى القناوى » حتى العصر الحالي . ومدينة قنا تقع على الضفة الشرقية للنيل ، وظلت طوال تاريخها تتأرجح بين اعتبارها عاصمة لإقليم صغير تلحق بإقليم آخر هو إقليم قوص أو جرجا ، وبين اعتبارها عاصمة لإقليم صغير مستقل ، =

منكم ، فخرجوا نحو النصارى فاقبضوا فكانت الدائرة ذلك اليوم على المسلمين ، ففروا إلى قنا ، فحصرتهم النصارى ((بها)) (١) فخرجوا عنها إلى بشر عنبر (٢) من أعمال الريف ، وسار بعضهم إلى اللقيطة (٣) وعادت النصارى إلى سمود ، وورد على المسلمين الخبر بزول الجيلاقي من البحر ، فالتقاه ((جماعة)) (٤) منهم فطلبهم جميعاً وسار بهم حتى إذا حاذى مدينة أبنود (٥) ، كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، فإن أطاعوا وإلا فهو مقاتل لهم ، فأجابوه إلى القتال ، وانشالت جموعهم برأ وبحراً ، فخرجت إلى

== وذلك حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر حيث بدأت تأخذ شكلاً مستقلاً واضحاً .
ومنذ عام ١٩٤٠ م ، استقر الأمر باعتبار مدينة قنا عاصمة لمديرية أو محافظة تعرف باسمها . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الثاني ، ص ٤٠ ،
س ١٧٨ — ١٧٩) .

== (٦) اسم لغوية مصرية تقع جنوب الصعيد بالقرب من قوس وقنا ، وهي تحمل اسم فرعون قديم ينقسم إلى شقين بمعنى : اتحاد العرش ، واختصرت في العهد القبطي إلى سمود Semhout وظلت في العهد العربي تحمل هذا الاسم إلى الآن .
وهي تقع على شاطئ النيل الغربي . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الثاني ، ص ٤٠ ، ص ١٩٧) .

(١) زيادة من النسخة (ن. م. : ١٨٦ ب) .

(٢) ، (٣) قريتين صغيرتين بالقرب من مدينة قنا .

(٤) جاءت في النسخة الأم (ن. ع) : جماعات ، ولكن ما جاء في النسخة الثانية هو الأفضل ، لأنه يتفق من سياق الجملة .

(٥) مدينة متوسطة في جنوب الصعيد تقع بالقرب من مدينة قفط المعروفة ، وهي تنقسم قوس إدارياً . وهي مدينة قديمة ترجع إلى العهد الفرعوني ، وكانت تعرف باسم : بنوت ثم وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي باسم : أبنود . وهي تشتهر بكثرة بساتينها ونخيلها ، وكثرة معاصر نصب السكر . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الثاني ، ص ٤٠ ، ص ١٧٤) .

((مرسى)) (١) أبنود اثني عشر مركباً ، فقصدها جماعة من المسلمين فاتمبوها ، وغرقوا كثيراً من أهلها ومالكوها ، ووجدوا بأحدها ثمانين ألف ريال . ووصلت بعد ثلاث ليال جموع لا تعد من النصارى فتوجهت في البر على أبنود ، فقام المسلمون وجابهوهم (٢) ، فاقتتلوا من آذان الظهر إلى أن تضيفت (كذا) (٣) الشمس للغروب ، وكانت الدائرة بعد على المسلمين فإنهم بعد ذلك تفرقوا فرقاً ، وذهب كل ((منهم)) (٤) قبل وجهة بعد أن قتل من الطائفتين خلق لا تحصى . وعاد السيد الجيلاني في أربعين نفرأ من أهل اليمن (٥) ، وطالع قلعة أبنود فتبعته النصارى بجمع لا يحصى ، فأحرقوا مدينة أبنود ، وتوجهوا على القلعة فأحرقوا بابها ، غير أن السيد ومن في حضرته أحربوا حرباً حاراً ذلك اليوم ، وما زالوا كذلك ثلاثة أيام ((حتى نفد)) (٦) ما بها من الماء والزاد ، فخرج بمن معه ليلاً وسار بهم إلى بئر عنبر ، فلقى بها جماعة من المسلمين ، فسألهم عن إخوانهم ، فأخبروه

(١) جاءت في النسخة الأم (ن . ع .) : قرب ، ولكن في النسخة (ن . م . : ص ١٨٦ ب) وردت ، مرسا (وصحتها : مرسى) وهي الأفضل لانفاها مع الحديث عن السفن ، وهي هكذا بمعنى : البناء .

(٢) وردت هكذا في النسخة الأم (ن . ع .) بدون تنقيط ، وفي النسخة (ن . م . : ص ١٨٦ ب) جاءت : وجاهم وربما المقصود هو : وجاءهم ولكن ما ذكر هنا هو الأفضل .

(٣) هكذا وردت في النسختين ، وهي بمعنى : مالت .

(٤) زيادة من النسخة (ن . م . : ص ١٨٦ ب) .

(٥) يرجح أن المقصود بأهل اليمن هم أهالي يمن أو جنوب الحجاز ، إذ لم يرد بالنس ما يدل على وجود متطوعين يمنيين بين صفوف جيش السيد الجيلاني .

(٦) وردت في النسخة الأصلية (ن . ع .) فنقد .

بثقتهم، فسار عنهم (١) تلك الليلة إلى عمله يقال لها حجازة (٢) في نفر خفيف وأبقى بيتر عنبر السيد حسن الجيلاني ، ((وكان بها)) (٣) من الصناجق (٤) حسن بيه الجداوى (٥) الخارج أيام أبي الذهب إلى الحرمين ، وكذلك عثمان

(١) وردت في النسخة (ن. م. : ١٨٦ ب) : بهم ، ولكن (عنهم) تتفق مع سياق الحديث .

(٢) لأحدى القرى التابعة لمركز قوص ، وقد قسمت فترة من الزمن إلى : حجازة بحرى وحجازة قبرى ، ولكنهما ضمتا الآن . (محمد رمزي : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، القسم الثانى ، ج ٤ ، ص ١٩١) .

(٣) زيادة من النسخة (ن. م. : ص ١٨٦ ب) .

(٤) ومفردها صنجق ، وتكتب أيضاً بالسين أى سنجق وسناجق ، وسنجق في الأصل بمعنى العلم والراية ، ثم استعملت للدلالة على الأقسام الإدارية الكبيرة للبلاد مثل المحافظة والمديرية واللواء ، وأصبحت لقباً لمن يتولى إدارة هذه الأقسام ، كذلك ما يبادل هذه الوظيفة السامة من الوظائف الأخرى الكبيرة مثل مدير الجمارك ، أو المشاولين عن الثغور أو غير ذلك ، ولقب السنجق أيضاً يبادل لقب أمير وبيك وهى ألقاب عسكرية في الأصل ، ورتبة السنجق هى السنجقية والصنجقية .

(٥) هو الأمير حسن بيك الجداوى مملوك على بيك الكبير ، مات بفترة بالطاعون في عام ١٥١٥ هـ (١٧٩٩ / ١٨٠٠ م) وقد عرف بالشجاعة والإقدام ، ولا انفرد على بيك الكبير بحكم مصر ، ولحق حسن بيك حكم جده مدة من الزمن ، وأظهر فيها كثيراً من أعمال البطولة ، ولذلك اشتهر منذ ذلك الوقت باسم الجداوى . وقد شارك مثل غيره في المنازعات المملوكية العديدة التى عرف بها العهد العثمانى — المملوكى ، حتى انتهى به الأمر إلى أن عينه إبراهيم بك والياً لإمارة جدة مرة أخرى وذلك لإبعاده عن مصر ، وبعد إقلاع سفينته من السويس أمر ربان السفينة أن يذهب به إلى القصير وهدده بالقتل ، وعندما وصل إلى هناك ، توجه إلى لاسنا بالصعيد واستقر بها فالتف حوله مماليكه ، وظل هناك أكثر من عشر سنوات : وقد عاد إلى القاهرة وعاش بها مدة عندما انقصر حزبه وسيطر إسماعيل بك على مقاليد الحكم في القاهرة . وبعد قليل اضطر ثانية إلى مغادرتها والاستقرار في الصعيد حتى جاء الفرنسيون إلى مصر ، أى بعد حوالى سبع سنوات من استقراره هناك وهنا شارك غيره من المماليك في محاربة الفرنسيين في مختلف جهات مصر ، حتى انتهى به الأمر إلى أن دخل القاهرة ثانية عقب وصول الصدر الأعظم إليها ، وعاربته للفرنسيين . وفي هذه الفترة ، شهد بشجاعته كل من المصريين والعثمانيين والفرنسيين . (الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٨٠ — ١٨١) .

بـيه حسن^(١) صنعق آخر ، قد التفت جمعهما العظيم مع متطوعة المسلمين ، وراح الجيلاني من هنالك وقد أدرك^(٢) عله ، فاستقر بمجازة ثلاثة أيام وأدركه الأجل . وجاءت الرسائل إلى من بأبنود وبثر عنبر عنبرة بوفاته رحمه الله ، وطالبة ((من المسلمين))^(٣) الوصول للاطلاع على الوصية ، فانثال إلى حجازة جمع من المسلمين للنظر فيما أوصى به ، فوجدوه قد أوصاهم بتقوى الله ، والجهاد في سبيل الله ، والصبر على ملاقاتة الأعداء ، غير أنه تبدد النظام ، وكثر الكلام ، وأجمع رأى المسلمين على النزول إلى ديار النصارى ، فساروا إلى قبائل هلة^(٤) وجمعية من أهل مصر ، ((فالتقوا))^(٥) مع النصارى ،

(١) من أتباع حسن بك الجداوى سالف الذكر ، وقد صاحبه في كل تحركاته حتى خروج الفرنسيين من مصر ، غير أنه طال به العمر حتى أنه عاصر بداية عصر محمد علي باشا . وقد اشترك عثمان بك في المصادمات التي وقعت بين المماليك وبين محمد علي حتى انتصر عليهم الأخير ، وتمسكن من تصفيتهم ، ولم يحدد الجبرتي تاريخ وفاته ، ولم يكتب له ترجمة منفصلة ؛ ذلك لأنه مات مبكراً عنه مطارداً ، إذ كان عثمان بك من بين المماليك الذين طاردهم محمد علي في الصعيد حتى أخرجهم منه إلى السودان ، فأقاموا هناك في « دققة » في حالة يرثى لها يقتاتون ما يزرعونه من الدخن كما ذكر الجبرتي : وقد طال عليهم الأمس ومات أكثرهم ومعظم رؤسائهم مثل عثمان بك حسن وسليم أغا وأحمد أغا . وغيرهم ممن لا علم لنا بخبره بعد المسافة حتى على أهل منارهم ، وبقي ممن لم يمت منهم إبراهيم بك الكبير . (حاكم مصر قبيل الحملة) . وقد ذكر الجبرتي أخبار بقايا المماليك في السودان بمناسبة وصول رسول من قبلهم إلى محمد علي باشا يطلب الأمان لهم ، والسماح لهم بالعودة إلى مصر للاقامة بأحدى الجهات التي يحددها محمد علي باشا لهم وبالشروط التي يرضيها . (الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧) .

(٢) وردت هكذا في النسختين ، وصحتها : أدركته .

(٣) وردت في النسخة الأم (ن.ع.) : للمسلمين .

(٤) ورد ضبطها في النسخة (ن.م. : ١٨٧ أ) بالكلمات هكذا : بهاء مكسورة فلام مشددة مفتوحة فتاء تأنيث ، وقبائل هلة وجمعية من القبائل العربية المعروفة التي استقرت بصعيد مصر .

(٥) وردت في النسخة الأم (ن.ع.) : فالتقوى ، ولكن ما جاء في النسخة (ن.م. : ص ١٨٧ أ) هو الأصح .

فاقتتلوا قتالا شديداً ففى فيه خلق . ثم ساروا بعد ذلك فنزل المسلمون على برارى جرجة^(١) فتلقاهم هنالك الشيخ عبد المنعم الهوارى^(٢) وأخبرهم بأن النصارى بالقرب من محله فنزل المسلمون عليه فلم يشعروا إلا بطلائع النصارى قد أقبلت عليهم ، فخرجوا فكانت ملحمة عظيمة ففى بها من الفريقين خلق ، واحتز عبد المنعم رؤوساً من قتلى النصارى . وانفصم بها عقد نظام المنطوعة ، وذهب الناس لإرسالاً لأمير لهم ، منهم الذهاب إلى مصر ، والذهاب إلى الشام ، والعائد إلى الحرمين .

وسنقص عليك بعض ما كان عام أربع عشرة ، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما كان من مصالحة الشريف ((غالب))^(٣) لسلطان النصارى بونا بارتته وتفصيله .

(١) جاءت مضبوطة بالكلمات فى النسخة (ن . م : من ١٨٧) كالآتى :

جيم مكسورة مهملة وراء ساكن بضم مفتوحة فتاء تأنيث ، ولكن الشائع والأصح أن تنتهى بآلف . وهى من أشهر مدن الصعيد وأقدمها ، إذ كانت تسمى قديماً : دجرجا . وكانت باستمرار عاصمة لإقليم واسم حولها منذ العهد العثمانى . وحتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وأصبحت كشوفية مستقلة لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الصعيد ، وخاصة بعد أن قويت شوكة المماليك فى العهد العثمانى المتأخر . وهى الآن مقر لجزء من المحافظة — أى مركز — بعد أن انتقلت عاصمة المحافظة إلى مدينة سوهاج لتوسطها . (محمد رمزى — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، القسم الثانى ، ج ١ ، ص ١١٣) .

(٢) أحد رؤساء قبائل هواره التى ارتفع شأنها فى إقليم جرجا قبل مجيء الحملة الفرنسية على مصر .

(٣) ورد اسم الشريف حمود فى النسختين ، ثم شطب فى النسخة الثانية وكتب بدلاً منه : الشريف غالب ، وهو الأصح فهو الذى عاصر أحداث الحملة الفرنسية على مصر .

[٥]

[ترجمة حياة أحد أمراء المجاهدين الحجازيين]

(٢١١) وفي شوالها سنة ١٢١٣ هـ، (١) توفي، (٢) محمد بن غابدين بن محمد حياة السندي (٣) كان أميراً على المتطوعة في جهاد الفرائسة بمصر، فعاد وقد قضى ما عليه من فريضة الجهاد، وقضى نخبه بأشرف بلدة وأعز ناد، وكان أسرع مسرع حرباً وقدح زناد، وفوضه في أمرته تلك محمد المغربي الهاشمي الجليلي المقدم الذكر (٤).

(١) ، (٢) إضافات لتوضيح المعنى ، فالمؤلف لا يحرم على ذكر لفظ (توفي) عندما يبدأ في ذكر التراجم في نهاية كل سنة ، بل يكتفي بأن يقول : وفيها ، ثم يذكر اسم المترجم له مباشرة .

(٣) يبدو من اسمه أنه من أصل هندي ، ويلاحظ أن المؤلف كتب اسم : حياة على الطريقة القديمة أي : حيوة ، مثلما كان لفظ الصلاة يكتب بالصلوة .

(٤) يبدو أن المذكور كان شاعراً أديباً ، فباق الترجمة عبارة عن نماذج من أشعاره . وقد ذكر المؤلف أنه لم يعثر للمذكور ترجمة ما سوى في مخطوطة عبد الله بن عيسى محمد الكوكباني (توفي عام ١٢٢٤ هـ) وهي بعنوان : « الحدائق المظلمة من زهور أبناء العصر شقائق » (ذكر عبد الله الحيفي هذه المخطوطة في كتابه : مراجع تاريخ البين ، ص ١٢٣) .

[خطاب الشريف غالب بن مساعد إلى الإمام المنصور على بأخبار
الحملة والاستعداد لحماية سواحله]

سنة ١٢١٣ هـ

وفي شهر رجب من هذا العام (١) ، وصل إلى الإمام (٢) من الشريف
غالب بن مساعد كتاب مخبر بثورة الفتن العظمى ، ووثبة الطائفة الشقية

(١) يوافق ديسمبر ١٧٩٨ / يناير ١٧٩٩ .

(٢) هو الإمام المنصور على الذي عاصر أحداث الحملة الفرنسية على مصر ، والذي
وضع له مؤرخنا الثمين لطف الله جفاف ، السيرة المعروفة بعنوان « درر نهور الحصور العين
بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين » ، التي استخرجنا منها هذه النصوص .
وهو الإمام المنصور على ابن الإمام المهدي العباس ابن الإمام المنصور الحسين ابن الإمام
المتوكل القاسم بن الحسين ابن الإمام المهدي أحمد ابن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد مؤسس
الدولة القاسمية في اليمن . ولد بصنعاء في عام ١١٥١ هـ (٣٨ / ١٧٣٩ م) ونشأ بها
وأخذ العلم عن علمائها ، ثم فوضه والده لحكم صنعاء وقيادة الجند مدة طويلة حتى بويح
بالإمامة بعد وفاة والده في عام ١١٨٩ هـ (٧٥ / ١٧٧٦ م) . وقد طال حكمه حتى
وصل خمس وثلاثين عاماً ، أي حتى عام ١٢٢٤ هـ (٩ / ١٨١٠ م) وقيل عنه : « آخر
الحلفاء الأجواد ، وخاتم الملوك الذين قابلهم الدهر باليمن والإسعاد ، كريم السكف ، كثير
المن ، أيامه غرة في جبين الزمن ، كانت خلافته في آل الإمام القاسم ، كخلافة الرشيد في
الزمن القادم » . ورغم ذلك فقد بدأ في عهده ضعف حكم الأسرة القاسمية ونفتت اليمن ،
فقد خرجت نهامة من تحت حكم صنعاء ، كذلك تعددت الثورات في المناطق الجبلية ضد حكم
الإمام . وفي أواخر أيامه خرج عليه ابنه نتيجة سيطرة وزراء أبيه على مقاليد الأمور ،
وانتشار الفساد حينذاك ، فقبض على مظاهر السلطة جميعها ، وعزل وزراء أبيه ، وأن أبقي
عليه في منصبه حتى توفي بعد ذلك بقليل . وقد ترجم له الكثير ممن اهتموا بتاريخ الأئمة ،
ومنهم قشرت كتبهم ، مثل : الشوكاني وزبارة والواسعي وغيرهم ، ولكن أهم هذه
التراجم وأوسعها هي سيرته التي وضعها لطف الله جفاف (زيارة : نيل الوطر ، ٢ ،
ص ١٤٠ — ١٤٢ ، الواسعي . تاريخ اليمن ، ص ٥٩ — ٦١) .

الصماء (١) ، طائفة الفرانسة الأفريقية ، على الإسكندرية ، وبلوغها بالحداد
والماكرة ، إلى ديار مصر القاهرة ، وأرسل باطنه فرمان سلطان الاسلام
سليم بن مصطفى خان .

قال الشريف : الحمد لله الذي كل يوم هو في شأن ، والصلاة والسلام
على سيد ولد عدنان ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه والتابعين بإحسان إلى
يوم الدين ، ثم نهدى مزيد سلام نشأ من خالص النوداد ، وأعرب عن صدق
المحبة والاتحاد ، مع تحيات طاب نشرها من المآثر العظام ، وبيت الله
وزمزم والمقام ، إلى الحضرة الباهرة المنصورية ، والفتوة الزاهرة الهاشمية ،
والسدة العلية العلوية ، ناصر (٢) الخلافة اليمنية ، واسطة نظام السادة الحسنية ،
الجناب العالي الكريم ، والمآب العالي الوسيم ، أخينا الأكرم ، وعلى الهمة ،
الإمام بن الامام بن الإمام (٣) ، المنصور ، وفقه الله لاصلاح الجمهور ،
ولازالت العناية الربانية له ملاحظة ، والسكلاء الصمدانية له حافظة ، آمين
بجاء جده سيد المرسلين .

وبعد إهداء شريف السلام ، وإسداء واجب التحية والاكرام ، فالسؤال
عن حالكم كثير ، لموجب مالمكم عندنا من جميل الود الوفير ، فإن سألتكم
عنا فنحمد سببنا على جزيل فضله ، وعظيم امتنانه ، طيبين بخير وعافية ،

(١) جاءت هذه العبارة في النسخة (ن.م. : ص ١٨٧) كالآتي :

والوثة الصماء من الطائفة الشقية .

(٢) وردت في النسخة (ن.م. : ١٨٧ أ) : ساحة .

(٣) اتعمد الشريف ذكر هذه الألقاب ، وتكرار لفظ الإمام للمزيد من التفخيم ،
وأن الامام المنصور على سبيل أسرة ظهر فيها أكثر من امام ، ويتأكد هذا إذا رجعنا
إلى ترجمة حياة الامام المنصور على ، إذ يرجع نسبه إلى الامام القاسم بن محمد مؤسس الأسرة
القاسمية في اليمن .

ونعمة من المولى الكريم وافية . والذي نبديه إلى مسامعكم العلية ، وأفهامكم الذكية ، من الأحوال الحادثة في الوجود ، وجريان أحكام الملك المعبود لموجب اجتراح أهل الاسلام ، إلى الترفعات عن بهج المهام ، وترك حزم الأمور ، وغفلتهم عن حفظ الثغور ، حتى صار ماصار ، من شر ذمة أهل البغى والانكار ، من التهجم على بلاد اسكندرية مصر القاهرة ، بجنود من البحر على سفائن متواترة ، وهم طائفة من جمهور الفرانسة ، والملة الباغية ، التي بفضل الله أعلامهم ناكسة ، لمشاهدتهم في أحوال المسلمين ، ترك ثغورهم عن التحصين ، فنجسوا على تلك البلاد ، فلم يجدوا لجامحهم مدافع ولا حصن راد (١) ، فأفسدوا كافة من بجوارها من العربان بأنواع السياسة الموهمة بأنهم من طارفة السلطان ، وأبرزوا للبوادى كتباً مزورة ، بألفاظ عربية بتعظيم الله ورسوله مسطرة (٢) ، حتى انقادوا لهم بالطاعة ، ظناً بأنهم من جنود

(١) إشارة إلى ضعف وفساد حكم الماليك في مصر ، وعدم اهتمامهم بتحصين الثغور وخاصة ميناء الاسكندرية .

(٢) إشارة إلى منشور بونابرت الأول إلى المصريين الذى وزعه فور نزوله إلى الاسكندرية واحتلالها ، وكان بونابرت قد أعد هذا المنشور بعمارة قائمة لتقريب المصريين إليه وكسب محبتهم ، فأبدى به احترامه وحبه للإسلام والمسلمين ، وأنه ما جاء إلا للقضاء على المالبك الظلمة ، وأنه « محباً خالصاً للسلطان العثمانى » . وقد شجن بونابرت هذا المنشور بالطابع الدينى ، فبدأه بالبسملة . « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه » . ثم هاجم الماليك وظلمهم ، وأن الله حكم على دولتهم بالزوال انتقاماً منهم ، وفى نفس الوقت دافع عن نفسه ، فقال : « قد قيل لكم أنى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد لإزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفكرين لأنى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حكمكم من يد الظالمين ، وإننى أكثر من الماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم » . كذلك استعمل بونابرت فى هذا المنشور أسلوب الوعد والوعيد ، فيلوح أحياناً بإناحة الفرصة أمام المصريين للمشاركة فى حكم بلادهم ، وأحياناً أخرى يهدد كل من يتعاون مع الماليك باستعمال العنف البالغ ضدهم . وقد أنهى منشوره بعبارة لمنشائية يؤكد فيها ما ذكره من قبل ، وهو أنه حليف =

الدولة المضاعفة ، وليس يخفى عليكم حال البوادي الطغام ، الذين لا يعقلون إن هم إلا كالأنعام ، فسلبوا بهم الطريق ، وصاروا للمشركين أعظم مساعد وأعز رفيق ، فخرى (١٩٥) قدر ربنا سبحانه ، باستدراج جنود الشيطان أرباب الخيانة ، بتمليكهم للقاهرة ، ودخولهم إلى مصر بحكمته الباهرة ، فلا راد لقضاه ، ولا يحصى عما ارتضاه ، فهو الملك المختار وله المشيئة فيما يختار ، فحينئذ بلغ الخبر حضرة سلطان الاسلام ، أدهض الله بصوارم سطوته جنود اللثام ، فجزر عليهم من أبطال الأجناد ، ما يعجز عن حصرها جميع الأعداد ، وسير عليهم من جنود الاسلام وزرائه العظام ، وجعل مقدمهم الوزير الشهير الجزار أحمد باشا ، بلغه الله من الخير ما شاء ، فاجتمعت عليه طوائف العربان ، وتحشدت تحت رايته كافة أهل الايمان (١) ، وهرع إلى جهادهم المسلمون من كل مكان ، حتى أقطارنا الحرمية ظهرت منها للجهاد سبعة آلاف ، يردون في طاعة الله موارد الموت والاتلاف (٢) ، ونرجو الله العظيم ، من فضله العميم ، أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين ، ويبدد بالقهر شمل الكفرة الملحدين . والحمد لله قد وردت إلينا الأخبار ، بتضايق حال المشركين من الحصار ، لتزاحف جنود أهل الاسلام ، ولإحاطتهم بجميع المنافذ المصرية

== السلطان عدو لأعدائه فقال : « والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك فثابن بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثماني ، أدام الله اجلال العسكر الفرنسي ، لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية » . (الجبرتي : عجائب الآثار : ٣ ، ص ٤ - ٥) .

(١) من المعروف أن أحمد باشا الجزار و ابراهيم بك - الذي اشترك مع مراد بك في حكم مصر قبيل مجيء الحملة الفرنسية الى مصر والذي هرب الى الشام عند هزيمة المماليك أمام الفرنسيين - قد قادا التجمعات العثمانية التي زحفت الى الحدود المصرية ، وكانت سبباً رئيسياً من أسباب حملة بونايرت الى الشام .

(٢) اشارة الى المجاهدين المحاربين السابق ذكرهم في النص رقم : ٤ .

والشام ، فانتظم أمر التجهيز ، وانتدب لنصر الدين كل ذليل وعزيز ،
﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

وفي هذا الأوان ، ورد إلينا هذا الفرمان ، الصادر إليكم منه صورتان ،
المعلن بدواعي الفلاح ، والمحرض لكافة المسلمين على ما يرجى منه النجاح ،
من استعداد القوة للمصادمة والكفاح ، كما هو متحتم على أهل الاسلام ،
خصوصاً في مثل هذه الأيام ، ومن أعظم الشيم والمروءة امتثال قوله تعالى :
﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٢) فبذل غاية المجهود ، في محافظة الثغور
وتحصين الحدود ، والمرا بطة في بلدان السواحل ، والذب عن الأديان بسهم
المرامى وبيض الصواقل أمر محتوم على كافة الاسلام وسائر القبائل ، فواصلكم
صورة الأمر الشريف والخطاب المنيف (٣) ، وما المقصد من إرساله إلا
تنبيهكم لحفظ البلاد ، والتحذير من أرباب الكفر والعناد ، كما هو مصرح في
الفرمان السلطاني من ذكر مكائد الكفرة في جميع المعاني . ولا يغرب عن
فهمكم الثاقب ، أن ملوك الروم أمس بما تبني الكفرة أمورهم من المعاطب ،
فحثوا على المرا بطة جميع المسلمين ، وقوا ثغور بلدانكم بالتحصين الرصين
من البنيان ، وشيدوا بروح المناق (٤) بذوى البأس من الفتيان ، فإن بحر
الهند تجرى فيه سفائنهم ، وقد ظهرت فيه بأخذ الموسم (٥) ضرائرهم (٦) ،

(١) الآية ٤٠ مدنية من سورة الحج رقم ٢٢ .

(٢) الآية ٦٠ مدنية من سورة الأنفال رقم ٩ .

(٣) وهو النص التالي .

(٤) المناق بمعنى النواحي والمناطق المجاورة ، اذ « وبني داره ثاق دار غيره أى
بجباله » . (فيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج ٣ مادة ثاق) .

(٥) المقصود هنا هو موسم التجارة ، فالسفن حينذاك كانت تعتمد على مواسم الرياح
لأنها كانت جميعها سفناً شراعية ، و « أخذ الموسم » يعنى افساده نتيجة التعرض
للسفن التجارية في عرض البحار واستعمال لفظ « الموسم » بهذا المعنى كان منتشرأ في
المخطوطات العربية القديمة .

(٦) وفردھا ضررهم ، وجمعها المؤلف هكذا لالتزام السجع .

فيجب من عزيز جنابكم كمال التحري لدفع مفاسدهم ، والاستعانة بالله تعالى
في إدحاض مكائدهم ، ومن أكبر اللوازم نشر هذه الفرمانين^(١) في كافة أنظار
أوامركم ، وأقصى ما يعادد بلدانكم ومحاكمكم .

هذا ما عن لنا به الأخبار ، لا زالت في (١٩٦) كلامة الملك السنتار ،
وإن شاء الله عن قريب نفيدكم بمسرة نصر الإسلام .

والمرجو من جنابكم ، عدم إخراجنا من الضمير المنير بأسرار صحة
أخباركم ومسوق آثاركم ، ولا سيما تفيدوا بما جد وحدث ، وبلغكم من الإسلام
والأخبار ، ودمتم سالمين ، وبعين عناية الله ملحوظين ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) هكذا وردت في النسختين مع الخطأ في اسم الإشارة ومفردها فرمان ، والمقصود
هنا هو خطاب السلطان العثماني إلى الشريف (النص : ٧) ، وترجمة تقرير حكومة فرنسا
إلى بونابرت (النص : ٨) .

[٧]

[الفرمان السلطاني إلى الشريف غالب
والمرسل صورته إلى الإمام]

فهذا كتاب غالب ، وهذه صورة ما نقله الشريف من الفرمان السلطاني :
بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُمْتِنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ،
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) وبعد فهذا مرسومنا المبجل الشريف ،
وخطابنا المعظم المنيف ، لا زال نافذاً بعون الله تعالى في سائر الأرجاء
والأقطار ، ما دام الفلك الدوار ، صدرناه على نظم فرائد التحية والتسليم ،
منطويّاً على قلائد التمجيل والتكريم ، محتويّاً مبنيّاً عن أحكام قواعد صيانة
الدين ، ومؤيداً لمعاقد حماية سمن سيد المسلمين ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين ، صدرناه إلى عالي جنساب الأمير الأجد ، المبجل الأجل
الأوحد ، المقتفى آثار أسلافه الأشراف ، من آبائه الغر صناديد
آل عبد مناف ، وأجداده السعيدى السير الجميل الأوصاف ، فرع الشجرة
الزكية النبوية ، طراز العصاة العلوية المصطفوية ، زبدة آل الرسول ، غرة
بنى الزهراء البتول ، المحفوف بصنوف عواطف الملك المساجد ، حالاً (٢)
شريف مكة المشرفة الشريف غالب بن مساعد ، لا زالت العناية الربانية له
ملاحظة ، والسكامة الصمدانية عليه حافظة ، وإلى قدوة العلماء ، وعمدة
الفضلاء نائب مكة المكرمة ، وكافة السادات الأشراف ، الأجلة الميامين ،

(١) الآيات ١ - ٣ مدنية من سورة الفتح رقم ٤٨ .

(٢) وردت هكذا في النسختين ، والمقصود بها حالياً ، أى القائم بالحكم .

ومفاتي^(١) المذاهب الأربعة والعلماء والأئمة المحترمين ، ووجوه كافة المسلمين ، من ساكن بلد الله الأمين ، من حاضر وباد ، وفقهم الله إلى سبيل الرشاد .

يخوون علما أن طائفة كفار الفرنسة ، جعل الله ديارهم دراسة ، وأعلامهم ناكسة ، قد نقضوا العهد^(٢) ، وخانوا موافيق المعبود ، وخرجوا من أطوار الحدود وهجموا على بلدان مصر وسكانها ، على حين غفلة من أهلها ، فلكوا البلاد ، وأفشوا الكفر والفساد ، وخاضوا بحار الضلال والطغيان ، وتحشروا تحت راية الشيطان وتمسكن البغى في أحشائهم ، وأن الشياطين ليوجون إلى أوليائهم ، لا حاكم يودعهم ، ولا دين واعتقاد يجمعهم ، يعدون النهبة غنيمة ، والنبيمة أكبر شيمة (١٩٧) فقد اتفقت آراؤهم ، وارتبطت أشوارهم^(٣) على الهجوم على سائر بلدان المسلمين ، وأقطار عباد الله الموحدين ، بأن أهل الإسلام قويين^(٤) ، ولهم مزيد الصلابة في الدين ، فإذا وصلنا^(٥) أقطارهم ، وحللنا بديارهم ، فالضعيف منهم نباشره بالحرب والضرب ، والقتل والنهب ، والقوى منهم تنصب له شرائك المسكر والحيل حتى تطمئن خواطيرهم وتأمين ضمائهم ، إلى أن يقعوا في أشرا كنا ونعمل فيهم ماشئنا من مقاصدنا ونلقى بين سائر المسلمين المكائد الخفية بالفساد ، لإيقاع العداوة المبينة للاتحاد ، في أحوالهم وأديانهم ، ولم يعملوا لعنهم الله أن الإسلام مغروس في قلوبنا ، والإيمان بمنزلة بلحمتنا ودمنا ، أكفر بعد

(١) مفردا : مفتى ، وتجمع مفتون .

(٢) إشارة إلى العلاقة الودية التقليدية بين السلطنة العثمانية وبين فرنسا ، إذ كانت فرنسا أول الدول الأوروبية التي تعقد معها السلطنة العثمانية معاهدة صداقة ، وذلك عندما عقد السلطان سليمان القانوني معاهدة مع فرانسوا الأول في عام ١٥٣٥ م .

(٣) وردت هكذا في النسختين ، بمعنى : ما تشاوروا عليه .

(٤) أي أقوياء ، وذكرت هكذا لالتزام السجم .

(٥) ذكرت في النسختين : أوصلنا ، فصججناها .

إيمان؟ أضلال بعد هدى؟ كلا ورب الأرض والسماء ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
بعد إذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (١). خصوصاً في طوائف العرب لنبلغ فيهم أقصى مرام
وأعز مطلب ، ونبذل الجهد في تخريج الرعاية من الإسلام ، عن طاعة من
ولى عليهم من الأحكام ، حتى تكون لنا الصولة العظمى ، ويصيرون الجميع
لنا مقنا ، فينقطع بذلك سلك نظامهم ، وينفهم عقد انتظامهم ، فنملك
حينئذ رقابهم وأموالهم ، فإن العرب أُمِرِع ما يستولى (٢) على ديارهم ، لتفرقهم
في أوديتهم من أنظارهم ، وغفلتهم عن حزم أحوالهم ، فإن أعظم ما يشتت (٣)
جموع الإسلام ويفل حد سنانهم عن الانتظام ، هدم قبلتهم ، وحرق
مساجدهم ، وإذا ظفرنا بأقطارهم ، وهدمت كهبتهم ، ومسجد نبيهم ، وبيت
مقدس لهم ، انقطع أملهم ، وتفرق شملهم ، وملكننا ديارهم ، فإن الأمور
لا يدركها إلا اتفاق الجمهور ، فنقتل جميع رجالهم ، ومن يعقل من صديانهم ،
فحينئذ تقسم ديارهم وأموالهم وأملأكمهم ويحول بقية الناس إلى أصولنا
وقواعدنا ولساننا وديننا ، فيمتحنى الإسلام وقواعده وشرائعه ، وتدرس
رسومه وآثاره من وجه الأرض من شرقها وغربها ، وجنوبها وشمالها
وعربها وعجمها . فهذا ما اتفق رأى الفرنسيين اللعين ، من سوء المقاصد
في المسلمين جعل الله دائرة السوء عليهم ، فلا يستطيعون صرفاً ولا نهراً ،
ونرجو الله أن يعاملهم بعدله في قوله: ﴿ وَلَا يَحْسِقُ الْإِثْمُ الْإِسَاءُ إِلَّا بَآهِلِهِ ﴾ (٤) ،
فهذا حال الفرانسة في اتحادهم وحبيلهم وهنادهم ، وما اقتضاه فاسد اجتهادهم :

(١) آية ٨ مدية من سورة آل عمران رقم ٨ .

(٢) وردت في النسخة (ن . م . : ص ١٨٩) : ما استولى .

(٣) وردت في النسخة الأم بدون تنقيط ، وفي النسخة (ن . م . : ص ١٨٩) :
نشتت ، واسكن هكذا الأصح .

(٤) الآية ٤٣ مكية من سورة طاهر رقم ٣٥ .

يريدون ليظفروا نور الله بأفواههم والله مُنِّم نور من لو كره الكافرون) (١)، فكيف لا يكون فرضاً على كل أحد من مسلم وموحد، أن يشمر (١٩٨) عن ساعد الجد (٢)، وي بذل نفسه وماله في مرضاة الواحد الفرد، ويمثل قول أصدق القائلين: ﴿وسارعوا إلى مفارقة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ (٣)، ويكون راجحاً في بيعه عن الحشران مستبشراً بإبذال نفسه في سبيل الرحمن، لقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (٤)، إلى غير ذلك من الآيات البينات، والأحاديث الصحيحة المروية عن الثقات، مما يحث على نهضة الدين، ويلم شعث الموحدين، فالآن أنتم يا شريف مكة، وسادات الأشراف، وقايات العرب (٥) وحاماة الدين، وكلمات المسلمين، وغزاة الموحدين، وأبطال الحروب الماحين بصوارم عزهم عن الدين ظلام الكروب، يارجال الغارات، ويا أركان الشريعة والعبادات، ويا حافظة الدين والأمانات، يا باذلين النفوس عند انتهاك الحرمات، ويا كافة لإخواننا في الدين، والذين هم لشريعة نبيهم ناصرين، البدار البدار، إلى طاعة الملك الغفار، لمحافظة قبيلتكم، ومحمد نبيكم، مفشاً الإسلام، ومسجد نبيكم عليه السلام وموطن مضاعفة عباداتكم من ساحة بيت الله الحرام، فالغيرة الغيرة، والحمية الحمية، من صولة أعداء الدين، الذين هم عن كل ملة مارقين، ويكتب الله ورسوله مكذبين، فشدوا عزائمكم للقائم، واحفظوا جهاتكم وسواحلكم ومنافذ بلدانكم، وسارعوا

(١) الآية ٨ مدنية من سورة الصف رقم ٦١ .

(٢) جاءت في النسخة (ن. م. : من ١٨٩ أ) : ساقى الجد .

(٣) الآية ١٣٣ مدنية من سورة آل عمران رقم ٣ .

(٤) الآية ١١١ مدنية من سورة التوبة رقم ٩ .

(٥) من : وفي وفي ، بمعنى يدافع .

إلى الرباط إلى حدود الكفرة اللثام ، ببندر جده وينبع وما والاها مما فيه
صيانة المسلمين ، وحفظ أعراض الموحدين ، وكونوا عباد الله إخواناً ،
ولا تنازعوا فتفشلوا ، وفي سبيل الله انفقوا وتحملوا ، وكونوا كلمتكم
واحدة ، وأيديكم متناصرة متعايدة (١) ، ولتكن سيوفكم بالغة ، وسهامكم
راشقة ، وألسنتكم في الطعن متلاحقة ومدافعكم صاعقة ، وبالسك إلى أفئدتهم
متسابقة ، ولتقصدون بذلك لإعلاء كلمة الله ، والذب عن بيت الله ، ومسجد
رسول الله ((صلى الله عليه وآله وسلم)) (٢) ، ونرجو الله أنكم مؤيدون
بنصر الله ، محفوظون بروحانية رسول الله ، ولا يكون لكم تخلف عن ذلك ،
ولا تراخي في حفظ تلك المسالك ، ونحن في طرف السلطنة السنية ، نشرنا
آياتنا العلية وبحول الله وقوته وباهر عظمته ، تملككم عساكرنا المنصورة ،
وتقطعهم سيوفنا (١٩٩) المشهورة ، وقد سيرنا عليهم شجمان لا يبالون بالموت
لإعلاء كلمة الله ، وغزاة يجمعون على النار محبة في دين الله ، فنتعقب بقدرة
الله أدبارهم ، لعل الله تعالى يرزقنا بهلاكهم ودمارهم ، فنجعلهم إن شاء الله
هباء منشوراً ، كأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً . فبادروا أيها المسلمون إلى
الرباط (٣) بجده وينبع ، ومن تخلف فقد عصى الله وخالف أمرنا فإن أمرنا
إليكم ، وحتمنا عليكم : ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
وانقوا الله لعلكم تفلحون)) (٤) ، واستجلبوا صالح الدعوات من عجايزكم (٥) ،
وصالحكم وأفاضلكم عند البيت الحرام ، وقد قال تعالى : ((أنصرفوا خفافاً

(١) جاءت في النسخة (ن. م. : ص ١٨٩ ب) : متعاضدة .

(٢) زيادة من النسخة (ن. م. : ص ١٧٩ ب) .

(٣) أي المراقبة .

(٤) الآية ٢٠٠ مدنية من سورة آل عمران رقم ٣ .

(٥) بمعنى : عجائزكم أي كبار السني .

وَقَالُوا جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (١) وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : (الْمُؤْمِنُونَ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ) (٢) ، وَهَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقُونَ صَدَقَتِهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُسْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ قَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكُنْ سَخِيرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُ الْفَاسِقُونَ ، لَا يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى ، وَلَئِنْ يَفَاءَ تَلَوْكُمْ

(١) آية ٤١ مدنية من سورة التوبة رقم ٩ .

(٢) حديث شريف ، ونصه الصحيح كالاتي : عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

(الامام مسلم - الجامع الصحيح ، ٨ ، م ٤ ، ص ٢٠) .

يُولُوكُم الْآذَانُ ثُمَّ لَا يُنصرون ، ضُربت عليهم الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَشَقَّقُوا إِلَّا بِحُجُبٍ
 مِنْ اللَّهِ وَحُجُبٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ . ذَلِكَ بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١) . فَاإِنْقَادِ الْبِدَارُ إِلَى مَا أَمَرْنَاكُمْ مِنَ الرِّبَاطِ ،
 وَالْحَذَرُ ثُمَّ الْحَذَرُ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ ، هَذَا مَا انْتَهَى أَمْرُنَا إِلَيْكُمْ ، وَلَا زِلْتُمْ
 مُوَفَّقِينَ بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمُعِينِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَيَامِينِ ،
 آمِينَ ، آمِينَ .

[٨]

[ترجمة خطاب حكومة الإدارة بفرنسا إلى بونابرت عند قيامه بالرحلة على مصر والمرسلة من السلطان إلى الشريف ومنه إلى الامام]

انتهى لفظ كتاب (٢٠٠) السلطان لم ينحرف منه حرف واحد . وظيه كتاب الفرنسيين في مخادعته للإسلام ، ولفظه :

هذا صورة ما وقع من الاتفاق بين طائفة الفرافسة الفراعنة الأبالسة والأمر الذي دبروه ، والمجلس الذي قرروه وحرروه ، وإجماعهم في ذلك على أخذ إقليم مصر وغيرها ، بأنواع الحيل ومكرها ، وأبواب الحرب والقتال ، والظلم والجدال وتعيينهم لذلك بونابارته مر عسكر (١) إلى الجهة المذكورة ، وخطابهم له في الأمور المزبورة ، نقلت هذه الصورة عنهم بيد بعض عيون المسلمين بالتركية ، فحربت بالعبارة العربية ، الواصلة إلينا من نفس الدولة العالية لفظها ، قالوا :

إن إقليم مصر من الأقاليم العظيمة ، التي خيراتها جسيمة ، إيراد أموالها كثيرة ، ومنافعها غزيرة ، وفوائدها لا تحصى ، وعوائدها لا تستقصى ، وأمر ذلك مفهوم ، عند ذوى (٢) الفهم . وقد استولوا عليها وعلى خيراتها الضخم ، الساجق والماليك الظلمة ، وظلمهم زاد في النهاية ، ووصل (٣) إلى الغاية ، مما لا يخفى على سائر الناس ، المحفوظين الحواس ، والاطانة الفرنسيةاوية ، لهم همم عليّة ، كل شيء أرادوه وتوجهوا إليه ، أخذوه

(١) اختصار سردار العسكر بمعنى قائد الجند .

(٢) وردت في النسخة (ن. م. : س ١٩٠ ب) : ذى .

(٣) جاءت في النسخة (ن. م. : س ١٩٠ ب) : وتوصل .

واستولوا عليه ، فالمطلوب والواجب نزع هذا الإقليم العظيم من أبدى تلك الظلمة الذين ظلمهم عظيم^(١) ، وتحوزه الطائفة الفرنسية ، وتغتنص به دون البرية ، وقد آن لنا وقت أخذه والاستيلاء عليه ، ونظفر بمدى بما حو اليه . ومن المعلوم لدينا أن دولة الانكليز علينا عدو كبير ، فنتحتاج الفرنسية أن تفعل مع أعدائهم من الانكليز وغيرهم أموراً تنسك عليهم الأحوال ، وتغيب فيهم الآمال ، فهذا لازم لا بد منه ، ولا يحيد عنه ، مقدم على سائر الأمور ، عند جميع الجمهور ، فإذا ملكتم أيها الفرنسية إقليم مصر المذكورة يهون عليكم ضبط الهند والبحر المحيط بالمحور^(٢) ، من جهة السويس المعلوم ، فتقطع تجار الانكليز كما هو مفهوم ، ويسهل عليكم أيضاً أخذ الأماكن الهندية ، التي في تصرف أعدائكم الانكليز ، وتبلغوا الأمنية وتخلطوا البحر السويسى ببحر النيل^(٣) ، كما كان عزم مصر على ذلك من تقدم قبلكم من الجيل ، فقد كان أعيانكم السابقون ، قصدهم خلط هذين البحرين لما في ذلك من عظيم الشئون ، فلم يقيس لهم ذلك ، وما سلكت بهم مسالك ، فإذا أنتم فعلتم ذلك ، تكونوا ظفـرتم بما لم تظفر به الأوائل ، وحصلتم على مطلوب عزهم الكامل ، فإذا حصل المقصود الشامل ، سهل عليكم أخذ بلاد العرب التي في حكم بني عثمان ، وكذا البلاد التي في سواحل البحر المحيط إلى الهند ، ويمتد أمركم إلى باقى البسيط ، فإذا فعلتم هذه الأحوال انفردت بالقوة والظهور في سائر الأنحاء ، وكامل القارات^(٤) ، ولم يكن

(١) إشارة الى حكم المالك بمصر .

(٢) هكذا وردت في النسختين ، وذلك للدلالة على الاتساع .

(٣) إشارة الى مشروعات الفرنسيين المتعددة منذ أيام لويس الرابع عشر بحفر قناة من النيل (عند القاهرة) إلى السويس ، لربط البحرين الأبيض والأحمر .

(٤) المقصود هو الأقران والقرناء ، وفردى قرين ، وذكرت هكذا لالتزام السجع .

لكم نظير في سائر (٢٠١) الجهات ، ولا يوجد لكم مثيل في سائر الدول ، وأرباب الحسم والحول ، بل ربما تفوقوا اسكندر ذو القرنين ، وسائر أهل القوة في المشرقين والمغربين ، ويصير لكم شأن واشتہار بين العالمين ، في سائر الأمصار والأعصار (١) ، يابونه بارتہ أنت صاحب قوة واقنذار ، ورفعة ومقدار ، في هذه الأمور المذكورة ، والأفعال المستورة ، لأنك شاویش (٢) عاقل ، ومدير كامل ، ولم يكن من مضاهيك في القوة والعقل والتدبير ، والرحيل والمسیر (٣) . فلمذا حيث كنت كذلك ، وانفردت من بين أولئك ، فوضنا هذا الأمر إليك ، وقلدناه في عنقك ، وعولنا فيه عليك ، وخرج من عهدتنا إلى عهدة عزمك ، والرأى لديك ، وهذا الحال الذى ذكرناه إليك ، من أخذ إقليم مصر وبقية الأقاليم ، على ما قررناه لك يا فهم ، تحمله في مدة قليلة ، على حالة جميلة ، ولا شك عندنا فيه ، ولا وهم يعتريه ، ويؤيد ذلك أن الظلمة المسئولين على الأقاليم ، حالهم وخيم ، لأن عقولهم خفيفة ، وقلوبهم ضعيفة ، وليس عندهم رأى ولا تدبير ، والطمع أعماهم وأورثهم التدمير ، فاتصفوا بكامل الحساسة والغرور ، وتزايدوا في الفسق والفجور ، ولم يوجد فيهم صغير ولا كبير ، عنده فهم أو تدبير ، ولا نظر في العواقب للأمر ، ولا خشية من الجمهور ، فالغفلة والبلادة استولت عليهم أجمعين ، وكذلك من يكون لهم من التابعين ، فهم على هذه الحالة الشنيعة ، والأفعال الفظيعة ، ليس لهم همة إلا جمع الأموال بسائر طرق الوبال من التغلب والظلم وأضرار العباد ، وتخريب

(١) أى العصور ومفردها : عصر .

(٢) وردت في النسختين : لأن شاویش ، بل واهتم الناسخ بضبطها في النسخة (ن م . : من ١٩١ أ) هكذا : شاویش . ويبدو أنها وردت هكذا لغرابتها إذ أن هذه الألقاب العسكرية ذات أصل تركى ، وقد اضطررنا للتصحيح لتوضيح المعنى .

(٣) إشارة إلى شهرة بونايرت النامية حينذاك وخاصة بعد حملته على إيطاليا .

البلاد ، كلما رأوا جهة نفع مالوا إليها ، واستأصلوها واحتالوا عليها ،
فنفرت منهم قلوب الرعية ، وبغضتهم سائر البرية ، فأنتم يا فرنساوية ،
إذا أخذتم إقليم مصر بالسوية ، ((تحتاجون)) أن ^(١) تفعلوا مع الناس
مكرأ وحيلة بالإيناس ، من حيث يرغبون إليكم ، ويكونون لكم
لا عليكم ، ويصيرون معكم شيئاً واحداً ، ويداً وساعداً ، بأن توعدهم
بمواعيد الخير المعروف ، وتخادعهم بأنواع الخداع المألوف ، وتكرروا
عليهم أمثال ذلك ، حتى تتمكنوا هنالك ، وتملكوا أولئك ، فبعد ذلك
تفعلون ما بدا لكم فعله ، ويتفرق جمع كل منهم وشمله ، وهذا الأمر
محقق عندنا ، ومعلوم لنا ، فإنكم إذا سلكتم هذه الطريقة المذكورة ،
ملكتم بها القلوب المغرورة ، وانتصرتهم على الممالك الظالمين ، وبقية من
يعاندكم من المقدمين ، فأنتم إذا توجهتم إلى تلك البلاد ، وحللتهم بذلك الواد ،
غثيرون بين أمرين ، لا بد من أحدهما بغير مـئـين ، إما خداع ومكر
وحيل ، وإما حرب قوى يزلزل الجبل ، فالذي يقتضيه الحال فاسلكوه
وما لا احتياج لكم إليه فاتركوه .

وقد بينا لكم ما يلزمكم في سفركم ، وما تحتاجون إليه من نفركم ،
فأول الأمور المراكب التي عندنا في بلاد طولون ^(٢) عدتها كثيرة . وفيها
عساكر وافرة غزيرة ، وأهل استعداد متين ، وتدير مـبـين ، وفيهم من
يعرف التركية والعربية ، وغيرهما من اللغات النصرانية ، وفيهم أرباب
(٢٠٢) الصنائع المحتاج إليها في الحروب لفتح البلاد ، وقمع أهل العناد ،

(١) وردت في النسختين : تحتاج تفعلوا ، فقمنا بتصحيحها .

(٢) ميناء على الشاطئ الفرنسي الجنوبي المطال على البحر الأبيض المتوسط ، وهو
الميناء الذي خرجت منه القوة الرئيسية للحملة الفرنسية وعلى رأسها بوناپرت .

فهؤلاء تصحبوهم معكم جميعاً^(١) ، وتتوجهون بقوة مريعا ، إلى ثغر
اسكندرية ، وترسلون أخباراً إلى أمراء مصر البهية ، وتعرفونهم بطريق
المسكر والخديعة ، لأننا مقصدنا يا أمراء مصر وأعيانها ، أن نعمل معكم
كل خير ، ونبعد عنكم كل ضير ، ونجعلكم مستقلين ومنفردين بأحكامكم
في سائر إقليمكم ، ولا نجعل لأحد عليكم سبيلاً ، وتكونوا أقوى قبلاً ،
ونفخر بكم^(٢) من تحت يد من يحكمكم من الآن ، من كل خاص وعام ،
بحيث لا تكون عليكم يد من أحد وتكون وإياكم حالة واحدة إلى الأبد ،
وإذا أخذنا بلاداً أخرى من غير بلادكم ، جعلناها لكم ، فأنتم أولى بها
وأخرى ، ونفوض أمر البلاد إليكم ، ونعتمد في أمورنا عليكم ، فإذا
كنتم أيها الأمراء على هذا المنوال ، حصل لنا ولكم المقصود الأعظم
وامتنع الاختلال ، ومعلوم عندنا أن فيكم قوة لذلك ، واستعداداً لما
هنالك ، بل همتكم أعلى ، ورأيكم أجلى ، لأنكم موصوفون بالقوة
والشجاعة ، معروفون بالمهابة والبراعة فبناء على ذلك أردنا أن نكون معكم
أيها الأمراء على هذا المجال^(٣) ، ومعينين لكم في سائر الأحوال .

ثم إنكم أيها الفرساناوية ، أهل العصاة القوية ، تدخلون على أهل مصر
من أمراء وغيرهم بهذه المداخل ، وتوزعون عليهم أنواع الحيل والمشاكل
فهما ظهر لكم بما يناسب حالكم ، فافعلوا ما بدا لكم ، فلا تهملوه ،

(١) من المعروف أن الحملة كانت تضم عدداً كبيراً من العلماء والخبراء والفنيين
والمهندسين في جميع نواحي الحياة ، وهم الذين وضعوا كتاب « وصف مصر » فدولاً به
أوضاع مصر حينذاك السياسية والاقتصادية والجغرافية والزراعية وغير ذلك ، وهم الذين
اكتشفوا حجر رشيد .

(٢) وردت في النسخة (ن. م. : ص ١٩١ ب) نهرسكم ، ولكنها لا تتفق
مع المعنى .

(٣) وردت في النسخة (ن. م. : ص ١٩١ ب) : الحال .

فأنكم بهذه الطرق لا بد أنكم حبل قوتهم تحلوه ، وتأخذوا مصر وتمسكوها ، وتحوزوها وتسلطوها ، فإذا حصل لكم ذلك ، ووصلت عساكرنا هنالك ، وتمسكتكم من البلاد ، فلا تغفلوا عن أحوال البلاد ، ولا تشكروا عن الممالك ، أهل الظلم الصعاليك ، ولا تطولوا مدة شاسعة ، بل بعد شهرين أو أربعة ، تعملوا عظيم المهمة ، بقوة وعزيمة ، وتقطعوا رؤوس السناجق والأمراء ومن معهم من جنسهم ، أو من يتبعهم ، وتجهدوا الاجتهاد الزائد في حصول ذلك ، ولا تهملوا هذه المسالك . وبما يؤيد هذا الرأي السيد ، الذي آخره لنا حميد ، لأنه سابقاً لما أرادت الدولة الروسية أخذ القرم (١) من الدولة العثمانية ، حصل بينهم وبين متوليه شاهينكيراي (٢) مراسلة ، وموافقة ومواصلة ، وغادروه بالأموال ، وأعدوه بالآمال ،

(١) هي شبه جزيرة القرم ، وتقع على ساحل البحر الأسود الشمالى ، وكان يقطنها حينذاك جماعات من التتار ، الذين استقروا بها بعد غزواتهم الأولى ، والذين كانوا وقت ذاك يتمتعون بالحكم الذاتي ويخضعون في نفس الوقت لسيادة العثمانية . وافرسان التتار شهرة في الفتوحات العثمانية في أوروبا ، إذ كان السلاطين يستخدمونهم في مقدمة جيوشهم لاقاء الرعب في قلوب الأعداء نظراً لشجاعتهم وجراتهم وعنفهم في الحروب .

وقد وردت : القرم في النسخة الأم غير منقوطة ، وفي النسخة (ن.م.م. : من ١٩٢ أ) العزم ، وفي موضع آخر : القرم ، وسبب هذا الخلط هو غرابة الاسم على مسامع المؤلف والناسخ .

(٢) هو أحد سلاطين التتار المتأخرين ، وكانت بقايا التتار — من القبيلة الذهبية — تخضع خضوعاً اسمياً للسلطان العثماني منذ أن فرض العثمانيون سيطرتهم على شبه جزيرة القرم في ١٤٧٥ م . وكان هؤلاء التتار يقومون بالغارات المتعددة على الدولة الروسية الناشئة في موسكو ، وعندما اشتد ساعدها أرادت إخضاعهم لها ، وتمكنت فيصرة روسيا الشهيرة كاترين من أن تجبر الامبراطورية العثمانية — في معاهدة كوكبك قينارجة عام ١٧٧٤ — على الاعتراف باستقلال شبه جزيرة القرم ، حتى يسهل التهاجم فيها بعد ، وهذا ما فعلته بعد سنوات قليلة ، إذ أعلنت ضم الأقليم الى ممتلكاتها في عام ١٧٨٣ .

على أن يسلمهم بلاد القرم المذكور ، فاستولى عليه الغرور ، بسبب مواعيدهم (١) الكبيرة ، وأطاعه الغزيرة ، حتى مكثهم من ذلك ، وسلمهم تلك الممالك ، فأخذوا القرم وضبطوه ، واستأصلوا ما فيه وربطوه ، ثم بعد ذلك أخرجوا شاهينسكراى من بلاده ، وأذاقوه (٢٠٣) طعم الكيد وعناده ، حتى آل أمره إلى قتله ، وتمزق حاله من أصله ، لكنما خرج بعد نحو ثلاث سنين ، وفيها كان يفعل مع الروسية كل مهين ، ويتحملونه لأجل مقصودهم ، وحصول مأمولهم ، فلو كان بالقتل والإخراج ، لما حصل لهم تعب ولا انزعاج . فالأولى لطائفة الفرنسية أن لا يطاولوا (٢)

مدة الأمراء المذكورين ، بل يبادروا بهلاكهم أجمعين ، حكم ما أشرنا إليكم ، لئلا يحدث منهم أمر يوجب التعب عليكم ، فإراحة الطريق منهم أمر لازم ، وهو من المصالح التي حالها حازم ، وإن هرب أحد منهم إلى جهة من الجهات ، فلا بد أن تتبعوه حتى تقتلوه على أى حال من الحالات ، ولا تبقوا منهم في مصر ولا في غيرها أحداً ، بل استأصلوه أنهم أعداء ، وإذا رأيتم في مصر وغيرها من تكون له كلبة أو شوكة أو رأى أو أفراد ، بادروا بقتله يحصل لكم المراد ، وسواء كان من الأعاجم أو العرب ، بمن بعد وقرب . وعما يغنيكم بالظفر على الأمراء ، أنكم تتخادعون غيرهم سرراً ، وتقولون لهم نحن قاصدون لكم خيراً ، بأن نرفع عنكم الظلم والمشقات ، من هؤلاء الظلمة أهل الظلمات ، وتكونوا أنتم أرباب الحل والعقد والمناصب كلها بأيديكم ، والأحكام مفوضة إليكم ، ولا يكون لأحد عليكم صولة ، ولا تكلم ولا جولة ، فإذا خادعتموهم على هذا الحال ، بلغت أعظم الآمال ، في الإعانة على هلاك المصريين ، ووقعت الفتن بينهم أجمعين ، واختلفوا

(١) وردت هكذا في النسختين ، ويرجح أنها : وعودهم ، ليستقيم المعنى .

(٢) جاءت في النسخة (ن. م. : ص ١٩٢ أ) : يطاولوا ، ولكن هكذا الأصح .

ببقين ، فيكون ذلك أقوى عدة لنا ، ومن مصالح أمورنا ، ومتى ظفرتهم بذلك ، تبادروا حالها تلك ، بضبط أموال الأمراء والتجار ، قبل أن يخفوا منها شيئاً أو يحصل لهم فرار ، لأن هذا أمر لازم ، ومتحتم من اللوازم .

والأمر الثاني من الأمور التي انفق عليها الجمهور ^(١) ، أنه إذا تعرض عليكم أخذ مصر ، وقهر أهلها من الأمراء وغيرهم ، بالحيل والمكر بهم ، فأنكم ولا بد تحاربوهم بأفراع المحاربات القوية ، بالهمة العالية ، ولا تقطعوا إهمالاً في هذه القضية ، والابتداء يكون من الاسكندرية ، فإذا حضرتم إليها ، وحصلتم عليها ، فإن أمكنكم أخذها بالحيل والخداع ، فيها ونعمة بلا نزاع ، وإلا فخاربوهم وأحرقوهم وأخربوا ديارهم ، وأهتكوا أعراضهم ، ولا تخشوا من أحد فيها ، فإنه ثابت عندنا ، ومحقق لدينا ، بأن قلاعها خراب ، وأسوارها متهدمة بلا أرتياب ، وليس بها أسلحة ولا آلات حرب تردكم ، ولا شجعان مثلكم ، ولا بها من يصدكم ، فلا تهملوا أمرها ، ولا تعتبروا أهاماً ، فإن أردتم السير في النيل ، فقد أعددنا لكم مائة مركب صغير ، صالحة لكم في المسير ، فتدخلوا بها إلى مصر ^(٢) وتحاصروها ، وتقطعوا طائفة الممالك الذين فيها ، هذا أول أشغالكم ، وآخر أعمالكم ، فالذي ترونه مسعفاً لكم في أخذ البلاد ، أما تدبير الحيل (٢٠٤) والخداع ، أو الحرب والقتل والدفاع ، تفعلوا ما بدا لكم ، وما يقضيه رأيكم ، ثم بعد أخذكم البلاد ، تجتهدوا غاية الاجتهاد ، فتقطعوا كافة من فيها من المسلمين ، ولا تبقوا أحد من هؤلاء العالمين ، لأن البلاد لا تصفو لنا معاشر الفرنسية ، إلا بقطعهم

(١) أي حكومة الجمهورية الفرنسية ، وقد ظلت القبائل اليمنية عدة سنوات بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ تطلق تعبير « الجمهور » على الحكومة الجمهورية التي قامت بعد نشوب الثورة ، وذلك في الأناشيد الشعبية (أي الزامل وجمعها زوامل) وفي سائر أحاديثهم .

(٢) أي القاهرة ، وما زال هذا الاستعمال شائعاً بين العامة في مصر .

بالكلية ، وحاصل الكلام ، في هذا المقام ، أنه إذا أمكنكم أيها الفرنسيون أخذ مصر بالمكر والتجليات الخفية كما قلنا ، وفعلتم مثلما أشرنا ، كان ذلك فعلاً حسناً ، وشيئاً مناسباً بيناً ، وإن لم يمكنكم أخذها إلا بأنواع الحروب وأصناف القتال والضروب ، كان أحسن وأجل وأولى وأجمل ، وأنتم في ذلك بلغت النهاية إلى الغاية ، وفي العقل والتدبير ، ليس لكم نظير ، فإذا تم لكم الاستيلاء على مصر وكامل أعمالها ، حصل لكم مع القوة مزيد كمالها واشتهرت بين الأقران ، واستمر ذكركم في سائر الأزمان ، وفيكم (١) الكفاية لما قلناه ، بل أبلغ مما ذكرناه ، فلا يقع منكم إهمال ، ولا يحصل بيبسكم إهمال .

هذا آخر الصورة التي خاطبت بها الفرنسيون ، رئيس عساكرهم إلى مصر المحمية ، أهلكتهم رب البرية ، واسم رئيس العساكر الملعون بوناپارته . وهذه الصورة وصلتنا من حضرة السلطان ، فنقلناها بعينها لكم ، لتحيطون بذلك علماً وتهيدوها عندكم ، فإنها من المناكر الغريبة ، وليست من مثلم غريبة ، والله الناصر عليهم .

(١) وردت في النسخة (ن.م. : ص ١٦٩٣) : وفيه .

[٩]

[اتصال الشريف غالب ببونا بارت في مصر ليأمن جانبه]

(٢٠٤.هـ) ولما بلغ هذا المرسوم إلى الشريف غالب ، خاف على الحرمين الشريفين ، فبعث كتاباً إلى بونا بارت يسأله ويصالحه ، وأهدى له سبع سواعي ((نواخيدها^(١) جواسيس))^(٢) وشحنها من البن والملايس ، واستعطفه على بلاده ، ((واستأمنه في ماله ونفسه وأهله وأولاده))^(٣) ، وسأله فرماناً يسأله فيه أن (٤) يضع خاتمه عليه ليكون به آمناً من جاء إليه ، فاستحسن ذلك ، ورأى الشريف مكة عاقلاً ، فوضع له مرسوماً ((شاملاً))^(٥) يذكر فيه أن له عنده جلالة وقدر ، وأن له في قومه خطراً وذكراً ، وأنه محي الجانب ، مصان من النوائب ، مقبول الكلمة ، لا ينال بلاده أحد من الجبابرة الظلمة ، وليثق بالامر الدافع عن بلاده الأهوال ، ويقر عيناً بأن لا ينال بلاده أحد من الجبابرة الظلمة ، وليثق بالامر الدافع عن بلاده الأهوال ،

(١) أي بحارتها ، ومفردها : الناخوذة أي قبطان السفينة .

(٢) زيادة من النسخة (ن. م. : ص ١١٩٣) .

(٣) زيادة من النسخة (ن. م. : نفس الصفحة) .

(٤) لم ترد عبارة : « يسأله فيه أن » في النسخة (ن. م.) .

(٥) زيادة من النسخة : (ن. م. : ص ١٩٣ أ) .

ويقر عينا بأن لا يقال هياره أحد من الأبطال . ولما ورد عليه هذا الجواب
أنس به ، وأرسل من يستفصل له أخبار الكفار بمصر ، بجأته أخبار
مضطربة ، فكتب ((بعد)) (١) هذا المرسوم الأول الذي عُرب (٢) ،
كتاباً خر إلى المنصور لفظه : (انظر النص التالي)

(١) زيادة من النسخة : (ن . م . : ص ١٩٣) .

(٢) نتيجة وضع بعض الأخبار في النسخة الأم في هوامش الكتاب كما أشرنا في
الدراسة التمهيديّة ، بالإضافة إلى ما كان يكتبه المؤلف في المتن ، فقد تكررت بعض
العبارات كما حدث هنا ، وقد أدرك الناسخ هذا في النسخة (ن . م . : ص ١٩٣ أ) .
فشطبت العبارة المكررة ، وكتبها بعبارة موجزة أدت المعنى والعبارة المكررة هي :
« وكعب الشريف المساجد غالب إلى خليفة الوقت المنصور بالله صحتها هذا » . ثم يذكر
نص الخطاب .

والعبارة المشطوبة هي : « وبث به إلى جميع جهات المسلمين ، وأصحبته إلى خليفة
الوقت كتاباً منه لفظه » .

[١٠]

[الكتاب الثاني من الشريف غالب إلى الإمام المنصور]

والحمد لله تعالى شأنه ، نهدي سلاماً أهبك الكون شذاه ، وأخجل البدر
لحسن طلعه ورثاه ، وتحيات مكية الأرج ، مدنية المدد تحمل النهر والفرج ،
إلى جناب معدن الخلافة العلوية ، ومنيع الحكالات الحسنية ، وطراز عصابة
الحواسم ، وصفوة القادة الفواطم ، من دانت له رقاب الفراخنة في أقطاره ،
وخضعت له رؤوس الأكابر في جميع أمصاره ، ذى الأخلاق المرضية ،
والشجائل الرضية ، المنظور بعين عناية الله المتين ، والمنصور بسلاطانه في كل
حين ، أخينا وعزنا الإمام بن الإمام بن الإمام أمير المؤمنين ، أدام الله
له الأقبال ، وبلغه بجاه جده خير الآمال . وبعد ، فباعث تحريره ، وموجب
تنميته وتسليته ، حمد الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه ، ومننه ونعمائه ،
والسؤال عن جنابكم ، والفحص عن أخباركم ، بإعلان الدعاء (٢٠٥) وتبيان
صدق الوفاء . وثانياً غير خافى جنابكم ، أنه « من » قبل ، صدر منا إليكم
كتاب بأخبار حوادث المشركين بمصر ، وصورة جميع ماورد إلينا من
الخطاب المعلن ينصح مضمونه نهج الصواب ، وله الحمد سبحانه على جزيل
فضله ، وعظيم امتنانه ، الذب (كذا)^(١) إعانه على الحق وأعوانه ، بنصرة
عباده المسلمين وتتمام إحسانه ، والذي نبديه إلى مسامعكم الزكية ، أنه ورد
إلينا يوم تاريخه نجات^(٢) ، من جانب مصر ببشائر النهر وأهنا الخطاب ،
وذلك أن أمير الجمهور الفرنسي اللعين ، جمع كافة أعيان رعاية مصر المسلمين ،
وضبط عليهم جميع البيوت والحارات ، وحط على كل بيت من المسلمين شيء .

(١) هكذا وردت في النسختين وهي بمعنى الدفاع .

(٢) أي رسول .

من المبالغ والبلغات^(١) ، بحيث لا طاقة لأهل الاسلام تسليم ما افترض عليهم من الجور العام ، وقد ((حدد))^(٢) عليهم جميع تلك الأموال في نهارين ، وأوعدهم من لم ينجح وعده بالهلاك والشين^(٣) ، فخرج من عنده المسلمون في حمرة ، واجتمعوا في أماكنهم لأجل التشاور والبصيرة ، فألهم الله قلوبهم الاسلامية ، ووفق حميد آرائهم الايمانية ، بالهجوم من كل جانب على المشركين ، وأبذلوا نفوسهم لمرضات رب العالمين ، فخرجت كافة رعايا الاسلام من منازلهم وهجمت على المشركين في أماكنها ، وصار الجهاد خلال بيوتهم ، والقتال في مجامع المشركين ودورهم ، وابتهجت مصابيح وجوه الاسلام ، وبسطت^(٤) صوارم سيوفهم في أعناق الكفرة اللثام ، وأيد الله جنود الرعايا المسلمين بهظمته الباهرة ، وأهلك بسيوفهم كافة المشركين بالقاهرة ، وكان ذلك يوم حادى عشر جمادى الأولى^(٥) ، وله الحمد في الآخرة والأولى ،

(١) وردت هكذا في النسختين ، وربما المقصود بها هو : البلاغات ، أى الاوامر .

(٢) وردت في النسخة الأم : حدد ، ولكن هكذا الأفضل لانفاها مع المعنى .

(٣) في هذه العبارات اشارة الى الاجراءات المالية التى اتخذها بونايرت لزيادة دخل خزينته ، ولاعتماده على الموارد المحلية لتغطية نفقات حملته بعد هزيمة الأسطول الفرنسى في معركة أبى قير البحرية . ولقد كانت هذه الاجراءات هى السبب المباشر في نشوب ثورة القاهرة الأولى (أكتوبر ١٧٩٨ م) . وقد فصل الجبرى في هذه الاجراءات فقال : « ... وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والمعارف حملوا على الأعلى ثمانية فرائسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة ، وما كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معاقب . وأما الوكائل والمخاتات والجمامات والمعاصر والسيارج والحواليت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الحسة والزواج والانتساج ، وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخاً للأغنياء وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتفنيذ الأعلى من الأدنى وشرعوا في الضبط والاحصاء ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها . ولما أشيع ذلك في الناس كثر لفظهم واسعظموا ذلك » . (الجبرى : عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٥ - ٢٦) .

(٤) وردت في النسخة الأم : وسطت ، ولكن ما جاء في النسخة (ن . م .) :

١٩٣ ب) هو الأفضل .

(٥) هام ١٢١٣ هـ ، وهو يوافق ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

فأرسلت الرعايا المنصورين ، نجاجيب (١) الرعية لأسراء مصر المحترمين ، وكان أقرهم لمسيرة يوم عن البلاد ، حضرة محبنا الأمير مراد (٢) ، ففرع بكافة من حوله من العشائر والأجناد ، ودخل بلاد مصر يوم ثاني عشر شهر جماد ، وظفر بقتل ما بقي من الكفار ، وانتظم شمل المسلمين بصفاء الدار ، فله من يد الحمد والثناء ، على تلك المسرة والهاء ، فبقصد مصر تكتم

(١) بمعنى رسل ومفردها نجاب .

(٢) كان مراد بك قد فر إلى الصعيد عقب هزيمته في معركة إمبابية أمام بونايرت ، واستمر في حروبه ضدهم رغم محاولة بونايرت الصلح معه وتوليته أمر الصعيد تحت السيادة الفرنسية ، وقد ظل مراد بك على اتصال بالقاهريين ليوقد غضبهم على الفرنسيين وكانت رسله ومراسلاته اليهم من أسباب قيام ثورة القاهرة الأولى ، ولكن لم يثبت تاريخياً أنه دخل القاهرة حينذاك كما يشير المؤلف . ومراد بك أحد الأمراء المماليك المعروفين في تاريخ مصر الحديث ، وهو من مماليك محمد بك أبو الذهب مملوك على بك الكبير ، وكان هو وإبراهيم بك أشهر مماليك أبي الذهب وأرفعهم شأنًا واقتسما الحكم بعد وفاة سيدهما . وكان أبو الذهب قد أقام إبراهيم بك نائباً عنه في حكم مصر عندما زحف إلى الشام لمحاربة الشيخ ظاهر العمر هناك ، واصطحب معه مراد بك ، وعند وفاته نجاة بالشام بايع المماليك مراد بك خلقاً لتسيدهم ، وعند عودتهم إلى القاهرة استقر رأي الجميع على تقديم إبراهيم بك وجعله شيخاً للبلاد ، وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة . . « كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بيك في الأحكام والنقض والابرار والإيراد والاصدار ومقاسمة الأموال والدواوين وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والنائب ، وأخذ في بذل الأموال وإفقاؤه على أمرائه وأتباعه » . وقد سبق أن ذكرنا — في الدراسة التمهيدية — أنه قد أساء حكم مصر هو وإبراهيم بك ، وأهملا شئونهما ، وأكثر من ابتزاز الأموال وفرض المغارم والأنوات ، وكان هو من أعظم الأسباب في خراب الأقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومساخنة لهم . . « ظالماً غشوماً متهوراً مختللاً متكبراً إلا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم وينصت لكلامهم ويقبل شفاعتهم . . ويجب معايشة الندماء والفصحاء وأهل الذوق والمتكلمين ويشاركهم ويواسطهم » . وقد ظل بالصعيد مناوئاً للفرنسيين حتى تم الصلح بينه وبين كليبر — خليفة بونايرت في قيادة الحملة — ولكنه توفي أثناء توجهه إلى القاهرة « باستدعاء الفرنسيين » ، وكانت وفاته في ربيع شهر الحجة (عام ١٢١٥ هـ) بمدينة سوهاج بالصعيد ، ودفن بها (الجبقي : عجائب الآثار ، ٣٠ ، ص ١٧٥ — ١٨٠) .

حررنا على الفور هذا الرقيم ، بمحصل المخبرة على نصرة الدين القويم ، هذا ما عن لنا به إخباركم لازلت في حفظ مولاكم ودمتم سالمين ، ومهما جد عرفناكم ، وما حدث تعرفونا به (٢٠٦) وتكون الأخبار بيننا غير منقطعة هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

حرر في شهر جمادى أول سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف سنة .

ولا يخفكم عن حال داواننا المتعودة بالوفود إلى مرامي بنادركم ، لا تزال دائماً متأخرة في شحنتها عن سفن التجار في ناديككم ، فالآمال^(١) وفودها في كل عام أربعة أجواش^(٢) بشحنتها إلى بندر جدة ، ونرجو الله بهمتكم نستدرك الآمال ، وتنتظم مراجعنا في كل حال ، فالمرجو من حميد توجيهاات همتكم العليسة ، بروز أمركم لكافة من كان بالبنادر البحرية من أمرائكم ، بأن تكون داواننا مقدمة في الشحين قبل كل داو وغراب ، وتكون جارية تلك القاعدة بهمتكم ، في جميع مراسيمكم ، كما هو المأمول من جنابكم ، والمسئول من مزايا أخلاقكم ، ونرجو الله تعالى أن رجانا غير مردود ، وفضل الله خير محدود ، هذا ما عن لنا به التماس ، ودمتم سالمين . انتهى .

(١) وردت في النسختين : في الآمال . ولكن هكذا أصح ، والفرض منها هنا هو الرجاء .

(٢) هكذا وردت في النسختين ، وقد صعب الوصول إلى معنى محدد ، فربما يكون مفرداً جوش بمعنى الصدر ، وقيل الجوش هو الصدر من الإنسان ، ومضى جوش من الليل أي صدر منه (ابن منظور : لسان العرب ، ٨ ، ص ١٦٤) . وربما تكون اشتقاقاً من التعبير الشائع في مناطق تيز والحجيرة باليمن وهو يجاوش بمعنى يتساجر ، وأن فلان جاوش هذا العام بمعنى اشتغل بالتجارة هذا العام . وربما تكون الأجواش نوع من السفن التجارية ، أو نوع معين من الحمولة أو العبوة أو قياس من مقاييس الوزن .

[٨٨]

[رد الامام المنصور على كتابي الشريف غالب]

فأجاب الامام المنصور ، على ذلك المسطور :

الحمد لله ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) ،
سلام تنضح أردان الأمصار بنوافح نشره ، وتنعطر أكوان الأعصار
بروائح بشره ، وتتضاحك ثغور الأزهار لشميم شذاه ، وتنبيل قدود الأبقار
لنسيم رناه ، وتطلع أنوار بدوره في سماء المعاهد الشريفة المعظمة ، وتسطع
أشعة شمرسه في فلك المشاهد المنيفة المفخمة ، يخص حضرة جناب سليل
الهواشم ، ويحل بساحة نبيل الدوحة المظهرة من أبناء الفواطم ، ويلم بمقام
جليل السادة القادة الأكارم الخصارم ، رئيس حرم الله ، أمير مهابط وحي
الله ، مقيم شعار الجهاد ، هادم أركان الفساد والعناد ، أخينا الأكرم ،
حبیبنا الطاهر الشیم ، أمير الشرفاء ، شريف الأمراء ، كبير العظماء ، عظيم
الكبراء ، الشريف الأوحد ، غالب بن مساعد ، أدام الله إسماعده ، وثبت
في ملكه أطنابه وأوتاده . وكثر أعداده وأجناده ، وأباد حساده وأضداده ،
وتولى بعين عنايته إصداره وإيراده ، وبعد حمد ((الله)) (٢) واجب الوجود ،
وشكر مفیض الكرم والجود ، والصلاة والسلام على حامل لواء شرائع الاسلام ،
القائم بأعباء الرسالة أنهض قیام ، وعلى آله الناصرين لأعلام الدين ، التابعين
بسلطانهم رؤوس العاندين ، (٢٠٧) وعلى أصحابه القاصمين جنات الكفران ،
القاصمين عقد الشرك والطغيان ، فإنه وصل من جنابكم العظيم ، ومقامكم الفخيم ،
كتاب كريم ، يحكي ما صنعت أیدی الكفر ، بمصر صانها الله عن كل نكر ، فيأله

(١) الآية ٢١ مدنية من سورة المجادلة رقم ٥٨ .

(٢) زيادة من النسخة (ن.م. : س ١٩٤ أ) .

من حادث يبلبل الالباب ، ويحلب من الأحزان ما لم يكن في حساب ، وواها له من خطب يصك مسامع الاسلام ، ويخدد الحدود بفيض مدايح الايام ، ولعمر الله لقد أبكى وأنكى ، وروع ونجع وأوجع ، وأقام وأقعد ، وشتت شمل كل أنس وبدد ، لاسيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران ، مقدسة عن أرجاس الطغيان ، معمورة بالايان ، وعبادة الملك الديان ، على مرور الأزمان ، منذ افتتحها سيوف حزب الله ، ومحت أدران كفرها صوارم صحابة رسول الله ، فلقد أظلم الخطب ، وأدلهم السكر ، وضائق الصدور ، وغلت من الأحزان قدور ، ورغب في النفي إلى سبيل الله الصغير والكبير وتشوق إلى جهاد أعداء الله كل جليل خطير ، وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالاسلام والمسلمين ، وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين ، لأنها في الدين ، ومن بعدت عنه ديارها ، فقد أحرق قلبه وقالبه نيارها ، ولقد كنا على عزم بمث الغارة ، وإرسال طائفة من جنودنا المختارة ، ليكونوا من الفائزين ، بجهاد الكافرين . والظافرين بثواب هذه الطاعة التي هي سنام الدين ، كما صح عن سيد المرسلين . وأما الثغور في جهاتنا فهي بحمد الله محفوظة ، وبمين العناية الربانية إن شاء الله تعالى (١) ملحوظة ، فقد وكلنا بحفظها من الأجناد من يقوم بهم الكفاية في الاصدار والايراد ، وعند ذلك العزم المسكين .

وأما كتابكم الآخر المبشر بالفتح المبين ، الحاكي لاستئصال شافة الكافرين أجمعين ، فأشددنا لسان حال السرور ، وحدا بنا حادى الجهور ، الذى عم الجهور :

ثناء محاذيك الأسى المتقدم

فلقد انجابت ظلمات اليوم ، وتفشقت غيوم العموم ، وابتلجت

(١) لم ترد في النسخة (ن . م . ٥ : ص ١٦٤ ب) .

الخواطر ، وقرت البواظر ، وعند بلوغ تلك الأخبار ، أشعرنا هذه المسار^(١) الكبار ، بما شاع في جميع الأقطار ، وذاع بين أهل البوادي والحضر^(٢) ، فيا لها من مسرات شدت عضد الدين ، وفنت سواعد الملاحدين^(٣) ، وقصمت (٢٠٨) ظهور الكافرين ، وقلقلت معازل المعاندين ، اللهم إنا نحمدك حمداً لا يحيط به الحصر ، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من هذا الفتح والنصر .

وما لمحت إليه أيها الجناب الفخيم ، والأخ العظيم الحكيم ، من أمر الداوات ، فإزالت أوامرنا إلى نوابنا في الجهات ، برفع الظلمات ، والأعمال بالنيات ، وغير خاف على فهمكم السليم ، وفكركم الراجح القويم ، أن من العدل الذي قامت به الأرض والسموات ، أن يستوى القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ، في أنواع المكاسب والتجارات^(٤) ، كما حكى بذلك باري البريات ، ولازلم في حفظ الله محوطين بعين كلامه ورعايته وحمايته ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) كذا في النسختين ، وربما بمعنى المسرات .

(٢) أي أهل الحضر ، واضطر إلى نحتها لالتزام السجع .

(٣) وصحتها الملاحدين .

(٤) في هذه العبارات اعتذار عن تلبية رغبة الشريف غالب في تفضيل تجارته في الموانئ اليمنية وسرعة شحنها بالبضائع قبل غيرها ، كما سبق أن طلب في خطابه السابق (النص : ١٠) .

[١٢]

[زحف بونا بارت إلى الشام وحصار عكا]

(٢٠٨.هـ) وفي شوال من هذا العام ، تعدت الكفرة الشام ، إلى أطراف الشام ، فخرجوا في خمسين ألفاً وقصدوا عكا بلدة أحمد الجزار ، فحاصروه أربعة وستين يوماً (١) ، واشتد (٢) الكرب على المسلمين ، وجهر السلطان ثمانية عشر مركباً حربية ، وخرج الجزار فكانت ملحمة هلك فيها من الكفار أكثر من مئة عشر ألفاً (٣) ، وتبدد جمع الكفرة ، وقد أتينا على تفصيل الخبر ، وما كان من أمر الجزار ، وتعلله بالمرض في أيام الحصار ، واستدعائه لسكبار الفجار ، ودخولهم إليه ، ومثولهم بين يديه ، واستدعائه لسكبير الانقلز قنصل ((صاحب مالطة)) (٤) وتحكيمه له في أولئك بأن يمضى سيفه فيهم ويستأصل (٥) ، وذكرنا الأمراء وما كان من

(١) اتفق لطف الله عجائب مع الجبرتي في صحة عدد أيام حصار عكا .
(الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٧٢) .

(٢) وردت في النسخة (ن . م . : ص ١٩٥ أ) : فاشتد .

(٣) في هذه العبارة ، وفي عبارة « فخرجوا في خمسين ألفاً » دليل على المبالغة التي كان يقع فيها المؤرخون القدماء عند التحدث بالأرقام ، اذ من المعروف أن عدد أفراد الحملة من مشاة وبحارة وعلماء وفنيين لم يتجاوز الأربعين ألفاً . وقد تجاوز الجبرتي هذا الخطأ فلم يذكر رقماً محدداً للفرسين الذين توجهوا إلى الشام ، بل أشار إلى أنهم خرجوا جماعة بعد أخرى في فترات متتالية ، وذلك عندما بدأ يتحدث عن أحداث حملة الشام .
(الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٦ وما بعدها) .

(٤) زيادة من النسخة (ن . م . : ص ١٩٥ ب) وقد سبق أن ناقشنا حقيقة أوضاع مالطة في ذلك الوقت .

(٥) جاءت في النسخة (ن . م . : ص ١٩٥ ب) : فنقل واستأصل .

أبي خشبة^(١) وابن كليون الملعون^(٢) ، وذكرنا حيلة الجزار في إيقاد النار
على الكفار بقلمة^(٣) عكا في ((كتابنا «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين»
فأعنانا عن الإعادة))^(٤) .

(١) هو الضابط المهندس كفاريللى ، كان خبيراً في وضع خطط محاصرة الحصون
والقلاع وقد برزت ساقه في إحدى المعارك ، فعاش بساق خشبية ولذلك أطلق عليه
« أبو خشبة » . ووصفه الجبرتي بقوله : « وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند
العامية واسمه كفارللى مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم ، وكان له معرفة
بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ما ينظم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية
وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها » . (الجبرتي : ج ٣ ، ص ٦١) وكان مسوت كفاريللى
من ضمن الأسباب التي أدت إلى رفع الحصار عن عكا ، وذلك كما جاء في منشور بونابرت الذي
أذاعه لتبرير عودته إلى مصر دون الاستيلاء على عكا : « الثاني عشر : موت كفارللى
الذي هملت المناريس بمقتضى رأيه وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر ، وكفارللى
هذا هو المعروف بأبي خشبة المهندس » : (الجبرتي : ج ٣ ، ص ٧٢) .

(٢) لم نعرف على هذه الشخصية التي ذكرها المؤرخ ، وربما خلط بين كفاريللى
وابن كليون هذا التشابه ، فجعل من أبي خشبة وكفاريللى شخصيتين ، ولم يدرك أنهما
شخصية واحدة .

(٣) ذكرت في النسخة الأم بالتاء المربوطة وفي النسخة الثانية بالتاء المفتوحة .

(٤) العبارة التي بين القوسين بأكملها من النسخة (ن م . : ص ١٩٥ ب) فهي غير
واضحة في النسخة الأم نتيجة قص الأوراق عند التجليد .

[١٣]

[اتصال الانجليز بالإمام لاقامة قاعدة لهم عند باب المنذب ورفضه لذلك]

ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين وألف .

وفي مفتحها يوم الأحد عشرين شهر محرم^(١) وصل القنطبان^(٢) ولسان^(٣) رسول ملك الانقليز^(٤) إلى الإمام فاحتفل لوصوله ، ونصب له

(١) يوافق ٢٤ يولييه ١٧٩٩ م .

(٢) وردت هكذا في النسختين ، وصححها : القبطان ، وهو القائد البحري .

(٣) ليس هذا هو الاسم الحقيقي للرسول الانجليزى الى الإمام ، وربما لجأ مؤرخنا الى استخدام هذا الاسم لجهله باسم الرسول ولسهولة نطقه وليله الى السجع . ويدعى الرسول الدكتور برنجل Pringle ، وكان يعمل في وظيفة مساعد جراح في وكالة بومبلى الانجليزية . وقد ذهب برنجل الى البحر الأحمر في صحبة القائد الانجليزى موراي Murray الذى كلفته شركة الهند الشرقية باحتلال جزيرة برم . لثم تسرب السفن الفرنسية الى المحيط الهندى بعد احتلال الفرنسيين لمصر . وعند وصول الجنرال بيرد Baird الى هنا وجد « برنجل » هناك ، فسلمه خطابات وهدايا وكلفه مهمة مقابلة الامام في صنعاء ، وهذا مع العلم بأن هذا الجنرال هو الذى كان يقود الحملة الانجليزية من الهند الى القصير ليشترك في اخراج الفرنسيين من مصر ، ولقد قبل أن مهمة برنجل الى الامام كانت لشئون تجارية بحتة ، ذلك على عكس ما ذهب اليه مؤرخنا في هذا النص ، نظراً لضعف التجارة الانجليزية في الهند مع جهات البحر الأحمر في ذلك الوقت . وقد استجاب الامام لمطالب انجلترا — وتدور جميعها حول تقديم تسهيلات تجارية في الموانئ اليمنية — كما استقبل برنجل بحفاوة كبيرة ، وتحققت أغراض المهمة التى جاء من أجلها الى صنعاء .

(Playafir, R.L. : A History of Arabia Felix or Yemen p.p. 123 — 124).

(٤) وردت في النسخة (ب) : م . م : ٢٠٧ أ . الانقليزى .

بدار الصافية^(١) خيمة عظمى ، وأحضر عساكر الباب ، وجمع الخيول والبسها فاخر الثياب ، وجعلها صفين ، فدخل من خارج بئر العزب^(٢) مترجلاً ، يقدّمه عشرون نفرًا بالسلاح ، ويحفه عشرة من الخدم ، ويبد رجلين منهم مذبات ثخينة ، يذبون بها عنه في الطرق الغبار ، ولما رأى الإمام على سيره ، خلع عن رأسه قلنسوته وألقاها وأقام ترجمانه بين يديه ، يعبر ((عنه)) عن^(٣) سبب وصوله إليه ، فأجل الأمر في ذلك الموقف ، وأنزله الإمام بالقرب من داره . والسبب الحاصل في وصوله ، أنها لما دخلت الفرانسة ديار مصر ، وكان الانقليز معيناً لسلطان الإسلام ، فطمعوا في تملك^(٤) السواحل اليمنية ،

(١) ، (٢) حيان من أحياء صنعاء حالياً ، وكانا بمثابة ضاحيتان من ضواحيها في زمن المؤرخ ثم امتد لهما العمران بل وتجاوزها . وتقع الصافية إلى الجنوب من مدينة صنعاء الأصلية المسورة ، أما بئر العزب فيقع إلى الغرب منها ، وضمه إلى صنعاء سور يحيط به ويقام (يسمى) اليهود الذي يقع إلى الغرب من بئر العزب (والقاع في لغة صنعاء هو الأرض السهلية المنبسطة أو الوادي) وذلك مع بقاء السور والباب الذي يفصل بين صنعاء القديمة وبئر العزب . وقد تميزتا الصافية وبئر العزب بكثرة بساتينهما المثمرة للفاكهة وغيرها ، وبقلة دورهما ، فكانتا بمثابة متنزه لصنعاء الأصلية المكثفة بالمنازل والسكان ، وكان يمرى بهما نيل (نهر صغير) يتلىء بالمياه بعد سقوط الأمطار . (الواسعي : البذر الزيل التخزن في قفول اليمن ومحاسن صنعاء ذات المن ، من ١٦) . أما الآن فقد اكتظت هاتين المنطقتين بالمساكن ، وقلت الأراضي المزروعة بهما إلى حد كبير ، وأصبحتا جزء من قلب صنعاء الكبيرة ، التي شملها التوسع والعمران بشكل كبير بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ وانتقال مركز الحكم إليها بعد أن ظل عدة سنوات في مدينة تعز في عهد الإمام أحمد (١٩٤٨ — ١٩٦٢ م) . وقد هدم أغلب أجزاء سور صنعاء القديم وأكثر أبوابه ، وكان هناك رأى ينادي بالاحتفاظ بهذه الأشياء وبطابع المدينة التقليدي لجذب السياح إليها ، كذلك ينادى بأن يتكون التوسع العمراني لصنعاء فوق المرتفعات المحيطة بها وليس في قاعها (أي في وادئ صنعاء) وذلك للاستفادة من الأراضي الحصينة المزروعة والابقاء عليها ، ولكن لم يلتفت أحد إلى هذه النداءات .

(٣) زيادة من النسخة (ن.م. : ص ٢٠٧ أ) لتوضيح المعنى .

(٤) وردت في النسخة (ن.م. : ص ٢٠٧ أ) : تلك .

ورأوا أن يهضروا بباب المذهب (١) ، فخرجوا إليه ، ونزلوا عليه ، وهموا به
العمارة ، فنهضوا من ذلك ، وأرسل إليهم أهل عدن ، يخبرونهم بأنه لا يسعهم
ذلك ، إلا أن يأخذوا إذناً من الإمام . فتماروا في ذلك ، وباطنهم مضمر
للشر ، فاضطروا إلى بعث ولسان ، وهو من دعات الانكليز ، فطلع وأفصح
عن مطلوبه (٢) ، فلم يجبه (٣) الإمام ، إلى ذلك المرام ، فرجع خائباً ، وكان
خبر هذا الانكليزى ، وما هم به (٢٢٤) قد طار كل مطار ، فلم يسعه المقام
هناك ، فسيره الإمام ، وأصبحه جماعة من جنده يحفظونه من رعاياه ، فخرج
من بئر العزب يوم الجمعة ثاني شهر صفر (٤) ، منسكراً خائباً ، و((كان بصحبة
قد)) (٥) اشتد الأمر عليه ، لما وصل رسول (٦) الانكليز إليه من باب المذهب
في يوم الثلاثاء تاسع وعشرين شهر المحرم (٧) بكتاب ظهرت عليه به السكابة ،
فأفهم أن السلطان قد بعث بجند جرارة ، وأنه قد شارف على الظفر
بديار مصر .

(١) من المعروف أن انجلترا احتلت جزيرة برم لعسبة أشهر خلال عام ١٧٩٩ لتفاق
البحر الأحمر أمام تسرب السفن الفرنسية إلى الهند ، وذلك عقب مجيء الحملة الفرنسية
إلى مصر .

(٢) وردت في النسخة (ن. م. : ص ٢٠٧ أ) : مطلوبهم .

(٣) وردت في النسخة (ن. م. : ص ٢٠٧ أ) : يجيبهم .

(٤) يوافق السادس من يولييه عام ١٧٩٩ م .

(٥) زيادة من النسخة (ن. م. : ص ٢٠٧ أ) .

(٦) وردت في النسخة (ن. م. : ص ٢٠٧ أ) : لأنه وصله .

(٧) يوافق الثالث من يولييه عام ١٧٩٩ م .

[١٤]

[الشريف غالب يحرض الإمام على عدم السماح للإنجليز بإقامة قاعدة لهم بباب المنذب]

(٢٢٤) وتعقب مسيره وصول كتاب من غالب بن مساعد أمير مكة المشرفة يذكر فيه بعد الترجمة أنه ورد إلينا كتب من جانب كبار الإنكليز من الكفار ، بقصد بناء قلعة في باب المنذب ، الذي عليه طريق كل داو ومركب ، وهذا أمر يتفاقم خطبه ، ويمز بعد وقوعه معاناته وطلبه ، ويشمل كافة المسلمين ، ثم قال بعد كلمات يسيرة في الشكوى : ثم إنه أمر لم يقع فيما قبله مثله ، ولا في قديم الزمان فعله ، ولا جرى في سابق الزمان ، ولا جرى في دولة آبائكم ولا كان ، وداؤه يسرى في جسد الإسلام سريان الليل والأسقام ، ويعمي داؤه الأساة^(١) والأطباء ، وتحار أفكار العقلاء فيه والآباء ، فتداركوا الأمر قبل تحكمه ، وأبدلوا الجهد في إطفاء هذا الشر قبل تضمره :

وإن الشر أوله شرارة ويوشك أن يكون له اضطرام

وهناك يقع الندم حيث لا ينفع ، ويتمحكم الداء الذي يعسر أن يدفع ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق ، وهو المرجو للهداية إلى أقوم طريق ، فابدلوا همكم الهاشمية ، ولا تمسكوا أعداء الله من هذه الحيل .

هذا محصل تحريرضه نقلناه من كتابه .

(١) الآسى هو العلييب ، وتمهم أساة وأساء ، مثل رعاة ورعاة في جمع راع .
ويقال أسوت الجرح فأنا أسوه أسوا إذا داويته وأصلحته (ابن منظور : لسان العرب ، ١٨ ، ص ٣٦) .

[١٥]

[الإمام يعلمن الشريف غالب على موقفه من طلاب الإنجليز]

وأجابه^(١) الإمام المنصور بعد الترجمة يقول :

وبعد ، فإنه وصل من جنابكم الشامخ ، ووفد من مقامكم السامى الباذخ ،
كتاب طابت فوائده معانيه ، فطالت قواعده مبانيه ، يحكى ما اتصل لمسامعكم
من الأخبار ، المترجمة عن احتفال طائفة الكفار ، ببناء المعقل فى أطراف
هذه الديار ، (٢٢٥) وأنهم قد اتدبوا إلى باب المندب ، وراموا رفع أساس
الآبية ، وذبح من عنه ذب ، وذكرتم ما يترتب على ذلك من المفاسد ، التى
يشمخ بها أنف كل جاحد ، فلا جرم قد أرشدتم إلى منهج الرشاد ، ونظرتم
إلى نوائب العواقب بعين الانتقاد ، بيد أن ذلك الخبر غير مطابق للواقع ،
ومن دون صحته خطوط زاعر ، ومعارك سواطع ، وصواعق صواعق ،
ووقائع روائع ، ودوافع موانع ، وهيهات هيهات ، فبينهم وبين إدراك هذه
الطلبات قلاقل وزلازل ، وقساويل^(٢) وصواهل^(٣) ، وذوابل^(٤) ومكاحل^(٥) ،

(١) وردت فى النسخة (ن. م. : ص ٢٠٧ ب) : وأجاب .

(٢) قسطة الجبل بمعنى هديره (القاموس المحيط : ج ٤ ، مادة قسطل) والمقصود
هنا هو الجبال التى تهدر عند الحرب والطمع .

(٣) صهيل الفرس أى صوته ، والمقصود هنا : الخيول عند صهيلها فى الحرب .

(٤) يقصد بها نوع من أنواع البنادق القديمة .

(٥) مفرد ما مكحل وهو نوع من أنواع المدافع القديمة التى تعتمد على الضغط
والهطيان .

وصوارم^(١) ولهازم^(٢) ومخازم^(٣) وملاحم ، انتهى .

(١) أى السيوف الحادة

(٢) الלהزم هو القاطع من الأسنة (القاموس المحيط : ج ٤ ، مادة الלהزم) والمقصود هنا هو السنان الحادة القاطعة .

(٣) خذمة بمعنى قطعة ، وسيف خذم بمعنى سيف قاطع (القاموس المحيط : ج ٤ ، مادة خذمة) والمقصود هنا : السيوف القاطعة .

ويرى الإمام من وراء العبارات السابقة أنه سيحارب رغبة انهلتها بكل قوة واستقامة .

[١٦]

[تحقيق اسم قائد الجيوش العثمانية التي زحفت إلى مصر
لإخراج الفرنسيين منها]

(٢٢٥) قلت : اشتهر^(١) أنه خرج من جند السلطان شيخ العربان ،
متجهزاً على حزب الشيطان ، الباشا أحمد طباطبا ، في اثنتي عشرة ألف مقاتل
الرجالة وثلاثة آلاف فرساناً ، ((يحمل))^(٢) زاده وأثقاله وخيامه عشرين
ألف جمل (٢٢٥ هـ) وسمعتنا بهذا أحمد طباطبا عن بعض الناس من أهل اليمن ،
قال أنه رأى في كتاب ورد أن اسم الخارج أحمد طباطبا ، والذي سمعناه بمكة
وتلقيناه من المتطوعة مع السيد الجيلائي أن اسم الرجل أحمد جرار ، بجيم
ومهملتين ، وهو الذي خرج عن أحمد الجزار صاحب عكا ، وهو بجيم بعدها
زاي معجمة فألف فراه [مهملة]^(٣) ، وهذا تجهيز أول ولا يبين ما في
كتاب غالب .

(١) وردت في النسخة (ن.م. ٤٠٠ : ص ٢٠٧ ب) : واشتهر ، ويقصد بها أنه قد
شاع وانتشر .

(٢) جاءت في النسخة الأم : يحمله ، وما ورد في النسخة (ن.م. ٤٠٠ : ص ٢٠٧ ب)
هو الأفضل .

(٣) زيادة من النسخة (ن.م. ٤٠٠ : ص ٨ ١٢) .

[١٧]

[خطاب يوسف باشا وإلى المدينة المنورة العثماني إلى الإمام]

وفيها وصل من الباشا يوسف صاحب المدينة^(١) إلى الإمام بجواب أجاب به على الامام ، وكتاب من وزير الختام يوسف مدبر حضرة السلطان ، فيه أن وزير الختام ، سينهض بنفسه لذلك المرام ، ولم يكن من الامام كتاب إلى يوسف باشا صاحب المدينة ، ولا إلى السلطان ، فلمعله افتعله بعض^(٢) المفتعلين^(٣) .

(١) هو أحد قادة العثمانيين الكبار وحارب كثيراً في جهات أوروبا ، وأخذ يترقى المناصب حتى وصل إلى منصب الصدر الأعظم ، وظل به مدة أربعة أعوام . وقد عرف عنه الرغبة في الإصلاح بعد أن دب الفساد في جسم الدولة ، فيقال أنه أعدم بعض الوزراء عقب توليه منصب الصدر الأعظم لفساد أمورهم . ويبدو أنه في آخر رئاسته قد أصابه اليأس والتعب ومال إلى الصوف ، فطلب من السلطان أن يعينه والياً لبلده حتى يكون قريباً من الحرم المكي والنبوي ، فأبى السلطان طلبه . وقد شهِد الحجاز في عهده الأمن والاستقرار بعد أن قضى على المتمردين والمفسدين به . (الشوكاني : البدر الطالم بحضائن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨) .

(٢) جاءت في النسخة (ن . م . ٠ : ص ١٢٠٨) : بعد ، ولكنها لا تتفق مع سياق الحديث .

(٣) هذه العبارة توضح لنا أن مؤرخنا لطف الله جعاف ينكر أن الإمام أرسل إلى يوسف باشا وإلى الحجاز ، وإلى السلطان العثماني — وكذلك فعل الشوكاني عند ترجمته لحياة يوسف باشا التي سبق ذكرها بل واستعمل هذا التعبير ذاته — وربما صدق الرجلان ، وإن العثمانيين هم الذين اتخذوا هذه المبادرة ، فسكروا إلى الإمام لربطه بقضية الحملة الفرنسية على مصر ، وربما كان الشريف غالب هو الذي أوحى إلى يوسف باشا بالكتابة إلى الإمام ليدعم خطاباته هو إليه . ونرجح أن الشريف غالب والعثمانيين معاً كانوا يعملون على جذب الامام إليهم ، لأهمية موقع اليمن ، وحرصاً على تضامن الامام معهم ، وتحديد موقفه من الفرنسيين من ناحية ، ومن خلفاء السلطان حينذاك ، وها انهم انزلوا وروصوا ، من ناحية أخرى .

ولفظ كتاب الباشا يوسف صاحب المدينة إلى الامام :

الحمد لله حمداً لا نحصي ثناء عليه جل وعلا ، وكفى أنا مؤمنون ،
والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا رسول الله ، نحن في جواره ، من جاهد
في الله حتى أتاه اليقين ، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا نفوسهم ابتغاء مرضاة
الله رضوان الله عليهم أجمعين ، وبعد :

نبدى ذلك ونهديه إلى المحب في الله والصديق لنا ولإيما ، خالصاً مخلصاً
لوجه الله ، الأجل الأمثل الأبر المؤتمن العظيم ، إمام الزمن في أقطار الين ،
كان محروساً ومطهوراً من (٢٢٦) كل ألم ودرن ، بحرمة النبي الأمين .

بعد السلام عليكم ورحمة الله^(١) ، الذي نعلمكم به ، وهو كل خير لما
بيننا من المحبة السابقة ، والأخوة الإسلامية ، يا حبيذا هي الرابطة القوية ،
تقدمت إيانا من طرفكم ، كتب مفضحة لنا^(٢) ، واستعلام وقائع الطائفة
المنحوسة الفرنسية ، دهرهم لله وخلطهم بحمار محمد خير البرية ، وطلبتم منا
إيضاح المبهم وأحوال طوائف الانكليزية ، وأن المؤمنين لبعضهم معينين
في نصره الدين ، ولما أوعد الله مشقبين ، كما قال في محكم التبيين : ﴿ وكان
حجة علينا نصر المؤمنين ﴾^(٣) ، ولامداد الدولة العلمية منتظرين ، فلما أن
علمنا منكم ذلك ، أعدنا الجواب إليكم سريعا وأعلمناكم بها هنالك ، هو
أن طائفة الفرنسية ، جعل الله ديارهم دارسة ، وأعلمهم ناكسة . قد اختلفوا
ونقضوا العهد القديم والميثاق ، وتعدوا بقر مصر والآفاق ، وطوائف

(١) لم ترد عبارة « ورحمة الله » في النسخة (ن. م. ٥٠٠ : ص ٢٠٨) .

(٢) إشارة إلى خطابات الامام إلى يوسف باشا ، وهذا ما أذكره لطف الله جلال
والشوكاني وما سبق أن ناقشنا .

(٣) الآية ٤٧ مكية من سورة الروم رقم ٣٠ .

الانكليز بيننا وبينهم رابطة قوية ، وصحب للإسلام ، فن أناكم من طوائف
الفرنساوية اللثام ، أجزعوه وسجروهم كؤوس الحمام ، ولا تبالغوه مرام ،
وأصدقائنا الانكليز أعطوه ما يهوى من مطاعم الشهوى ، والمشارب
الحلوى . هذا وحين ماورد كتابكم ، أرسلت من خواص أتباعى إلى الدولة
العلية وشرحنا لهم شأن صلاحيتكم فى الدين ، وشجاعتكم فى الميادين ،
ولقدامكم معنا أيها المؤمنون ((كذا فى الكتاب))^(١) ، ولأنكم متيقظين لستم
بغافلين ، كما صدق من نطق فيما به الله عليكم فذ فضل وأمين : وإن الايمان
يمان^(٢) . فبعد أن علموا (كذا) الدولة العلية أحوالكم وأوصافكم ،

(١) زيادة من النسخة (ن. ٠ م : ص ٢٠٨ ب) .

(٢) هذه العبارة إشارة إلى حديث شريف وليس نصاً للحديث نفسه ، إذ أنه حديث
طويل وورد فى أكثر من رواية . وقد ذكر الامام مسلم فى صحيحه (وكذلك الامام
البخارى والترمذى وغيرهم) هذا الحديث بعينها منتهى جميعها إلى الصحابي
المعروف أبى هريرة رضى الله عنه . وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاء أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، الايمان يمان ، والفرقة
والحكمة يمانية . وفى رواية أخرى عن أبى هريرة أيضاً ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أناكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة الفرقة يمان والحكمة يمانية . وفى
رواية ثالثة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الايمان يمان والكفر
قبل المشرق والسكينة فى أهل الغنم والفخر والرياء فى الغدادين أهل الخيل والوبر (والغدادين
هنا بمعنى المكثرين من الابل) . وفى رواية رابعة عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : الفخر والخيلة فى الغدادين أهل الوبر والسكينة فى أهل الغنم .
وفى رواية خامسة أنه زاد عن النص السابق : الايمان يمان والحكمة يمانية . وفى الروایتين
الأخيرتين إشارة واضحة إلى أن طبيعة الحياة وظروفها هى سبب التفضيل الذى ذهب إليه
الرسول صلى الله عليه وسلم . وفى رواية سادسة عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً الايمان يمان
والحكمة يمانية ، السكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلة فى الغدادين أهل الوبر قبل مطلع
الشمس . وفى رواية سابعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أناكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ، رأس الكفر
قبل المشرق ، وفى رواية ثامنة بنفس الاسناد لم يذكر : رأس الكفر قبل المشرق ،
وعقب هذه الرواية ، روى الامام مسلم حديث عن جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ

وما أنتم عليه شكر واصنيهكم على قولكم ، وأرسلوا إليكم جواب كتابكم ، من صاحب الدولة العلية العثمانية ، وهو وزير الختام الآن ، مدير الجمهور الصدر الأعظم (١) ، ضياء الحاج يوسف باشا ، (٢) و (٢٢٧) ها هو مرسل إليكم صحيفة كتابنا هذا على يد تابعينا الحاج إسماعيل أغا والحاج يحيى أغا ، فبح سلامة الله تعالى إذا وصلا إليكم وقرأتموهما (٣) وعلمتم وأعلمتموهما للحاضر والباد ، فيلزم لكم بعد الآن أنتم الجهاد والاجتهاد في ذلك الناد ، لأن الفرنسيين عدو الدين ، ربما أن يفر أحد منهم من طرف القصير (٤) ويأتي

صلى الله عليه وسلم غافظ القلوب والجفاء في المشرق والايان في أهل المجاز ، وروى ذلك الحديث مع الروايات السابقة في باب تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه من كتاب الايمان في صحيحه . ويعتز اليمينيون كثيراً بهذا الحديث الذي تحدث عنهم ويفتخرون به دائماً ، فيشيرون اليه باستمرار في أحاديثهم وفي مقدمات كتبهم المخطوطة والمطبوعة ، كما أسموا أول جريدة ظهرت في بلادهم باسم الايمان ، وأول مجلة أيضاً باسم الحكمة ، وذلك في أواخر الثلاثينات من هذا القرن . (الامام مسلم : الجامع الصحيح ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) .

(١) وردت في النسخة (ن . م . : من ٢٠٨ ب) : الأعظم ولكن الأعظم هو التعبير الشائع .

(٢) يلاحظ أنه هو الذي قاد الحملة العثمانية التي أخرجت الحملة الفرنسية من مصر بالتعاون مع القوات الإنجليزية .

(٣) هكذا وردت في النسختين ، ويرجح أن الضمير المثنى هنا يشير إلى خطاب الصدر الأعظم وإلى خطاب يوسف باشا وإلى جدة ومحافظ المدينة سابق الذكر .

(٤) من أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر منذ أقدم العصور ، وكانت تسمى قديماً : تاو Taéou وكان اسمها اللاتيني Lefkos Limin وهي تقع تجاه مدينة قوس — قصبة الصعيد على صر العصور — وكان بينهما طريقاً برياً لنقل البضائع ولتسهيل حركة التصدير والاستيراد بينها وبين بلدان البحر الأحمر ، ولذلك قال ياقوت الحموي في التعريف بها : « وفيه مرفأ أسفن البين » ، وحالياً بينها وبين قنا طريق مستقيم يبلغ طوله : ١٥٥ كيلو متراً . والقصور الحسالية تقع إلى الجنوب قليلاً من القصير القديمة التي اندثرت تقريباً . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية القسم الثاني ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ،

من نواحيكم ، فأذيقوه حرباً حاراً ، ليتوصل به إلى آية الهاوية بنس للقرار ، ولا تنهبوه فإن قلبه طار ، وقصده النجاة لا يبلغه الله إلا وطار ، فلا تغفلوا واحذروا مكر الفجار ، وكونوا على قلب واحد أيها المؤمنون ، فائق معنا والنبي المختار ، فإنه سابقاً في أواسط شوال قد تمدوا^(١) الكفرة الثام ، إلى أطراف الشام ، وحاصروا عكا بلدة الجزار ، بعسكر ينوف على خمسين ألفاً من الكفار ، وتم الحصار بتلك النواحي أربعة وسنين يوماً ، واشتد الكرب على المسلمين ، فوفدت نجدة من الدولة العلية ثمانية عشر مركباً ، مدافعها وبارودها ، ومن يعطى حقها رجاها ، فقابلوا الكفار ، وقتلوا ما ينوف على ستة وعشرين ألفاً من الكفار ، أهوى بهم إلى بنس القرار ، واستشهد من المسلمين مقدار ، فبعد إذ عاين عدواؤه القتل ، والآية الكبرى ، انهزم وولى الأدبار ، وإلى أطراف مصر طالبا الفرار . وإلى يوم تاريخ كتابنا نرجوه سبحانه ، عم نواله ، إنهم وصلوا وبلغوا المنى ، وإن شاء الله عما قريب نسلمكم بشرها ، ونحمد عقبي مسراها ، بحق (بسم الله بحجـراها ومرسها)^(٢) .

هذا ونبشركم بما جرى سابقاً ولاحقاً ، وأن يلقب من يسكننا ويتلى له على المنابر غازیاً صادقاً ، هو أنه لما بلغ الدولة العلية خبر قهر مصر جهزوا على ساقية عدو الدين ، وذلك لإقليم اللونديك التي فيها دار الضرب للمستخلص^(٣) العتيك التي^(٤) هي من حوز حكومة الفرنسيس ، وقضت تصرفه برأ وبهراً ، وضبطوا ذلك الاقليم جميعه وتلك النواحي ، وما في ذلك (٢٢٨) الاقليم في

(١) جاءت في النسخة الأم : تمدى ، وصحفت في النسخة (ن . م .) : من ٣٠٨ ب .

(٢) الآية ٤١ مكية من سورة هود رقم ١١٠ .

(٣) وردت في النسخة (ن . م .) : من ٢٠٩ أ : للشخص .

(٤) لم تذكر في النسخة (ن . م .) : من ٢٠٩ أ .

البر ثمسان بلدان بقلاع من أحسن ما تسمع^(١)، ومقر سلطنتهم بلدة أو صف وأوسع، وغير ذلك قلاع صغار ما تعد، وقرى لا تعد^(٢)، فقتلوا من صد، وأسروا أسراً لا يوصف بهد، ما ذكرناه في البر وفي البحر، أربع جزائر منيعات حصينات، صارت الجميع في قبضة الاسلام، وعى منها شرك الظلام، وجاءت مفاتيحها إلى ملك زماننا، وصارت فيها من طرف الاسلام، وزراء عظام، وأمراء كرام، بحمد الله الملك العلام، وبعد ما قطعوا ساقية عدو الدين، وجهت الدولة العلية وجه وجهتها إلى أخذ الثار إلى مصر برأ وبحراً، وهذا الخبر ورد إلينا مع تابعنا الذي أرسلناه إلى الدولة العلية، وكان وصوله إلى المدينة المنورة في اليوم السابع عشر من صفر الخير بتحريرات من الدولة العلية العثمانية موصحة لنا ما شرحناه لكم من فتوحات إقليم اللونديك والتوجه إلى أخذ الثار، وقع أولئك الفجار، وها حضرة صاحب الختام، أقبل بعساكره والصفائف الجياد برأ، والسفن السائرات بحراً، قاصدين مصر وتخليصها من لوث الشرك

(١) جاءت في النسخة (ن. م. : ص ١٧٠٩) : يسمع .

(٢) المقصود هنا — من وراء هذه الفقرة جميعها — هو مجموعة جزر الإيونيان (المنائرة أمام الهامى الغربى لجنوب شبه جزيرة البلقان، وأهمها جزر : كورفو، زانثى، سيفالونيا) التى كانت تتبع جمهورية البندقية ثم استولى عليها يونان برت أثناء حملته الناجحة على إيطاليا قبل قدومه إلى مصر . وعقب عقد التحالف الثلاثى العثمانى — الروسى — الانجليزى، تعاون الأسطول العثمانى والأسطول الروسى فى الاستيلاء على هذه الجزر . وكانت الامبراطورية العثمانية تقضى انتشار مبادئ الثورة الفرنسية فى الممتلكات العثمانية فى البلقان لغرب المسافة بينهما، وخاصة لأن أهالى هذه الممتلكات فى حالة تذر على الحكم العثمانى حينذاك . وكان من أهم شروط الصلح — فيما بعد بين فرنسا والامبراطورية العثمانية — الذى تم فى ١٨٠٢ م — أن تكون هذه الجزر مع البندقية جمهورية مستقلة، وكانت فرنسا لا تجد غضاضة فى ذلك حتى تحرم روسيا من موضع قدم لها فى البحر المتوسط .

(Encyclopaedia Britannica : Vol. 22, p.378.

، محمد فريد : الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨٥ — ١٨٨ .)

والكفر، نرجو^(١). مولانا سامع دهانا أن يدمر الأعداء حيث مادانوا، ويعلي ويممر كلمة الايمان أينما كانوا بحق من أنزل عليه ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾^(٢) لأنه سميع مجيب . وكما شرحنا إليكم ربما أن بعض الكفرة الفر نسيس اللئام يفرون من القصير إلى نهوكم فإن رأيتم أحدا منهم اقتلوه ، وأسروه حيثما ثقفتهموه ، وأنبا عينا^(٣) المرسلين إليكم مهلوها إلينا ، بجواب كتاب صاحب الدولة العلية وجودة (كذا)^(٤) كتابنا ، وأخبار تلك الأقطار أفصحوه إلينا سريعا لأنه جل المرام ، والسلام ختام .

المحتاج إلى غفو الله الحاج يوسف باشا والى جده ومحافظ المدينة المنورة .

(١) وردت في النسخة (ن. م. : ص ٢٠٩ أ) : نرجو من الله .

(٢) الآية ١٣ مدلية من سورة الصف رقم ٦١ .

(٣) استخدم المثنى هنا خطأ وصحته : تابعتنا ، وذلك إشارة إلى الرسولين اللذين أرسلنا إلى الامام .

(٤) هكذا وردت في النسختين ، ونرى أن صحتها : وجواب ، ذلك لاتفاقها مع سياق الحديث .

[١٨]

[خطاب الصدر الأعظم إلى الامام المبلغ مع خطاب
والى المدينة المنورة]

هذا لفظه ، ولفظ وزير السلطان بن عثمان فى كتابه إلى الامام : سلام
يعطر رياه (١) رياض الوداد ، وثناء يفيض بسلساله حياض السداد ، إلى
حضرة من حلف بالأبطال الالهية ، والعثرة المحمدية ، وأنواع المنن ، إمام
صنماء اليمن ، وبعد :

فالذى نهنى إليكم ، ونهديه لديكم ، أن الطوائف الفرنساوية ، دمرهم
الله بنواير (٢) صواعقه القوية ، نقضوا عهود الصلح والميثاق ، وسعوا فى
الأرض الفساد والشقاق ، وخانوا الملة الأحمدية البيضاء ، وقاموا على الأمة
المحمدية السمحاء . حيث هجموا بغتة على بلاد الاسلام ، وما راعوا قوانين
الدولة فى الأخبار (٢٢٩) والإعلام ، وأبدعوا من الدسائس والحيل
والخدع ، ما لم يرتكبه أحد من أهل الفنى والبنى والبدع ، فاستولوا
لجأة على الاسكندرية ، ومصر القاهرة ، وتحكموا على علمائها وفضلانها
وساداتها الفاخرة ، وسبوا صبيانها ، وهتكوا أعراض نسوانها الطاهرة ،
فقرضت علينا فرض العين لقامة الغزو والجهاد ، والمحاربة معهم فى كل ناحية
وناد ، لازالت جمعيتهم طعمة لسيوف الموحدين ، وجملتهم متشتمة لسطوة
صغوف المؤمنين ، فانهقدت بيننا وبين الدولة الانجليزية والروسية على
محاربتهم روابط الاتفاق والاتحاد ، وظهرت من هاتين الدولتين آثار
الافدام والاحجام لأولئك الفساد ، حيث ترافقت مدفن الروسية مع سفائن

(١) لم يرد ذكرها فى النسخة (ن . م . : ص ١٢٠٩) .

(٢) ربما المقصود هنا هو : بنيران .

سلطاننا الأعظم ، وخاقاننا الأعظم ، لا زالت روحنة سلطنته منظره بنسيم
النصر والنجاح ، وشمس شوكته مشرقة في سماء الفوز والفلاح ، وهجموا
على قلعة قسور^(١) التي كانت أخذتها تلك الطائفة الباغية من أيدي اللونديك
(بحراً) ^(٢) جبراً ، وحاصر جيش من جيوشنا المنصورة المرسله برأ ،
فنزعوها منهم ، فاستوصل منهم الأكثرون ، واسترق الباقون ، فجاءت
مفاتيحها (كذا) ^(٣) إلى يد سلطاننا سلطان الأنام ، ودخلت بحمد الله في
حوزة مالك الإسلام ، فعسى الله أن يأنى بالفتح أو أمر من عنده فتصبح من
شرذمتهم السائرة ^(٤) بعضهم جريحاً طريحاً وبعضهم قتيلاً : (مأمنونين أينما
نُفقوا أخذوا وقتلوا نقتلوا) ^(٥).

وسفائن الانكليز أيضاً مع سفائننا السائرة صدوا سبيل المستولين
على مصر القاهرة ، من أولئك الكفرة ، للفجرة ، وقصدوا إلى محاربتهم
بالغيرة الكاشرة ، فأخذوا من سفائنهم المخذولة بعضاً وأغرقوا بعضاً .
ونهضت عليهم عساكرنا المنصورة من طارق ^(٦) البر ، فتضيق عليهم بعون
الله الأرض بما رحبت طولا وعرضاً .

وهذا المحب الودود بعون الله المعبوه ناهض بالذات عليهم ، بترتيبات ^(٧)
مهمات السفر ، وتداركات أسباب الظفر ، بمنحود لا قبل لهم بها من الأتراك

(١) صحتها : كورفو ، إحدى جزر الأيونيان التي كانت من ممتلكات البندقية ثم
استولى عليها الفرنسيون عند اجتياحهم لإيطاليا .

(٢) زيادة من النسخة (ن . م . ٠ : ص ٢٠٩ ب) .

(٣) مكثنا وردت في النسختين ، وصحتها : مفاتيحها .

(٤) وردت في النسخة (ن . م . ٠ : ص ٢٠٩ ب) : النائرة .

(٥) الآية ٦٢ مدنية من سورة الأحزاب رقم ٣٣ .

(٦) وردت في النسخة (ن . م . ٠ : ص ٢٠٩ ب) : طريق .

(٧) وردت في النسخة (ن . م . ٠ : ص ٢١٠ أ) : وترتيبات .

والأعجام والزركية والأكراد ، وغيرهم ممن لهم في الحرب صولة واعتياد ،
ففى ما صدر من أولئك المخذولين الخاسرين ، عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين ، من الخيانة والخبائث والفساد ، والعلو والعتو والعدا ، يفرض
على كل مؤمن فرض العين ، أن يعين الدين ، ويهين الكافرين ، ويعامل من
كان بيننا وبينهم الاتفاق والاتحاد ، معاملة الحب الوداد ، فالأموال من غير تكم
الدينية ، وجميعكم العربية ، أن تكونوا (٢٣٠) مغتبهين ومتيقظين ، وأن
تراعوا مع طائفة الإنكليز والروسية مراسيم الوداد والوفاق ، وتخابروا دائماً
مع الوزير المسكرم والى جده ومحافظ المدينة المنورة الضياء يوسف باشا دام
في حفظ الله الخلاق ، وتكونوا على رأيه وتديره ، ومقتضى تفهيمه
وتحريره ، وديمتم بالمين ، بجاه محمد الأمين ، آمين .

حرر في أواسط شهر ذى القعدة الشريفة لسنة ثلاث عشرة ومائتين
وألف^(١) . المستمد من البر الأكرم الحاج يوسف ضياء الوزير الأعظم ،
انتهى .

قلت : ووصل هذا إلى الامام في ربيع الأول من عام أربع عشر ومائتين
وألف^(٢) . وفي ألفاظهم وتسجيلاتهم هذه ركة ظاهرة ، وتناثر في نظم
السلام ، غير أنه مفهوم المراد^(٣) .

(١) يوافق : ٢١ أبريل سنة ١٧٩٩ ميلادية .

(٢) يوافق : أغسطس / سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٣) تعاقب طريف المؤلف ، رغم أن أسلوب الكتابة حينذاك كان متشابهاً متقارباً .

[تعليق المؤلف على نهاية أحداث الحملة]

الفرنسية على مصر]

(٢٣٠٨) واعلم أيديك الله بتوفيقه أن كتابه^(١) هذا قد أعرب على نجدة ، وجيشه قد كان في قوة وعدة ، غير أنه لما قارب ديار مصر هال جنود الكفار أمره ، فراسلوه بالمصانعة ، وخذعوه بالأموال ، وبذلوا له النفائس وسألوه الاقالة ، ووعدوه الارتحال ، وأخذوا عليه التحول عن البر والبحر ، فأنخدع وسار بالجيوش نحو الشام^(٢) ، فلم يشعر إلا بكتاب من السلطان ، يأمره فيه بالشدّة ، ويأخذ عليه كمال النجدة ، ويحذره الفتور ، فعاد ثانية ، وأرسل إليهم أن لا بقاء لهم بها ، وأنه يُخرج لهم منها ، فصالحوه على أنهم على الخروج ، فاشتراط حط السلاح والأموال ، وإلا كان القتال ، فكانوا على شرطه إلا من كان بالبحر ، فإنه ذهب بشيء عماله من الأموال^(٣) . ولما تغلّت مصر عن الكفرة دخلها يوسف باشا ، وأخذ أموالاً لا تحصىها الأقلام ، وأقام على أهلها صنعة عظيمة عليه طاهر باشا وعاد إلى حضرة السلطان .

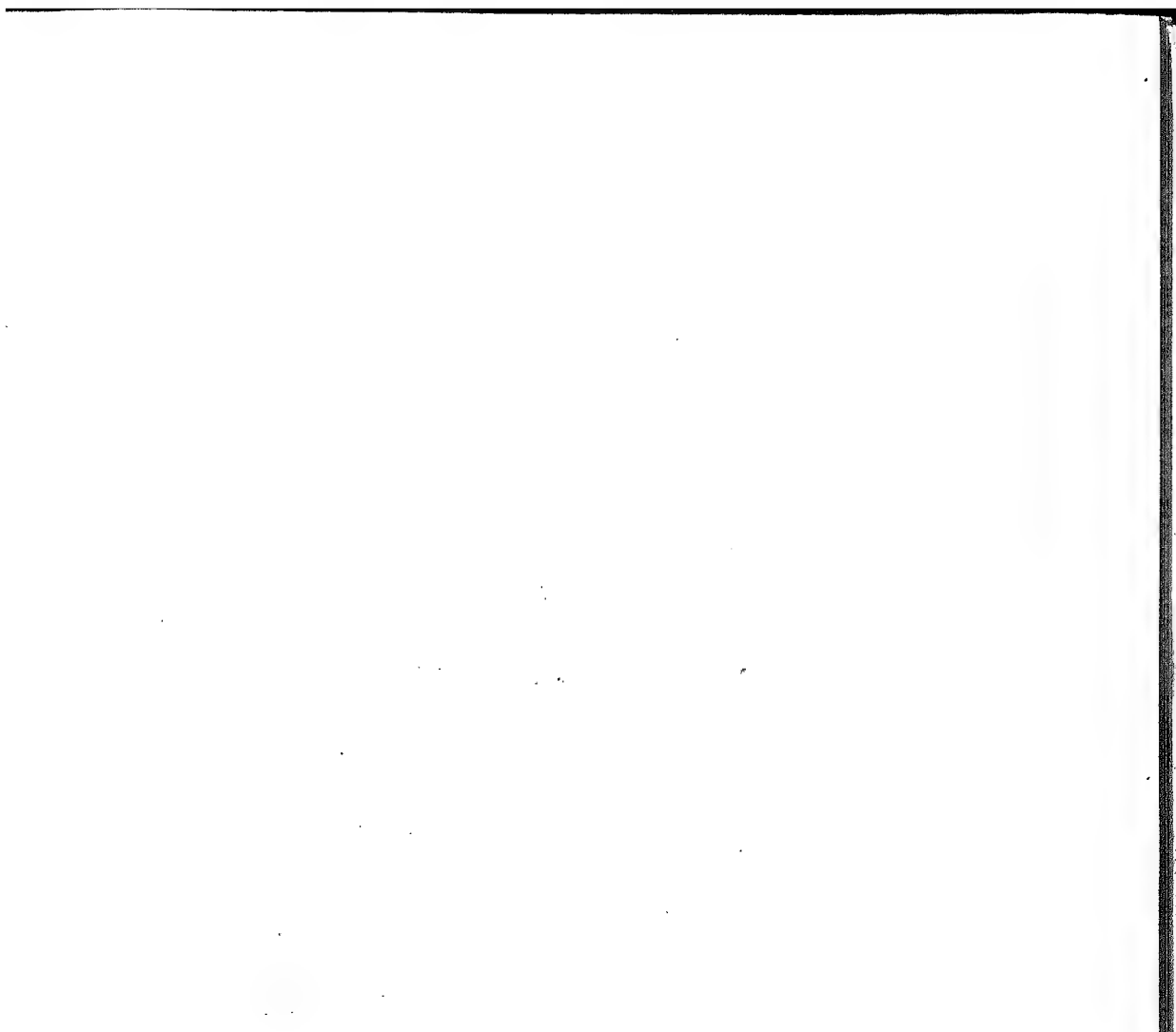
• • •

- (١) الضمير هنا يعود على الصدر الأعظم ، وهو يوسف ضياء باشا .
(٢) ينطبق على هذا النص ما سبق أن ذكرناه في الدراسة التمهيدية من فاحية نقص معلوماته عن أحداث الحملة في مصر والشام ، فلم يكن هناك خداع أو بذل للنفائس بل الأمور تطورت تطوراً عادياً كما هو معروف . فقد تقدم الصدر الأعظم إلى العرش واسعولى عليها ، ثم عقدت اتفاقية العرش التي شارك في إبرامها السير سدن سميث ، غير أن الحكومة الإنجليزية رفضت هذا الصلح من جانبها ، وأصرّت على أن يسلم « جيش الشرق » نفسه كأسرى حرب ، فأدى هذا إلى اشتعال الحرب ثانية ، وتمسك الفرنسيون من صد زحف الصدر الأعظم إلى داخل مصر والاستيلاء على القاهرة .
(٣) إشارة إلى تجديد القتال ، وزحف الجيش العثماني من الشرق وزحف الحملة الإنجليزية من الشمال — بالإضافة إلى الحملة الإنجليزية من البحر الأحمر عن طريق القصير — مما أدى في النهاية إلى إخراج الفرنسيين من مصر .

ملحق

بمؤلفات لعن الله جهاد

- المرتقى إلى المنتقى .
- دياج كسرى فيمن تيسر من الأدب اليسرى .
- العباب في تراجم الأصحاب .
- فنون الجنون في جنون الفنون .
- قرة العين بالرحلة إلى الحرمين .
- العلم الجديد .
- التاريخ الجامع .
- درر نحرور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على وأعلام دولته الميامين .



المراجع

لمخطوطات :

- لطف الله بن أحمد جحاف .
درر نحرور الحور العين في دولة الإمام المنصور على ورجال دولته
المجسمين .
— النسخة الأم ، وهي محفوظة بمكتبة السيد عبد القادر بن عبد الله
بصنعاء .
— النسخة الثانية ، وهي محفوظة بمكتبة السيد محمد بن محمد بن اسماعيل بن مطهر
المنصور بصنعاء .
— خمس نسخ أخرى متفرقة أقل أهمية .

المراجع العربية :

- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت : ٧١١ هـ) .
لسان العرب ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، صورة
مصورة من طبعة بولاق ، ١٣٠٨ هـ (١٨٩١/٩٠ م) ، عشرون جزءاً
— أحمد البديري الخلاق .

- حوادث دمشق اليومية ، ١١٥٤ — ١١٧٥ هـ ، ١٧٤١ — ١٧٦٢ م
نقلها الشيخ محمد سعيد القاسمي ، حققها ونشرها الدكتور أحمد
عزت عبد الكريم ، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،
١٩٥٩ م ، ص ٣١٣ .

— حمد الجاسر .

* بلاد ينبع ، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ، بدون
بيانات ، ص ٢٣٩ .

— خير الدين الزركلي

* الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعربين والمستشرقين ، القاهرة ، مطبعة كوستاموس ، ١٩٥٤
— ١٩٥٩ ، عشرة أجزاء ، عشرة مجلدات .

— عبد الله محمد الحبشي

* مراجع تاريخ اليمن ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٨٣ .

— عبد الرحمن الجبرتي

* عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ، المطبعة العامرة الشرفية ،
١٢٢٢ هـ (١٩٠٥ م) ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

— عبد الواسع بن يحيى الواسعي

* البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن ،
القاهرة ، مطبعة التضامن الأخوي ، ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) ،
ص ٣٦ .

* تاريخ اليمن المسمى فرجة الموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ،
القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ، ص ٤٠٠ .

— عثمان بن بشر النجدي الحنبلي (ت : ١٢٨٨ هـ) .

* عنوان المجد في تاريخ نجد ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ،
٥ ت . ١ ، ٢ ، في مجلد واحد ، ط ١٠ ، ص ٢٥٥ ، ١٤٣ .

— عمر رضا كحالة

• معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٧٦ - ١٩٥٧ م ، ١٥٣ : ١٢ م .

— فيروز آبادى

• القاموس المحيط ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، ١٩١٣ م ، أربعة أجزاء في أربعة مجلدات .

— محمد بن أحمد الحجرى

• مساجد صنعاء ، عامرها وموفياها ، صنعاء ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٣٦١ هـ (١٩٤٣ م) ، ص ١٤١ .

— محمد بن عبد الله بن بليهد

• صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار ، وقف على طبعه وقدم له ابن المؤلف : عبد الله بن محمد ، راجعه محمد محيى الدين عبد الحميد ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، خمسة أجزاء فى مجلدين .

— محمد بن على الشوكافى

• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ هـ (٢٩ / ١٩٣٠ م) ، ط ١ ، جزآن ، ص ٥٢٧ ، ٣٧٦ .

— محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسنى البينى الصنعافى

• نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ، القاهرة ، المطبعة السلافية ومكتبتها ، ١٣٥٠ هـ (١ / ١٩٣٢ م) ، ص ٤٢٨ .

— محمد رمزى

• القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، من عهد قدماء المصريين إلى سنة

١٩٤٥ م ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، ١٩٥٨ ، قسمان ، القسم الثاني من

أربعة أجزاء ، ص ٤٨٠ ، ٢٦٨ ، ٣٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ .

— محمد فؤاد شكرى (الدكتور)

• الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، د.ت.

ص ٢٥٦ .

• الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر

الدرى ، د.ت. ، ص ٧٠٤ .

— محمد فؤاد عبد الباقي

• المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار ومطابع

الشعب ، د.ت. ، ص ٧٨٢ .

— محمد فريد (بك)

• تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٩١٢ م ،

ص ٤١٥ .

محمد مختار باشا (اللواء)

• التوقيعات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الأفرنجية

والقبطية ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ؛ ١٣١١ هـ ، (١٨٩٤/٣ م) ،

ط ١ ، ص ٧٥٢ .

— الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى (ت : ٢٦١ هـ)

• الجامع الصحيح ، القاهرة ، نظارة المعارف ، دار الطباعة العامة ،

١٣٢٩ ١٣٣٢ هـ (١٩١١ - ١٩١٩ م) ، ٨٠ ، ٤ م .

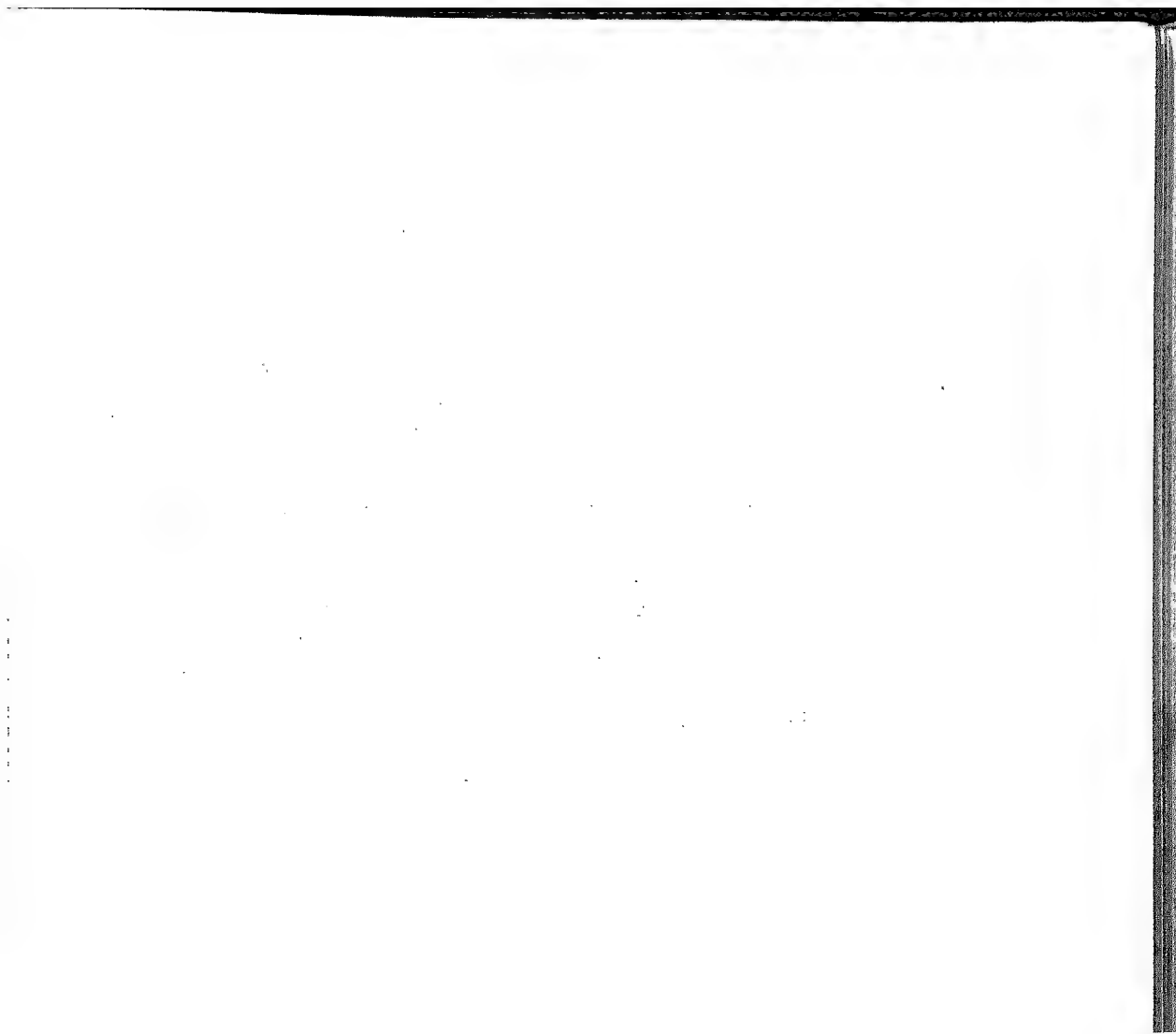
ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت : ٦٢٦ هـ)

• معجم البلدان . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٦ م ، ط ١ ، ٨ أجزاء

فى ٤ مجلدات .

المراجع الأفرنجية :

- Panikkar, K.M. : Asia and Western Dominance, A Survey of the Vasco Da Gama Epoch of Asian History, 1498 - 1945, London, George Allen and Unwin LTD, 1953, p. 530.
- Playfair, R. L. : A History of Arabia Felix or Yemen, From the commencement of the Christian era to the present time, Including an account of the British Settlement of Aden, Bombay, Education Society's Press, 1859.
- Encyclopaedia Britannica : 1972 Vol, 6, 22.



فهرس البلدان

(أ)

أبندود : ١٠٣ ، ١٠١ ، ١٠٠
أبو قير : ٧٨ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٩
١٣١

أدرنة : ٧١

استانبول (الآستانة ، القسطنطينية) :

٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٦٣ ، ٥٧

الاسكندرية : ٦٢ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٧

١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٥٣

اسنا : ١٠٢ ، ٧٣

امبابة : ١٣٢

امروزيانا : ٣٢

أيونيان (جزر) : ١٥١

(ب)

باب المنذب : ١٤١ ، ١٣٩ ، ٧٦

١٤٣ ، ١٤٢

باريس : ٦٢

بئر العرب : ١٤٠ ، ١٤١

بئر عنبر : ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠

البحيرة : ٩٢ ، ٧٤

بريم : ١٣٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٤

بمباي : ١٣٩ ، ٧٧

البندقية : ١٥١ ، ٦٩

(ت)

تعز : ١٤٠ ، ١٣٣ ، ٣٩

تهامة : ١٠٦ ، ٦٦

(ج)

جدة : ١٠٢ ، ٩٨ ، ٩٢ ، ٨١ ، ٧٠

١١٦ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٥٢

١٥٥

جرجا : ١٠٤ ، ٧٣

(ح)

الحجاز : ٦٨ ، ٦٥ ، ٥٥ ، ٥٠ ، ٤٩

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

٧٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٤٥

حجازة : ١٠٣ ، ١٠٢

الحجرية : ١٣٣

حضر موت : ٦٦ ، ٣١ ، ١١

(خ)

خبان : ٣٩

الخليص : ٩٨

(ط)

طاهر باشا : ١٥٦

طاهر الجيلاني : ٩٩

(ظ)

ظاهر العمر : ١٣٢

(ع)

عاكش الضمدي : ٢٤ ، ١٨

عبد الله الحبشي : ١١ ، ١٥ ، ٢٢ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ١٠٥

عبد الله بن سرور : ٩٢

عبد الله بن علي عبد القادر : ٣٣

عبد الله بن عيسى بن محمد بن حسين :

٢٧ ، ١٠٥

عبد الله بن محمد العيزري : ١٣

عبد الرحمن الجبرتي : ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٧٥ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ،

١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨

عبد الرحمن العسيري : ٩٧

عبد الرحيم القناوي : ٩٩

عبد القادر بن عبد الله بن القادر : ١٤ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠

عبد المنعم الهواري : ١٠٤

الحسن بن علي حنش : ١٩ ، ٢٠

حسين السباغي : ٢٤

حسين بن علي عبد القادر : ١٤

حمود، الشريف : ١٠٤

(خ)

د . خليل يحيى نامى : ٣٣ ، ٣٩

(د)

دوجا : ٧٤

(ز)

زيد بن علي ، الإمام : ٩٩

(س)

سبنسر سميث : ٦٣ ، ٩٠

سدني سميث : ٦٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٥٦

سرور بن مساعد : ٩٢

سهود بن عبد العزيز : ٩٢

سليم الأول : ٦٨

سليم الثالث : ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٧

سليمان القانوني : ٩٠ ، ١١٣

(ش)

شارل مجالون : ٦٢ ، ٨٧ ، ٨٨

شاهينسكيراى : ٤٣ ، ١٢٤

(ك)

كاثرين الثانية : ١٢٤
كفاريللى : ١٣٨
كليير : ١٣٢

(ل)

لطف الله بن أحمد جحاف : ١٢، ٥٠
١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٣، ٤٤، ٤٧
٤٩، ٥٠، ٥٢، ٦٧، ٧١، ٧٣
٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٩٣
٩٦، ١٠٦، ١٤٥، ١٤٧
لويس الرابع عشر : ١٢٠
لويس السادس عشر : ٦٠
د. لويس عوض : ١٠

(م)

محمد بك أبو الذهب : ٥٧، ٦١
١٠٢، ١٣٢
محمد أبو العسل : ٩٨
محمد بن أحمد الحجري : ١١، ٣٣
محمد باصلاح الحضرمي : ٩٧
محمد بن حسين عبد القادر : ١٤
محمد بن عابدين بن حياة السندي : ١٠٥
محمد علي باشا : ٧٠، ٨٩، ٩٢، ١٠٣
محمد علي خان : ٩٥

عبد الواسع بن يحيى الواسعي : ١٠٦
عثمان بن بشر النجدي : ١٢، ٤٨، ٤٩
عثمان بك حسن : ٧٣، ١٠٢، ١٠٣
علي بن ابراهيم عامر : ١٦
علي بن ابراهيم عبد القادر : ١٦
عبد بن أحمد أبو الرجال : ١٤، ٣٦
علي بن صالح أبو الرجال : ١٤
علي بن صلاح الدين الكوكباني : ٢٤
علي بن عبد الله الجلال : ٣٠
علي بن عبد الله الجنداري : ٤١
علي بن قاسم حنش : ٢٧، ٣٧
علي بك الكبير : ٥٦، ٦١، ٩١
٩٢، ١٠٢، ١٣٢
علي بن محمد بن أحمد بن ابراهيم : ٤١
عمارة اليني : ١٣
عمر رضا كحالة : ١٨

(غ)

غالب بن مساعد : ٦٥، ٦٨، ٦٩
٧٦، ٨٢، ٩٢، ٩٧، ١٠٤
١٠٦، ١١٢، ١٢٨، ١٣٠
١٣٤، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٣
١٤٥

(ف)

فؤاد السيد : ٣٢، ٣٩
فرانسوا الاول : ١١٣

موراي : ١٣٩	محمد بن علي الشوكاني : ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧
(ن)	١٠٦ ، ٣٦
نلسن : ٦٣	محمد بن محمد بن إسماعيل مطهر المنصور :
(هـ)	٤٠ ، ٣٩
هله : ١٠٣	محمد بن محمد زبارة : ١٨ ، ٤١ ، ١٠٦
هواره : ١٠٤ ، ٧٢	محمد المغربي الجيلاني : ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢
(ي)	٧٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠
يحيي أغا : ١٤٩	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٥
يحيي بن الحسين بن القاسم : ٢٤	محمود الثاني : ٨٩
يحيي بن محمد حميد الدين ، الإمام :	مراد بك : ١٨ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٥٧
١١ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٣٢	١٠٩ ، ١٣٢
يوسف باشا ، الوالي : ١٤٦ ، ١٤٧ ،	مصطفى باشا : ٦٤
١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥	المماليك : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩
يوسف ضياء باشا : ٦٤ ، ١٤٦ ،	٦١ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٨ ، ٩٢
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦	١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨
	١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤
	١٢٦ ، ١٣٢

فهرس الأعلام

(أ)

ابراهيم بك : ٥٧ ، ٦١ ، ٨٨ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٣٢ .

ابراهيم بن عبد الله الخوشي : ٢٧
ابن غنام : ٩٣

أحمد جرار : ١٤٥

أحمد باشا الجزار : ٥٤ ، ٦٤ ، ٩١
٩٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٠

أحمد بن صالح أبو الرجال : ١٤

أحمد طباطبا : ٥٥ ، ١٤٥

أحمد فاس : ٩٧

أحمد بن محمد قاطن : ٢٧

أحمد بن المنصور ، الإمام : ١٩ ، ٢٠ ،
٣٨ ، ٣٩

أحمد بن يحيى حميد الدين ، الإمام : ١٣

أحمد بن يوسف زبارة : ٣٠

اسكندر ذو القرنين : ١٢١

اسماعيل أغا : ١٤٩

اسماعيل الأكرع : ١٣ ، ٣٦

اسماعيل بك : ١٠٢

(ب)

البدري الخلاق : ٤٨ ، ٤٩

بركات ، الشريف : ٦٨

برنجل : ٧٧ ، ١٣٩

البشناق : ٩١

بونابرت : ٩ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٦٤

٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ٨٣

٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٤

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٩

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨

١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥١

بيرد : ٦٥ ، ١٣٩

(ت)

تبو صاحب : ٧١

(ج)

جورج بلدوين : ٦٢

جنيّة : ١٠٣

(ح)

حسن بك الجداوى : ٧٣ ، ١٠٢

حسن باشا الجزائري : ٥٧ ، ٩٢

حسن الجيلاني : ٩٩ ، ١٠٢

(د)

دارفور : ٧١

دمشق : ٣٢ ، ٤٩ ، ٩١

دنقلة : ١٠٣

(ذ)

ذمار : ١٣ ، ٣٩

(ر)

رايخ : ٩٨

رشيد : ٦٢ ، ١٢٣

رودس : ٦٤ ، ٩٠ ، ٩١

(س)

سالونيك : ٩٣

سمبود : ٩٩ ، ١٠٠

سوهاج : ١٠٤

السويس : ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩

٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٢٠

(ص)

الصفاية : ١٤٠

الصفراء : ٩٨

صنعاء : ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤

١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٦

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٦

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٣

صوفيا : ٣٢

(ط)

الطائف : ٧٢

طولون : ١٢٢

(ع)

عدن : ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٤

١٤١

العريش : ١٥٦

عسير : ٦٦

عكا : ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩١

٩٢ ، ٩٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٥

١٥٠

(غ)

الغرفة : ١١ ، ٣١

عزة : ١٠٢

(ق)

القاهرة : ١٢ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٤١

٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٣

٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨

١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣١

١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦

قبرص : ٦١

القرم : ١٢ ، ١٢٥

القصور : ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ١٠٢

١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٦

المدينة المنورة : ٩٨ ، ٧٣ ، ٤٧

٩٩ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٢

١٥٥ ، ١٥٣

مسقط : ٩٥ ، ٧١

مكة : ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٦ ، ٥٩ ، ٤٧

٩٨ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠

١٤٥ ، ١٤٢ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ٩٩

موسكو : ١٢٤

(ن)

نجد : ٩٢

نجران : ٦٦

(هـ)

هجرة الذاري : ٣٩

(ي)

يئبج : ١١٦ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٧٣

ققط : ١٠٠

قنا : ١٠٠ ، ٩٩

قوص : ١٠٢ ، ١٠٠

(ك)

كريت : ٦١

كورفو : ١٥٤

(ل)

لحج : ٧٧ ، ٦٦

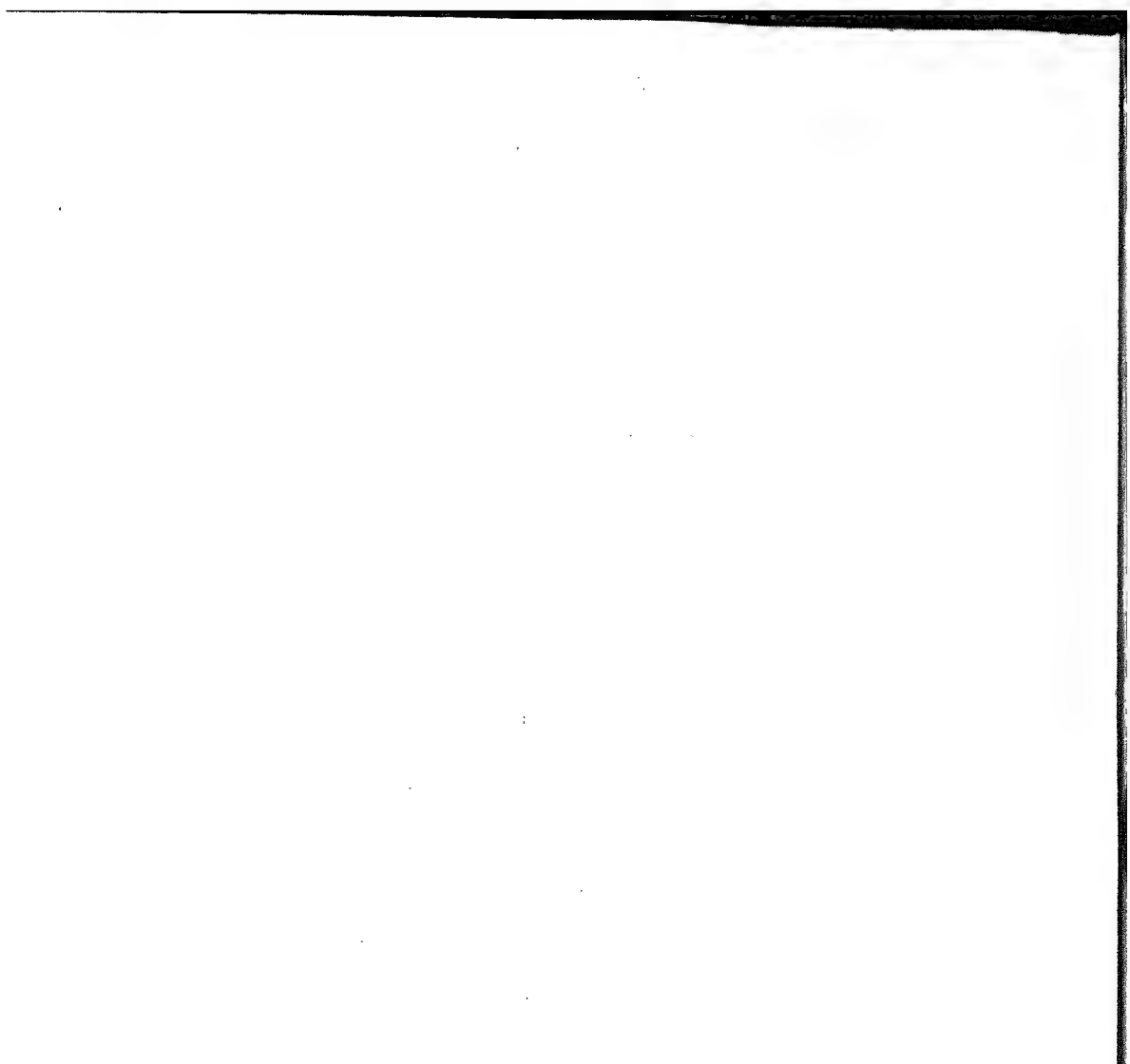
اللقطة : ١٠٠

اللونديك : ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٥٠

(م)

مالطه : ١٣٧ ، ٩٠ ، ٥٣

المخا : ١٣٩ ، ٧٧



الفهرس

الصفحة

٣

الإهداء

٥

المقدمة

٩

دراسة تمهيدية

٩

— الحملة الفرنسية وأهميتها

١٠

— العثور على المخطوطة

١٥

— ترجمة حياة المؤلف

٢٢

— مؤلفاته ومنهجه التاريخي

٣٠

— اختيار النسخة الأم

٤٥

— المؤرخ وموضوع الحملة والجبرتي

٥٥

— الحملة والأطراف المحيطة بها

٦٥

— موقف أهالي الجزيرة من الأحداث

٧٠

— النصوص والحملة

٧٩

— رأى في قيمة النصوص

٨٥

النصوص :

٨٧

١ — استيلاء الفرنسيين على مصر وسبب ذلك —

٢ — الصدام البحري بين إنجلترا وفرنسا بالقرب من عدن

٩٤

بعد استيلاء الفرنسيين على مصر —

٩٥

٣ — تعاون سلطان مسقط مع الانجليز ضد الفرنسيين

المنفعة

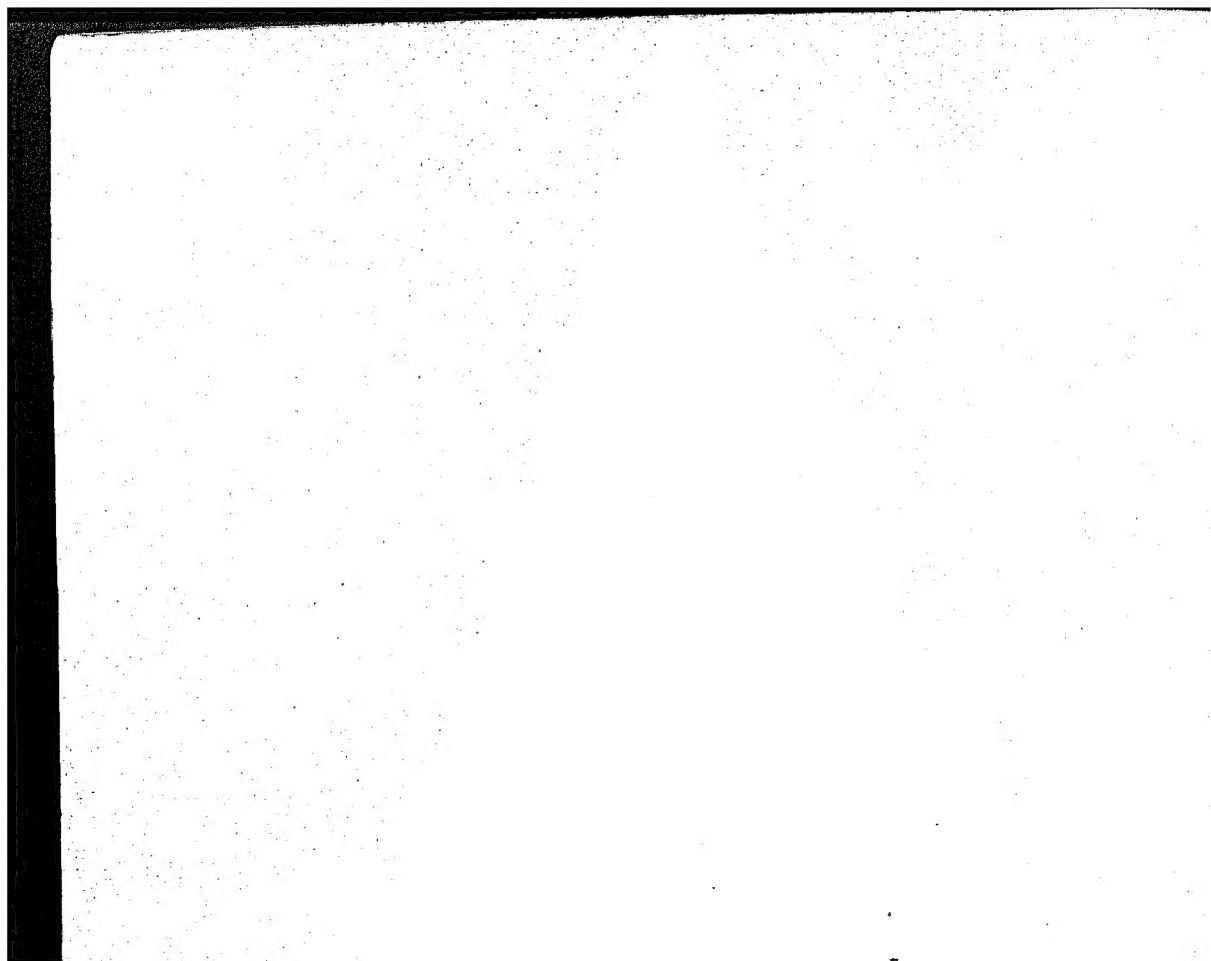
- ٩٦ ٤ — حروب متطوعي الحجاز مع الفرنسيين بصعيد مصر
- ١٠٥ ٥ — ترجمة حياة أحد أمراء المجاهدين الحجازيين
- ١٠٦ ٦ — خطاب الشريف غالب بن مساعد إلى الإمام المنصور على
بأخبار الحملة والاستعداد لحماية سواحله
- ١١٢ ٧ — فرمان السلطاني إلى الشريف غالب والمرسل صورته
إلى الإمام
- ٨ — ترجمة خطاب حكومة الإدارة بفرنسا إلى بونايرت عند
قيامه بالحملة على مصر والمرسل من السلطان إلى الشريف
ومنه إلى الإمام
- ١١٩ ٩ — اتصال الشريف غالب ببونايرت في مصر ليأمن جانبه
- ١٢٨ ١٠ — الكتاب الثاني من الشريف غالب إلى الإمام المنصور
- ١٣٠ ١١ — رد الإمام المنصور على كتاب الشريف غالب
- ١٣٤ ١٢ — زحف بونايرت إلى الشام وحصار عكا
- ١٣٧ ١٣ — اتصال الانجليز بالإمام لإقامة قاعدة لهم بباب المنذب
ورفضه لذلك .
- ١٣٩ ١٤ — الشريف غالب يحرض الامام على عدم السماح للانجليز
بإقامة قاعدة لهم بباب المنذب
- ١٤٢ ١٥ — الامام يعلم من الشريف غالب على موقفه من طلب
الانجليز
- ١٤٣ ١٦ — تحقيق لامم قائد الجيوش العثمانية التي زحفت إلى مصر
لاخراج الفرنسيين منها
- ١٤٥ ١٧ — خطاب يوسف باشا والي المدينة المنورة العثماني إلى
الامام
- ١٤٦

- ١٨ - خطاب المصدر الأعظم إلى الامام المبلغ مع خطاب
١٥٣ وإلى المدينة المنورة
- ١٩ - تعليق المؤلف على نهاية أحداث الحملة الفرنسية على
مصر ١٥٦
- ملحق بمؤلفات لطاف الله جحاف ١٥٧
- المراجع ١٥٩
- فهرس الأعلام ١٦٥
- فهرس البلدان ١٦٩
- الفهرس ١٧٣

رقم الايداع : ١٩٨٩/١٩١٩

ترقيم دولي : ١-١١٩-١٣٣-٩٧٧

طبع بالمطبعة الفنية ت : ٣٩١١٨٦٢



03